بروفيسور/ علي أحمد محمد بابكر
بمساعدة لجنة من أساتذة الجامعة

أعلامٌ وأيّام

توثيق حياة
علماء جامعة أم درمان الإسلامية

الجزء الأول
قيادات الجامعة
١٩٠٠ـ١٩٦٥م

الشيخ محمد البدوي محمد نقد
الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم
الشيخ النذير خالد الماحي
الشيخ أحمد محمد أبو دقن
الشيخ أحمد الهاشم دفع الله
الشيخ أبو شامة عبد المحمود
الشيخ هاشم أبو القاسم أحمد هاشم
الشيخ محمد المبارك عبد الله
الشيخ مجذوب مدثر الحجاز

بروفيسور/ علي أحمد محمد بابكر
بمساعدة لجنة من أساتذة الجامعة

أعلامٌ وأيَّام

توثيق حياة
علماء جامعة أم درمان الإسلامية

الجزء الأول

قيادات الجامعة

١٩٠٠ – ١٩٦٥م

الشيخ محمد البدوي محمد نقد

الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم

الشيخ النذير خالد الماحي

الشيخ أحمد محمد أبو دقن

الشيخ أحمد الهاشم دفع الله

الشيخ أبو شامة عبد المحمود

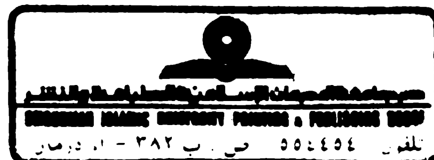
الشيخ هاشم أبو القاسم أحمد هاشم

الشيخ محمد المبارك عبد الله

الشيخ مجذوب مدثر الحجاز

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :

بقلم البروفيسور/ علي أحمد محمد بابكر

ظللنا نحمل فكرة توثيق حياة العلماء الأوائل الذين وضعوا اللبنات الأولى لهذا الصرح الشامخ العظيم (جامعة أم درمان الإسلامية) والذين قادوا مسيرتها لعشرات السنين في دروب وعرة متشعبة فيها الكثير من العقبات.

وقد دخلنا في محاولات عديدة لوضع هذا الهم وهذه الفكرة موضع التنفيذ فواجهتنا أيضاً عقبات متعددة عطّلت عدداً من تلك المحاولات ولكن أخيراً وفّقنا اللّه لتنفيذ هذه الفكرة ورأينا أن يقوم توثيق حياة العلماء على منتديات ولقاءات جامعة يتحدث فيها أهل العلم والمعرفة عنهم، وتنظم فيها زيارات لأسر العلماء وأصدقائهم وتلاميذهم للحصول على أي معلومة تفيد في توثيق حياتهم، ثم البحث في الكتب والمجلات والمخطوطات للحصول على أي معلومة تفيد في هذه الحركة التوثيقية.

وقد يسَّر اللّه لنا جمع الكثير من المعلومات عن هؤلاء العلماء واستحسنا أن نُقدِّم تسعة منهم في كتاب واحد، ثم نواصل بعد ذلك جمع المعلومات عن الباقين منهم لنقدمهم في سلسلة من الكتب.

وقد أعانني في هذه المهمة الكبيرة والعظيمة ثلاثة من الشباب عملوا معي ليلاً ونهاراً وواصلوا حركتهم واتصالاتهم في

غير انقطاع، وبذلوا جهداً مقدراً في تفريغ المعلومات وتصنيفها ومراجعتها مع اللجنة الموسعة. فندعو الله أن يتقبَّل منا ومنهم هذا العمل. وهؤلاء الشباب الثلاثة هم :

١. الدكتور / عباس إبراهيم أحمد - المشرف على الدراسات العليا بكلية الشريعة والقانون.

٢. الأستاذ / عبدالعظيم أكول - رئيس قسم الصحافة والنشر بادارة الاعلام والعلاقات العامة بالجامعة.

٣. السيد / بشرى الخزين - الاداري بكلية الشريعة والقانون بالجامعة.

وقد ساعد في إحياء ليالي التوثيق الخاصة بهؤلاء العلماء وفي تنظيم المنتديات التي تمت كثير من العاملين بالجامعة، وفي مقدمتهم الأستاذ / عبدالدائم عمر الحسن رئيس ادارة الاعلام والعلاقات العامة بالجامعة. والأستاذ / محجوب بخيت محجوب رئيس وحدة الراديو والتلفزيون بادارة الاعلام بالجامعة. ندعو الله أن يجزي الجميع خيراً، من ذكرنا بالاسم ومن اجملنا.

وبعد الانتهاء من تفريغ المعلومات التي ضمتها أشرطة التسجيل من ليالي التوثيق وضم المعلومات الأخرى المكتوبة والمسجلة من قبل لها، كوَّنا لجنة علمية أخرى من الجامعة بالاضافة إلى اللجنة الثلاثية الأولى بغرض مراجعة هذه المعلومات تهيئةً لنشرها، وكانت هذه اللجنة مكونة من :

١ . الدكتور / بابكر البدوي دشين – عميد كلية اللغة العربية .

٢ . بروفسير / عمر حاج الزاكي – عميد كلية الآداب .

٣ . الدكتور / بشير كوكو حميدة – عضو هيئة التدريس .

٤ . الدكتور / عبدالقادر أحمد الشيخ الفادني – أمين الشئون العلمية .

٥ . الدكتور / أمير عبدالله النعمان – رئيس قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية .

٦ . الأستاذ عبدالمطلب الفحل – مدير دار الطباعة والنشر .

وقد يسَّر الله تعالى لى شخصياً أن أصحب اللجنتين منذ بدايات العمل حتى تقرر أخيراً بأن ندفع بالمادة للمطبعة انجازاً لوعدنا الذي قطعناه بطباعة سلسلة من الكتب توثق لحياة العلماء .

وبعد فهذه مقدمة مختصرة لهذا الكتاب الذي نحسب أنه يضيف للمكتبة السودانية ولتاريخ السودان ولتاريخ الإسلام في السودان وندعو الله أن يوفقنا لمواصلة هذه المسيرة وهو المستعان ،،

الفصل الأول

جغرافية وتاريخ السودان

أ/ المطلب الأول : جغرافية السودان

ب/ المطلب الثاني : تاريخ السودان

المطلب الأول : جغرافية السودان

أ - الموقع والمساحة :

بلاد السودان اسم أُطلق على ذلك الجزء من القارة الأفريقية الذي يقع جنوب الصحراء الكبرى والذي يمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي شرقاً. بينما تعرف بهذا الاسم الآن الرقعة التي تقع جنوب مصر في الجزء الأوسط من حوض النيل. وقد ورد في التوراة والنصوص الآشورية اسم (كوش) على هذه الرقعة من الأرض .

السودان بحدوده الحالية عرف تقريباً في العهد التركي (القرن التاسع عشر الميلادي) وهو يحتل بموقعه الحالي شطراً كبيراً من وادي النيل، ويربط بين أوربا ومنطقة البحر المتوسط وأواسط أفريقيا . كما أن موقعه بين غرب أفريقيا وأم الشرق، مع اتصاله بالبحر الأحمر، جعله في موقع ممتاز في ملتقى الطرق الأفريقية . وقد ظل السودان يتبوأ مركزاً مرموقاً بين أم القارة على مدى للعصور. كما ظل على اتصال دائم بجيرانه وبالآخرين منذ أقدم العصور والدهور.

تقع جمهورية السودان في شمال شرق أفريقيا بين خطي عرض (٤) و (٢٣) درجة شمالاً، وخطي طول (٢٢) و (٣٨) درجة شرقاً.

وهو أكبر دولة أفريقية من حيث المساحة (٢,٥ مليون كيلومتر مربع) أي نحو مليون ميل مربع. ويمثل السودان نحو (٨,٣٪) من مساحة أفريقيا، ويعتبر من أكبر عشر دول مساحةً في العالم، ويعادل (١٠) أضعاف مساحة بريطانيا، ويساوي مساحة كل من (بريطانيا، فرنسا، ايطاليا، اسبانيا، البرتغال، بلجيكا، السويد والنرويج) مجتمعة.

يجاور السودان تسع دول أفريقية هي: مصر، ليبيا، تشاد، أفريقيا الوسطى، الكنغو (زائير)، يوغندا، كينيا، أثيوبيا، اريتريا، بالاضافة إلى البحر الأحمر بساحل يبلغ طوله حوالي (٧٥٠) كلم. بينما يبلغ طول الحدود السودانية (٧٥٨٠) كلم.

المسافة بين أبعد نقطتين في شماله الصحراوي وجنوبه الاستوائي تبلغ (٢٠٠٠) كلم، وبين أبعد نقطتين في شرقه على ساحل البحر الأحمر وغربه تبلغ (١٧٠٠) كلم[١].

ب- سكان السودان :

يتألف الكيان البشري فيه من مجموعات مختلفة وهي: المجموعة النوبية، المجموعة البجاوية، المجموعة العربية، والمجموعة الزنجية.

---

(١) السودان الموقع ورموز السيادة : سلسلة حقائق عن السودان (الأمانة العامة لمجلس الاعلام الخارجي)، ص ٤ - ٥.

ج - عدد السكان :

عدد السكان في السودان ظل في ازدياد مضطرد منذ أن نال السودان استقلاله، ووفق تعداد ١٩٥٥ - ١٩٥٦م بلغ عدد سكانه عشرة ملايين نسمة (١٠,٢٦٣). وأوضح تعداد ١٩٦٩م أن عدد السكان بلغ ١٣,٢٣٣ مليون نسمة. وفي تعداد ١٩٧٣م بلغ ١٤,٨١٩ مليون نسمة. وفي ١٩٧٦م بلغ ١٦,١٢٧ مليون نسمة(١). أما في التَعْداد الأخير عام ١٩٩٦م فقد قُدِّر عدد السكان بنحو ٢٥ مليون نسمة، وربما تجاوز عددهم اليوم خمساً وثلاثين مليون نسمة.

---

(١) الدكتور عثمان إبراهيم السيد : الاقتصاد السوداني (الرياض : ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م)، ص ٣٥-٣٦.

السودان

جمهورية مصر العربية

ليبيا

الصحراء الكبرى

تشاد

افريقية الوسطى

زائير

اوغندة

كينيا

اثيوبيا

الفاشر

جبل مرة

نيالا

الابيض

كوستي

الدويم

واو

بور

جوبا

ملكال

عطبرة

كسلا

القضارف

٢٥ ٣٠ ٣٥

المطلب الثاني : تاريخ السودان

١ - تقديم :

بيَّن لنا علماء الآثار والتاريخ أن ثمة حضارات قامت فى السودان القديم والرأى عندهم أنها تنقسم إلى مجموعات أطلقوا عليها أحرفاً حسب ترتيبها الزمنى وتسلسلها التاريخى وهى :

المجموعة " أ " (٣٤٠٠ ـ ٢٧٢٠ ق م) :

استقرت هذه المجموعة جنوب الشلال الأول على ضفاف النيل واحترفت الزراعة.

المجموعة "ب" (٢٧٢٠ ـ ٢٢٧٠ق .م) :

أغلب الظن أن هذه المجموعة استقرت فى نفس المنطقة وكان مستواها الحضارى أقل من مستوى المجموعة «أ».

المجموعة "ج" (٢٣٠٠ - ١٦٠٠ق .م) :

استقرت هذه المجموعة على الراجح حتى الشلال الثاني والمعلومات الصحيحة عنها غير متوافرة.

٢ - حضارات وممالك :

أ ـ حضارة كرمة :

يرجح بعض المؤرخين أن سكان منطقة كرمة هم الأصل الذى يرجع إليه الكوشيون لأن اشتغالهم بالتجارة جعلهم يعيشون في رغد من العيش وتقدم عُرِف (بحضارة كرمة) والظاهر أنها امتدت إلى الجنوب حتى وصلت الشلال الرابع أو تعدته جنوباً.

ب ـ مملكة (نبته) (٧٥١ ـ ٢٩٥ ق .م) :

يمكن القول إن فترة مملكة نبته هى العصر الذهبى لهذه المنطقة منذ أن بدأ التاريخ المكتوب، ففى هذه الفترة قويت شوكتهم فاستطاعوا أن يبسطوا نفوذهم على مصر فى الحقبة مابين ٧٥١ - ٦٥٦ ق .م[١] والملوك النوبيون الذين حكموا مملكة نبته وغزوا مصر هم :

"١" بعنخى (٧٥١ ـ ٦١٦ ق .م) :

كان بعنخي أول من زحف بجنده البواسل واجتاح مصر وفرض على أمرائها الجزية وبعد أن تمّ غزو البلاد المصرية وضمن بعنخي ولاء الأمراء وتعهدهم بدفع الجزية رجع إلى نبته ودوّن انتصاراته وأمجاده فى لوحة مشهورة عرضها فى معبد آمون بجبل البركل[٢].

"٢" شباكو (٧٠٧ ـ٦٩٦ ق .م) :

أما الملك النوبى الثانى الذى خلف بعنخي وأضحى ملكاً على مصر وكوش فهو شباكو الذي نقل عاصمة مصر إلى طيبة وأقام حكومة مركزية أدارها بنفسه كملك للبلدين مصر وكوش .

"٣" شبكتو (٦٩٨ - ٦٨٣ق .م) :

خلف عمه شباكو الذي كان قد أشركه في الحكم قبل وفاته .

---

(١) الدكتور محمد ابراهيم بكر : تاريخ السودان القديم (دار المعارف بمصر١٩٨٧م ص ٢١ –٢٩ .

(٢) الدكتور مكى شبيكة : السودان عبر القرون، ص ٧ –٨

"٤" ترهاقا (٦٨٨ ـ٦٦٣ ق .م) :

أوصى شبكتو بالملك بعده لأخيه الأصغر ترهاقا لكفاءته وقدرته على مجابهة الخطر الآشورى.

"٥" ثانوت آمون :

هو ابن شبكتو وابن اخت ترهاقا، خلف خاله على الملك وتقدم بجيشه لاستعادة أملاكه من مصر ودخل طيبة ومنف وخضع له بعض الحكام، غير أن قوة الآشوريين كانت غالبة، فتقهقر وعاد إلى عاصمته نبته.

ج ـ مملكة مروي (٣٠٠ق. م ـ٣٥٠ م) :

دعت ضرورات العيش أهل نبته لينقلوا عاصمتهم إلى مروى القديمة بالقرب من قرية البجراوية وكبوشية الحاليتين[١]، ويعود ذلك إلى أن الرقعة الزراعية فى نبته ضيقة ولاتناسب نمو السكان والحيوان، وقد امتازت مروى القديمة بأن القوافل التجارية تمر عليها متجهة صوب سواحل البحر الأحمر شرقاً، وكردفان ودارفور غرباً، وما إلى ذلك من الأسباب التى حفزّت ملوك نبته لنقل عاصمتهم. وقد اشتهرت مروى القديمة بصناعة الحديد لأن خام الحديد يوجد من حجارة منطقتها، فضلاً عن وجود خشب الوقود لصهر الحديد الذى ما تزال بقايا خشبه ماثلة للعيان إلى يومنا هذا الأمر الذى جعل أحد العلماء يطلق على مروى برمنجهام السودان[٢] ذلك لأن

---

(١) البجراوية وكبوشية في ولاية نهر النيل.

(٢) الدكتور مكى شبيكه: السودان عبر القرون، المرجع السابق ص ١٢.

برمنجهام البريطانية مدينة كبيرة يصهر فيها الحديد وتقام فيها صناعات عديدة.

وقد تقدم أن مصر خضعت لبلاد النوبة حتى اكتسحها الآشوريون عام٦٥٦ ق. م ثم الغزو الليبى، فالرومانى عام ٣٠ ق.م، وقد نشبت الحرب بين المرويين والرومان في ٢٤ ـ٢٣ ق. م انتهت بالصلح بين الفريقين.

د ـ الممالك المسيحية

دخول المسيحية فى السودان :

دخلت المسيحية مصر حوالى منتصف القرن الأول الميلادى، ثمَّ أخذت المسيحية تتسرب إلى بلاد النوبة منذ أواخر القرن الثالث الميلادى(١). وبسبب بعثات التبشير البيزنطية فى الفترة من ٥٤٠ ـ٥٨٠م اعتنقت ممالك النوبة الديانة المسيحية، وهذه الممالك قامت على أنقاض دولة مروى وانقسمت إلى ثلاث ممالك مستقلة وهى على النحو التالى:

١ / مملكة نوباتيا Nobatia فى الشمال وتمتد من أسوان إلى قرب الشلال الثالث وعاصمتها فرس .

٢ / مملكة مقرة، وتمتد من قرب الشلال الثالث إلى قرب كبوشية الحالية وعاصمتها دنقلا العجوز.

---

(١) الدكتور مصطفى مسعد. الإسلام والنوبة، ص٤٦ ، ٤٨ .

٣ / مملكة علوة، وتمتد من قرب كبوشية إلى جنوب الخرطوم – وقيل أبعد من ذلك – وعاصمتها سوبا(١) .

واستمرت هذه الممالك المسيحية حتى أنفذ المسلمون حملة إلى النوبيين فى دنقلا العجوز ولكنها عادت أدراجها. ثم أتت بعد ذلك حملة المسلمين بقيادة عبدالله بن أبى السرح حيث توّغل حتى دنقلا العجوز عاصمة مملكة مقرة المسيحية سنة٦٥٢م فحاصرها عند ذلك طلب ملك النوبة (قليدور) الصلح فتم عقد معاهدة بين الطرفين سُميت بمعاهدة البقط (٢).

هـ ـ الممالك الاسلامية

١. مملكة العبدلاّب :

وفقاً للتسلسل التاريخي ينبغي أن نتحدث أولاً عن مملكة العبدلاب لأنها نشأت قبل سلطنة سنار.

الرأى السائد فى الماضى هو أن مملكة علوة المسيحية سقطت باتحاد الفونج والعبدلاب عام ١٥٠٤م بيد أن الدراسات الحديثة قد أثبتت أن مملكة العبدلاب قامت قبل هذا التاريخ وأن الجماعات العربية التى انتشرت فى مملكة سوبا اتحدت بقيادة العبدلاب وقضت على تلك المملكة ومن ثم قامت مملكة العبدلاب، أما

---

(1) Kirwan, L.P."Acontem Poray Qccount of the conersion of the Sudan 20 christianity x x part 11, P. 290

(٢) الدكتور مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص١١٢، ١١٣

الحلف الفونجى والعبدلابى فقد تم فيما بعد وسيأتى الحديث عن سلطنة الفونج والحلف بين عمارة دنقس والشيخ عبدالله جماع «١٥٠٤م» وقد تمخض عن سيادة الفونج ووكالة العبدلاًب أن المنطقة من أربجى شمالاً إلى الحدود مع النوبة، وجنوب أربجى وشرق النيل الأزرق وجنوب الجزيرة إلى الحدود الاثيوبية سيطر عليها الفونج مباشرة (١).

٢. سلطنة الفونج

السلطنة الزرقاء (١٥٠٤ ـ ١٨٢١م) :

لعبت سلطنة الفونج أدواراً متعاظمة فى تاريخ السودان ومهما يكن من أمر الفونج فإنهم كانوا رعاة يربون الماشية عند بداية توسعهم نحو الشمال واستقرارهم قرب جبل موية(٢).

نظام الحكم :

عقب الحروب التى وقعت بين الفونج والعبدلاًب والصلح الذى تم بينهم، قام نظام سياسى جديد عام ١٥٠٤م وبموجبه أضحت السلطة العليا للادارة للفونج وهو وضع يمثل تحالفاً فضفاضاً بين زعامات أو مشيخات قبلية متعددة بينها وبين العبدلاًب من جهة، وبينها وبين الفونج من جهة أخرى. وكانت سلطنة الفونج تسير وفق نظام اللامركزية وصلاحيات السلطان فى الأمور الداخلية

---

(١) الدكتور مكى شبيكة : السودان عبر القرون، المرجع السابق، ص٥٣.

(٢) يقع جبل مويه بالقرب من سنار.

للمشيخات لا تزيد عن جباية الضرائب وتعيين الشيوخ أو المكوك[١].

ويقوم مجلس مكون من كبار رجال الدولة باختيار السلطان من البيت المالك بعد اجراء بعض المراسيم والطقوس، وكان السلطان يتمتع بسلطات واسعة.

نهاية سلطنة الفونج :

بلغت سلطنة الفونج أوج عظمتها فى مطلع القرن السابع عشر وكان من دلائل قوتها أنها تصدت للأحباش الذين غزوا السلطنة فى عام١٧٧٤م، فدحرهم الفونج وانتصروا عليهم انتصاراً مؤزراً، مما أدى إلى هجرة الكثيرين من أنحاء العالم الإسلامى من الحجاز والهند ومصر ومراكش إلى سنار والاقامة فيها[٢].

على أن الحال تبدَّل بمرور الزمن، وأخذت الدولة تتدهور رويداً رويداً إلى أن سقطت بغزو محمد علي باشا للسودان.

---

(١) مكوك : جمع مك وتعني الملك عند بعض أهل السودان.

(2) Arkell, History of the Sudan from the earliest times 1821 (London 1955) p .220.

٣. الحكم التركي المصري
(١٨٢١ - ١٨٨٥م)

كان لمحمد علي باشا (١٨٠٥ – ١٨٤٩م) آمال ومطامح رمى إلى تحقيقها من غزو السودان يمكننا أن نوجزها في المقولة المشهورة تاريخياً الحصول على (المال والرجال)، فقد هدف من غزو السودان إلى الحصول على الرجال لتجنيدهم في جيشه لاشتهار السودانيين بالشجاعة وحب الجندية، وفي سبيل بناء أمبراطوريته هدف إلى الحصول على المال، فكان الحصول على الذهب من بني شنقول في أعالي النيل الأزرق هو الهدف الثاني الذي حفز محمد علي على غزو السودان، كذلك هدف محمد علي من غزو السودان إلى استغلال منتوجاته الزراعية والحيوانية(١).

تلك كانت أهم أهداف محمد علي من غزو السودان، وقد استطاع جيشه أن يغزو هذا البلد باسم السلطان العثماني، مع أن محمد علي كان خارج نطاق سيطرة العثمانيين الفعلية(٢). وقد تم قتل إسماعيل باشا ابن محمد علي، بعد غزوه للسودان واستفزازه لأهله، ثم أعقب ذلك حملات الدفتردار(٣) الوحشية الانتقامية، وظلت البلاد في حالة حرب مستمرة، مما أدى إلى فشل أهداف محمد علي من غزو السودان.

---

(١) الدكتور حسن أحمد إبراهيم : تاريخ السودان ص ١١ – ١٨.

(٢) الدكتور عبدالحميد متولي :نظام الحكم في السودان ص ١٨٧.

(٣) الدفتردار صهر محمد علي باشا أرسله على رأس جيش فقاد حملات انتقامية لمقتل إسماعيل باشا.

حكم السودان بعد وفاة محمد علي حكومات متعاقبة هي حكومة عباس باشا بن طوسون بن محمد عني (١٨٤٨ - ١٨٥٤م) وليس في عصر عباس باشا ما يلفت النظر سوى فتح القنصليات الأجنبية في الخرطوم ووفود التجار الأجانب والرهبان والمبشرين لنشر المسيحية. وزادت الضرائب في عهد عباس باشا.

الحكومة التي تلت عباس باشا هي حكومة محمد سعيد باشا (١٨٥٤ - ١٨٦٣م) الذي زار السودان من مصر في عام ١٨٥٧م «للسياحة والنزهة» وخفض الضرائب بعض الشيء لكن مشاريعه في السودان سواء الزراعية أو الاصلاحية في الادارة لم تنفذ نسبة لانشغاله بحفر قناة السويس في مصر والتي بدأ العمل فيها إبان حكمه[١].

أما آخر الحكومات التركية المصرية في السودان والتي استمر الحكم فيها زمناً طويلاً فهي حكومة الخديوي إسماعيل ابن إبراهيم بن محمد علي (١٨٦٣ - ١٨٧٩م).

وفي عهد الخديوي إسماعيل اتسعت رقعة الامبراطورية التركية المصرية في أفريقيا، وقد حاول أن يقيم ادارة حسنة في السودان إلا أنه فشل نسبة لاعتماده في ذلك على ادارة الأوربيين من أمثال غردون باشا الذي اتبع سياسة الضغط والارهاب مما أثار ناحية حساسة في نفوس السودانيين وهي العاطفة الدينية، فذاك

---

(١) د. بشير كوكو حميده: صفحات من التركية والمهدية (دار الارشاد الخرطوم ١٩٦٩م) ص ٤٩.

العسف اعتبره السودانيون حرباً صليبية ضدهم بحسبانهم مسلمين(١).

وعلى الجملة فإن الخديوي إسماعيل لم يحقق تطلعات السودانيين لحياة أفضل، فقد ظلوا يتلقون أثقالاً من المتاعب فشاع بينهم التذمر من الحكام الذين لقوا على أيديهم ألواناً صارخة من الظلم(٢)، مما كان سبباً لقيام ثورة ضد الحكم التركي المصري وانهائه.

---

(١) عبدالرحمن الرافعي : مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال (القاهرة ١٩٤٨م) ص ٨٩.

(٢) د.بشير كوكو حميده :ملامح من تاريخ السودان في عهدالخديوي إسماعيل،المرجع السابق ص٣٢١

٤. الثورة المهدية
(١٢٩٨ - ١٣١٥هـ / ١٨٨١ - ١٨٩٨م)

ظهرت فكرة المهدية في السودان على يد محمد أحمد المهدي الذي ولد بجزيرة لبب عام ١٨٤٣م وقيل عام ١٨٤٤م وتلقى تعليمه بعد أن انتقلت أسرته إلى كرري في خلاويها ثم خلاوى الخرطوم. ومن ثمَّ واصل تعليمه في مسيد ود عيسى في الجزيرة ثم انتقل إلى خلاوى الغبش ببربر ودرس على يد الشيخ محمد الخير عبدالله خوجلي. وفي بربر مالت نفسه إلى التصوف. انتقلت أسرة محمد أحمد في عام ١٨٧١م إلى الجزيرة أبا فأخذ العلم على يد الشيخ محمد شريف نور الدائم فاختلف معه وتتلمذ على الشيخ القرشي ود الزين بالحلاوين.

كان من أهم أسباب الثورة المهدية في عام ١٨٨١م العنف والجبروت الذي لازم الغزو التركي المصري للسودان. أما أهم أسباب نجاحها فتمثل في ضعف الادارة في السودان وعدم الاهتمام بالثورة والاستخفاف بها فقد اهتم الحكم بالقضاء على ثورة عرابي في مصر ولم يولِ ثورة المهدي في السودان أي اهتمام مما ساعد على نجاحها(١). حاصر محمد أحمد المهدي الخرطوم في ٢٦ يناير

---

(١) الدكتور حسن أحمد إبراهيم: تاريخ السودان الحديث ص ٥٣، وانظر أيضاً الدكتور بشير كوكو حميده: صفحات من التركية السابقة، المرجع السابق ص ١٤١.

١٨٨٥م وقتل جيشه غردون باشا حاكم السودان من قبل الخديوي وبذلك قضى على العهد التركي المصري في السودان. لكن محمد أحمد المهدي لم يبق طويلا حيث انتقل للرفيق الأعلى في ٢٢ يونيو ١٨٨٥م.

وقد خلف محمد أحمد المهدي الخليفة عبدالله (١٨٨٥ – ١٨٩٩م)، ومن أعماله الخارجية أنه أرسل إلى الحكام والملوك المجاورين لدولته يدعوهم إلى تقبل المهدية، ومن ثمَّ أرسل إلى ملكة بريطانيا يدعوها للمهدية والدخول فيها، ومع أن الخليفة حقق في الحروب مع الحبشة بعض الانتصارات بقيادة حمدان أبي عنجة ومن بعده الزاكي طمل إلا أنه مني بهزيمة قاسية في حربه مع مصر بقيادة عبدالرحمن النجومي الذي سقط شهيداً بعد أن فقد عدداً كبيراً من رجاله فكان ذلك بداية النهاية لدولة المهدية إذ بدأ الجيش المصري الانجليزي في اتخاذ خطة الهجوم على السودان لغزوه ومن ثمَّ تحركت حملة كتشنر في عام ١٨٩٦م منفذة لهذه الخطة(١).

---

(١) الدكتور مكي شبيكه: السودان عبر القرون، المرجع السابق ص ٣٤٣.

٥. الحكم الثنائي الانجليزي المصري (١٨٩٦ - ١٩٥٥م)

صدر قرار الوزارة البريطانية لاحتلال دنقلا في ١٢ مارس ١٨٩٦م ثم صدرت أوامر الخديوي محمد توفيق باشا بانفاذ الحملة فوقع اختيار اللورد كرومر قنصل بريطانيا في مصر على السير هربرت كتشنر لقيادتها باعتباره سردار الجيش المصري، وفي فجر يوم ٧ يونيو عام ١٨٩٦م احتل الجيش الغازي قرية فركة، وفي ٢٣ سبتمبر من نفس العام احتل الأعداء مدينة دنقلا التي انسحب منها محمد ود بشارة العامل عليها لكثرة جيش الأعداء، وفي اليوم التالي احتلوا مدينة الدبة، وأخيراً رفعوا العلم المصري على صنم قبالة مروي في ٢٦ سبتمبر، وبذا سقطت كل المديرية في أيدي الغزاة. وعلى هذا النحو انتهت المرحلة الأولى للغزو وأعد المسرح للمرحلة الثانية.

علم الخليفة بنبأ سقوط دنقلا فاستدعى محمود ود أحمد من دارفور ليأتي بمعظم جيشه للعاصمة، ثم وجهه بجيوشه للمتمة. واستدعى عثمان دقنة من الشرق وأشار عليه بالانضمام إلى جيش محمود، ومن ثمَّ حلَّت نكبة المتمة المشهورة في أول يوليو ١٨٩٧م.

في هذه الأثناء أنشأ كتشنر خط سكة حديد من حلفا إلى

(أبوحمد) فاحتلها ثم سقطت بربر، فزحف محمود ود أحمد والتقى بالعدو في النخيلة شمال عطبرة وتغلب الانجليز بفضل السلاح الحديث كما تغلبوا على جيش الأنصار في كرري في ٢ سبتمبر ١٨٩٨م بفضل السلاح واستشهد في تلك المعركة نحو أحد عشر ألف وجرح ستة عشر ألف من الجنود. وكانت نهاية الخليفة عبدالله والدولة المهدية في أم دبيكرات بالقرب من مدينة كوستي الحالية في ٢٤ نوفمبر من عام ١٨٩٩م فدخل السودان في حكم استعماري استمر لأكثر من نصف قرن حيث انتهى عام ١٩٥٦م.

٦. الحكم الوطني (١٩٥٣ - ١٩٨٩م)

أ - الطريق إلى الاستقلال

أدى اندلاع الثورة المصرية إلى تغيير جذري في سياسة مصر نحو السودان ومن ثم قبلت الثورة المصرية مبدأ الحكم الذاتي في السودان وحق السودانيين تقرير مصيرهم. وقد ضمنت هذه المباديء في اتفاق عقدته مصر في يناير ١٩٥٣م مع الأحزاب السياسية السودانية آنذاك ولم تجد بريطانيا مخرجاً سوى أن تعقد مع مصر في ١٢ يناير ١٩٥٣م الاتفاقية المصرية الانجليزية الخاصة بالحكم الذاتي وأهم ما نصت عليه :

١ . إقامة حكم ذاتي كامل في السودان على أن يمتد لفترة انتقال مدتها ثلاث سنين يتم خلالها انهاء الادارة الثنائية.

٢ . أعلنت الحكومة البريطانية والمصرية حرصهما على وحدة السودان.

٣ . منح حق تقرير المصير على أن يختار السودانيون عقب فترة الانتقال وفي جو محايد بين الاستقلال التام عن كل من مصر وبريطانيا وبين الاتحاد مع مصر.

٤ . كونت الاتفاقية ثلاث لجان هي لجنة الحاكم العام، ولجنة الانتخابات لتعد لانتخابات عامة في البلاد لاقامة حكم ذاتي، ولجنة السودنة لسودنة الوظائف في الخدمة الوطنية.

وقد وضح بعدها إجماع السودانيين على رغبتهم في

الاستقلال عندما أعلن البرلمان بالاجماع استقلال السودان في ديسمبر ١٩٥٥م وأصبح السودان بلداً مستقلاً في أول يناير ١٩٥٦م(١).

ب - الديمقراطية الأولى :

حكمت السودان عقب استقلاله حكومة مدنية برئاسة إسماعيل الأزهري ثم أعقبتها حكومة ائتلافية برئاسة عبدالله خليل إلى عام ١٩٥٨م وهي فترة الديمقراطية الأولى.

ج - نوفمبر ١٩٥٨ - اكتوبر ١٩٦٤م :

لم تستمر حكومة عبدالله خليل طويلاً إذ أعقبها انقلاب عسكري بقيادة الفريق إبراهيم عبود في نوفمبر ١٩٥٨م واستمر إلى ٢١ أكتوبر ١٩٦٤م حيث قامت ثورة أكتوبر وأطاحت بحكم الفريق عبود.

د - الديمقراطية الثانية :

عقب ثورة أكتوبر ١٩٦٤م والتي كانت ثورة فريدة في نوعها وبعد تنحية الفريق إبراهيم عبود من السلطة جاء عهد الديمقراطية الثانية وتمثله حكومة بقيادة سر الختم الخليفة، ثم حكومات انتخابية.

هـ - مايو ١٩٦٩ - ٦ أبريل ١٩٨٥م :

في ٢٥ مايو ١٩٦٩م قامت حركة الجيش بقيادة العقيد

---

(١) دكتور حسن أحمد إبراهيم : تاريخ السودان الحديث، بخت الرضا، دار النشر التربوي.

جعفر محمد نميري واستمرت لستة عشر عاماً سُميت بثورة مايو.
وتمر الأحداث مراً فينتفض الشارع من جديد ويستجيب الجيش لندائه فكانت «المرحلة الانتقالية» بقيادة الفريق أول عبدالرحمن محمد حسن سوار الذهب في ٦ أبريل ١٩٨٥م والتي استمرت حتى عام ١٩٨٦م.

و - الديمقراطية الثالثة :

وفي أثناء ذلك ظهر نحو أربعين حزباً سياسياً. وبعد سقوط مايو كانت مهمة الحكومة الانتقالية تسليم السلطة للشعب وقد وفقت في ذلك واجرت الانتخابات في عام ١٩٨٦م، وتشكلت حكومة ائتلافية بين حزبي الأمة والاتحادي الديمقراطي، ثم جاءت حكومة الوفاق الوطني بعد فشل الائتلاف، ومن ثمَّ صارت تتأرجح مسيرة الديمقراطية الثالثة.

ز - يونيو ١٩٨٩م :

في ظل الظروف السياسية المعقدة أواسط عام ١٩٨٩م كانت هناك نُذر تغيير في نظام الحكم وتنافُس على قيادة البلاد. وقد نتج عن ذلك أن تحرك الجيش في ٣٠ يونيو فاستولى على السلطة بقيادة العميد عمر حسن أحمد البشير. وقد سُميت حركة الجيش هذه بثورة الانقاذ الوطني، وهي مستمرة أثناء صدور هذا الكتاب.

الفصل الثاني

ملامح من تاريخ الإسلام في السودان

في هذه النبذة لا نريد أن نؤرخ بدقة لتاريخ الإسلام في السودان، ولا نهدف إلى استيفاء المعلومات عن مسار الإسلام في هذا البلد الكبير، ولكن نود أن يضم هذا الكتاب بعض معلومات ولمحات مختصرة عن هذا الأمر، ذلك أن جامعة أم درمان الإسلامية كان اهتمامها الأول – منذ نشأتها – المحافظة على هذا الدين ونشر قيمه وتثبيت مفاهيمه وتحميل الأجيال هذه الأمانة العظيمة التي أوجب الله على الجميع حملها وأداءها فكان هذا واجباً إسلامياً عاماً إذا تخلت عنه الأمة أثمت.

وعليه فلو جاءت هذه النبذة مختصرة جداً غير مستوفية لكل الموضوع فهذا أمر قصدناه، لأن الهدف هو التقديم لهؤلاء الرجال الذين نبث سيرتهم في ثنايا هذا السفر.

كما هو معلوم لم يدخل أهل السودان الإسلام عنوة، وأشهر مدخل حفظه لنا التاريخ هو اتفاقية المسلمين مع ملك مملكة مقرة في دنقلا العجوز ٣١ هـ، عندما حدثت بعض المواقع بين المسلمين من جهة مصر وبين السودانيين في دنقلا العجوز انتهت بصلح بينهم ومعاهدة وقعها الطرفان. والتزم فيها كل طرف بواجبات يؤديها تجاه الطرف الآخر، واحتفظت المعاهدة لكل طرف بحقوق تحفظ له(١).

---

(١) تاريخ الطبري. سيرة الخليفة عمر، والخليفة عثمان. تاريخ الإسلام السياسي، د. حسن أحمد إبراهيم. تاريخ الإسلام، د. حسن شلبي. الإسلام في السودان، محجوب زيادة.

وهناك نقطة مهمة في هذا المقام لابد من ذكرها وهي أن هذه الاتفاقية نصت على مسجد كان موجوداً من قبل بدنقلا العجوز، وأوجبت على أهل دنقلا المحافظة عليه، وهذا يعني أن الإسلام كان موجوداً هناك سلمياً وعن طريق الأفراد قبل هذه المعركة وقبل هذه المعاهدة(١).

ثم توالى انتشار الإسلام بعد ذلك في السودان عن طريق اختلاط المسلمين بغير المسلمين في السودان، وعن طريق اختلاط السكان غير المسلمين بالمسلمين في بعض بقاع السودان كما حدث في منطقة البجة وهم سكان شرق السودان الأقدمون.

وقد كان لتعليم القرآن في «الخلاوى(٢)» بواسطة الدعاة حفظة القرآن الذين وهبوا أنفسهم لذلك - الأثر البالغ في نشر الإسلام في السودان فقد كان هؤلاء يحفظون الناس القرآن (رجالاً ونساءً) ويعلمونهم مبادىء دينهم ويدربونهم على السلوك الإسلامي القويم ويشكلون رموزاً يقتدى بها وكانوا بذلك يشكلون دعوة متكاملة.

وكان أيضاً لتدريس الفقه في الحلقات الدور الكبير في نشر هذا الدين وتمكينه.

---

(١) انظر بحث الإسلام والتكوين القومي في السودان، منشور ضمن أبحاث أسبوع الإسلام في السودان، البروفسور عون الشريف قاسم.

(٢) خلاوى: مفردها خلوة وهي دار حفظ القرآن الكريم.

وقد استقر الإسلام في أرجاء السودان المختلفة قبل أن تكون أول حكومة مسلمة تشرف على نشره، وتقوم على حمايته حتى نشأت دولة سنار المسلمة بعد نحو أكثر من تسعة قرون من ظهور الإسلام وذلك في نحو ٩١٠ من الهجرة الموافق نحو ١٥٠٤م واستمرت هذه الدولة حتى عام ١٨٢١م من الميلاد أي أكثر من ثلاثة قرون.

وبعد أن ضربت دولة سنار في عهد بادي السادس على أيدي الجيش التركي بقيادة إسماعيل باشا، مضى الإسلام في السودان متمكناً من قلوب الناس ومن معاملاتهم وسلوكهم، حتى قرر السودانيون القيام بحركة دينية تعيد للسودان دولته المسلمة المستقلة لذلك التفوا مباشرة حول محمد أحمد المهدي عندما أعلن دعوته عام ١٨٨١م.

وعندما دخل جيش كتشنر السودان في عام ١٨٩٨م ووقعت معركة كرري عاد الناس يركنون لتدينهم الفردي والشعبي من غير دولة تحميه بعد أن تم حكم السودان بواسطة الحكم الإنجليزي المصري.

وكانت نشأة جامعة أم درمان الإسلامية (كما سنشير) في سبتمبر ١٨٩٩م عندما قرر الشيخ محمد البدوي ومعه بعض العلماء الانحياز للعلم وحفظ الدين من الاجتياح. وكانت الجامعة خير حافظ، هيأها الله تعالى لتقوم بدور عظيم وسط الأهوال والعواصف والعقبات.

وخلال فترة الحكم الثنائي للسودان (الاحتلال الإنجليزي المصري) ظهرت بوادر أحزاب وتنظيمات وتجمعات وطوائف، كلها تقول بإنها تعمل للإسلام أو للوطنية السودانية التي أساسها الإسلام وكانت قواعدها كلها تلتزم الإسلام عقيدة وممارسة في الحياة الخاصة والمعاملات مع الناس إلى حد بعيد.

واستمرت ظاهرة الأحزاب والتنظيمات والجماعات بعد استقلال السودان في عام ١٩٥٦م وذهاب الاستعمار، وكما أشرنا مع اختلاف القيادات ظلت القاعدة الشعبية في السودان ملتزمة بدينها حريصة عليه.

ندعو الله أن يوفق جميع الأمة المسلمة في السودان لوحدة تامة، وتعاون على البر والتقوى، وتمسك بقيم هذا الدين وأحكامه.

الفصل الثالث

ملامح من تاريخ التعليم في السودان

سنتحدث تحت هذا العنوان عن التعليم قبل دخول الإسلام السودان، ثم عن التعليم بعد دخول الإسلام، ثم تطور التعليم بعد ذلك. ونشير من فترة إلى أخرى لأنواع من التعليم وفدت إلى السودان لها خصائص أجنبية ونوضح ما أمكن ما انقطع منها وما استمر. ونختم حديثنا في هذا الفصل بما استقر عليه التعليم في السودان اليوم.

وسيكون حديثنا في كل ذلك مختصراً ومبسطاً لأننا نقصد بذلك التمهيد للدخول على تقديم العلماء الذين نوثق لهم في هذا الكتاب.

أ - التعليم قبل دخول الإسلام :

للتعليم ركائز عديدة أهمها الإلمام بالقراءة والكتابة ولذلك وقبل الخوض في الحديث عن التعليم في السودان بعد دخول الإسلام لابدَّ من الوقوف على الإرث التعليمي للسودانيين قبل ذلك.

لقد كانت المناطق السودانية الواقعة شمال الخرطوم والتي كان يطلق عليها أسماء متنوعة في مختلف العهود مثل « كوش » و « النوبة » وثيقة الصلة بمصر مما أدى لتداخل حضاري بدأ منذ العصور القديمة المبكرة وما زال مستمراً.

لقد عرف السودانيون الكتابة - مدلولاتها وأهميتها - منذ تلك العصور المتناهية في القدم وتتأكد معرفة واتقان

السودانيين للغة المصرية كتابة وقراءة في عهدي « نبتة » و « مروي »
(٧٥٠ ق.م – ٣٥٠ق . م).

لقد كتب الملوك السودانيون الذين حكموا مصر بلغة جيدة ويرى بعض المؤرخين أنها كانت متأصلة في السودان بدليل اختلافها عن تلك التي كانت متداولة في مصر وقتها[١]، وتدل آثار ترجع للقرن الثاني قبل الميلاد على أن السودانيين في العهد المروي ابتكروا كتابة خاصة بهم عرفت بالكتابة المروية نسبة لمدينة مروي عاصمتهم، ولما كان الخط المروي أبجدياً يتكون من ثلاثة وعشرين حرفاً فقد سهّل ذلك في توسيع انتشاره بين عامة الناس حتى أن ديودور الصقلي[٢] وهو من كتاب القرن الأول الميلادي زعم بأن كل الأثيوبيين (السودانيين) كانوا يكتبون بينما اقتصرت معرفة الكتابة في مصر في أواسط الكهان . وبجانب معرفة السودانيين في عصر مروي للغتين المصرية والمروية فهناك ما يدل على أن بعضهم عرفوا اللغة اليونانية واللاتينية .

وبعد ذهاب دولة مروي في القرن الرابع الميلادي وقدوم المسيحية للسودان ازدهرت اللغة النوبية تخاطباً وكتابة وكانت مكتوبة بخط يوناني، وبجانب ذلك كتب وقرأ بعض السودانيين اللغات القبطية واليونانية واللاتينية .

---

(١) عبدالقادر محمود عبدالله : اللغة المروية، ج١، ص ٧٠ .

(٢) Diodorus Siculus, Geografika, Book iii. London 1946.

ومع مجيء الإسلام وانتشار الثقافة العربية الإسلامية في السودان لم يكن تقبل الحرف العربي أمراً صعباً على قوم عرفوا أهمية ومدلولات الكتابة.

ب - التعليم بعد دخول الإسلام :

يجدر بنا هنا أن نقرر أن هناك هجرات للسودان منذ (٤٢٠٠ ق. م) وكان ذلك بغرض التجارة إلا أن أكبر هجرة كانت التي أعقبت ظهور الإسلام.

في عام ٦٤١م أنفذ عمرو بن العاص كتيبة بقيادة عقبة ابن نافع لتأمين الحدود الجنوبية بعد فتح مصر على يد القائد عقبة في عهد عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - وقع عقبة اتفاقية هدنة مع السودانيين بعدها حين أنفذ عبدالله ابن أبي السرح الذي خلف عمرو بن العاص على مصر حملة إلى بلاد السودان ودخلت دنقلا عام ٦٥٢م ومن ثمَّ عقد الطرفان صلحاً عرف بمعاهدة « البقط » التي ضمنت للمسلمين حرية التجارة الأمر الذي مكَّن المسلمين من نشر الدين الإسلامي بين الناس بواسطة التجار فضلاً عن المحافظة على المسجد الذي شيده المسلمون بدنقلا العجوز. هذا في شمال السودان، أما في شرق السودان فقد اختلط العرب بالبجا وتمكنوا من نشر الإسلام بهذا الاختلاط حيث تم التزاوج بينهم.

أحدث اعتناق الإسلام في السودان نقلة كبيرة في التعليم

حيث استقر فيه نظام تعليمي استمر حتى الآن. فقد عرف السودانيون نظاماً تعليمياً أطلقوا عليه اسم «الخلوة» أحدث تحولاً هائلاً في التعليم في السودان، وقد عرفوا هذا النظام باستقرار دولة الفونج الإسلامية بعد أن تحالفت مع دولة العبدلاّب.

كان نظام الخلاوى أولاً امتداداً للمسجد حيث كانت تنشأ الخلاوى مع المساجد ويلقى العلم فيها مجموعة من العلماء تقوم بتعليم الطلاب ألواناً من العلوم الفقهية واللغوية فضلاً عن تحفيظهم للقرآن، إلا أنه وبعد مضي زمن قليل أصبحت الخلاوى تقام وتؤسس في المساجد والمنازل وأصبحت حلقات العلم منتشرة في أغلب مناطق السودان. ركز العلماء على إدخال أهل السودان في الإسلام وتعليمهم أمور دينهم. وتشير بعض المراجع إلى وصول سبعة من علماء الدولة العباسية إلى دنقلا ومنها واصلوا هجراتهم الداخلية واستقر كل واحد منهم في منطقة وأسس بها حلقات العلم والتعلم، وبمرور الزمن أصبح السودان يُضاء بنور القرآن ويدرس فيه الفقه المالكي، فعمرت مناطق دنقلا وديار الشايقية ومناطق بربر وشندي والدامر وشمال كردفان ودارفور وسنار وأواسط السودان والخرطوم والحلفايا والعيلفون ومناطق النيل الأبيض. وكل هذه المناطق عمرت بمدارس القرآن وحلقات نشر العلم في نواحي السودان المختلفة فنذكر الجهود العظيمة لأولاد

جابر الأربعة وأختهم فاطمة وعلى رأسهم الشيخ إبراهيم البولاد الذين أنشأوا المدارس في ديار الشايقية وانتشرت في مناطق أخرى من نواحي السودان، وكل ولد من أبناء جابر هاجر إلى منطقة وفتح بها خلوة وبنى مسجد فالتف حوله الطلاب، ومن الخلاوى التي اشتهرت آنذاك خلاوى نوري ودويم ود حاج وتنقاسي والقرير، وهناك خلاوى ود عيسى ومسجد الفكي محمد الأزرق، وخلاوى المجاذيب بالدامر والغبش ببربر وخلاوى شندي (قوز العلم) واسلانج والحلفايا وحمد ود أم مريوم بتوتي، وخلاوى كتراج وخلاوى العركيين بالجزيرة وسنار، وخلاوى سواكن. كل تلك الخلاوى كانت قبل النصف الثاني من القرن العاشر الهجري في عهد السلطان عجيب المانجولك، وفي هذا الوقت كان يدرس العلم بعد أن تلقاه، وقدِم من مصر الشيخ إبراهيم البولاد في ديار الشايقية حيث كان يدرس (خليل) و (الرسالة)، كذلك درس العلم الشيخ تاج الدين البهاري الذي قدِم من بغداد، والشيخ التلمساني المغربي فنزل عند الشيخ ولد عيسى سوار الذهب، فدرس علم الكلام وعلوم القرآن.

استمر نظام « الخلوة » كنظام تعليمي منذ ذلك العهد إلى الآن إلا أنه أدخل فيه بعض التطورات التي سوف نذكرها في حينها، ونقول إن هذا النظام استمر بشكل واحد حتى بداية الحكم

الثنائي . إضافة إلى هذا النظام كانت هنالك مصادر أخرى للمعرفة والعلم، فمن أهم وسائل ومصادر العلم عند السودانيين كانت خطب الجمعة وما يبيِّن فيها من علم ومعرفة، أهم مصدر للعلم يتلقاه السودانيون كل أسبوع.

في عهد الخديوي إسماعيل حورب الخُطباء والعلماء بقصد تعويق مسيرة العلم إلا أن الخلاوى لم تنقطع عن أداء دورها في التعليم والتنوير، بل في منتصف هذا العهد (التركي المصري) اشتهرت بعض النساء الخيرات كالفقيهة (امونه) حرم (السنجق) ويدعى الملك الازيرق في بلاد الشايقية وكانت تدير خلوتين إحداهما للأولاد والأخرى للبنات لقراءة القرآن الكريم وحفظ المتون، وكانت تنفق على ذلك كسبها من الزراعة. كذلك كان للسيدتين (عائشة) و (امونه) في شركيله (من أعمال كردفان) خلوة لتعليم الصبيان واستمرهذا النظام التعليمي(الخلوة) منفرداً.

في أثناء استمراره وضع عباس باشا (١٨٤٨ – ١٨٥٤م) أول بذرة لتعليم وافد جديد بجانب التعليم الأصلي ففتح في الخرطوم عام ١٨٥٣م أول مدرسة أولية، ولكنا إذا علمنا أن عباس باشا أغلق المدارس في عهد جده في مصر تبيَّنت لنا حقيقة ما أشيع عنه أنه فتح مدرسة الخرطوم بهدف الخلاص من بعض الشخصيات التي تضايقه في مصر.

ومما يذكر أن مدرسة الخرطوم كانت قصيرة الأجل إذ

أغلقت في عهد محمد سعيد باشا عام ١٨٥٤م.

وفي عصر الخديوي إسماعيل باشا (١٨٦٣-١٨٧٩م) أُنشئت خمس مدارس صغيرة كان الغرض من فتحها في الخرطوم، بربر، دنقلا، التاكا وكردفان مد الحكومة(بكادر)من صغارالموظفين (كتاب،محاسبين، صرافين)، أنشأ تلك المدارس الموظف موسى حمدي بأمر من الخديوي إسماعيل.

استمر نظام (الخلاوى) والتعليم في السودان حتى الآن.

في العام ١٨٤٨م ظُهر لون وافد جديد من التعليم إلى السودان ففي هذا العام جاءت البعثة الكاثوليكية وأسست مدرسة كان هدفها الأكبر نشر المسيحية، وقد توسعت هذه المدرسة في عام ١٨٥٥م فخصصت قسماً للأطفال السودانيين.

لم تقتصر البعثة التبشيرية المسيحية في نشاطها على شمال السودان، بل بعثت بمبشرين إلى الجنوب (أعالي النيل والاستوائية) إلا أنهم فشلوا في فتح مدارس هناك مما حدا بالمطران (دانيال كمبوني) إلى نقل نشاطه إلى كردفان حيث أنشأ مراكز تبشيرية في الأبيض ١٨٧٢م، وفي الدلنج ١٨٧٥م. وقدكان رأى كمبوني أن يتولى التبشير في أفريقيا أفريقيون يتم تدريبهم على هذا العمل في المدارس، وقد رحب البابا بيوس التاسع بهذا المخطط.

استمر هذا النظام الوافد إلى أن توفى كمبوني في السودان عام ١٨٨١م وظل نظامه التعليمي بعد وفاته إلى قيام الثورة المهدية التي أوقفته.

في بداية عهد المهدية في السودان وحتى وفاة المهدي حصر التعليم في السودان على كتاب الله وسنة رسوله واجتهادات المهدي، فاستمر النظام الأول للتعليم وهو نظام الخلاوى إلا أن المهدي كان يشترط عند اعطائه الإذن بفتح خلوة ألا يتخلف الفقراء والحيران عن الجهاد إذا نادى المنادي للجهاد.

تطور نظام الخلوة في عهد المهدي وعهد الخليفة عبدالله فأصبح نظاماً تعليمياً شاملاً مكَّن الحيران(١) والطلاب من دراسة الفقه الإسلامي واللغة العربية فضلاً عن حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، واستمر بالاضافة للتعليم التربية الخاصة بالحيران وتدريبهم على تحمل المسئولية وذلك من خلال تكليف الكبار منهم ممن يحفظون القرآن الكريم بتعليم صغار الحيران القراءة والكتابة فضلاً عن اشتراكهم في ادارة شئون الخلوة مثل جمع الحطب لاشعال نار القرآن (التقابة)، كما كان الحيران في جميع خلاوى السودان يتعاونون على جلب المياه من الآبار والنيل، وعلى إعداد الطعام ويشتغلون في مزرعة شيخهم إن كان له مزرعة.

كان نظام التعليم في الخلوة مقسماً إلى ثلاث مراحل هي :

المرحلة الأولى وكانت لتحفيظ القرآن الكريم. والمرحلة الثانية وكانت للعلوم الشرعية. أما المرحلة الثالثة فكانت لتدريس آداب التصوف، وقد ألغى المهدي هذه المرحلة نسبة لالغائه الطرق

---

(١) الحيران : هم تلاميذ دور حفظ القرآن الكريم ومفردها حُوار (بضم الحاء).

الصوفية وكذا العمل بالمذاهب الفقهية الأربعة.

وقد انتشرت في عهد المهدي والخليفة كتب كانت قليلة في الوقت السابق منها صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وكذا الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي، وكذلك تفسير الإمام البيضاوي.

بعد أن ألغى المهدي المرحلة الثالثة في الخلوة ركز على المرحلة الثانية من السلم التعليمي وهي مرحلة المدرسة، كما أطلق عليها المهدي هذا الاسم يتلقى فيها الطلاب تفسير القرآن بتوسع دروس في الفقه والتوحيد والحديث وغير ذلك من العلوم، كما كان يفعل أولاد جابر.

انتشرت حلقات العلم على المنوال السابق في مناطق متعددة من الخرطوم وأم درمان والخرطوم بحري، فكان الشيخ محمد البدوي في أم درمان حيث كان يجمع الطلاب في منزله منذ خلافة الخليفة عبدالله. وكان الشيخ النذير خالد الماحي في الكلاكلة بالخرطوم كذلك يتلقى الطلاب العلم على يديه في مسجده بالكلاكلة على نفس النهج والسلم التعليمي الذي كان موجوداً في نظام الخلوة، ومن هنا نشأت الحلقات التي هي نواة الجامعة الإسلامية كما سنبيِّن قبل الثورة المهدية. استمر هذا النظام امتداداً للتعليم الأولي في السودان حتى تطور فيما بعد إلى جامعة أم درمان الإسلامية مروراً بالمعهد العلمي.

بعد استقرار الحكم الانجليزي المصري في السودان أعلن سياسته التعليمية ففتح المدارس الأولية التي تخرج صغار الموظفين من الكتبة والمحاسبين.

ج- تطور التعليم :

وفي عام (١٩٠٠م) تولى كيري ادارة مصلحة المعارف فنظر في أمر التعليم القائم حيث وجد النظام التعليمي الموجود والمتمثل في الخلاوي قد انتشر ووجد المساجد عامرة بالحلقات العلمية والطلاب يقبلون عليها وحلقات العلم مستمرة في المنازل ففي أم درمان حلقة الشيخ محمد البدوي، وفي الخرطوم حلقة الشيخ النذير خالد الماحي.

فعمد كيرى إلى فتح المدارس الأولية حتى تنافس هذا النهج التعليمي ودعا السودانيين إلى الدخول في مدارسه وحفزهم بضمان مستقبلهم الوظيفي، وحاول جاداً أن يهمش النظام التعليمي الموجود سابقاً إلا أن الحلقات وعلماءها الصامدين واصلوا جهادهم في نشر العلوم وأدخلوا مجموعة من العلوم الجديدة ووجدوا احتراماً من الأمة لأنهم كانوا يعلّمون الأمة عقيدتها وتراثها، بينما كان الآخرون يعدون الدارسين لتولى وظائف ادارية فقط، واستمر هذا النهج التعليمي في السودان مدارس يفتحها الانجليز والنظام التعليمي الأول. في نفس هذا العام أعيد فتح المدارس التبشيرية، واستمرت سياسة فتح المدارس ففتح مدرسة في أم درمان والخرطوم والأبيض وحلفا ومدني فنبعت في عام ١٩٠٢م

فكرة كلية غردون التزكارية تخلد ذكرى غردون فأصبح في السودان نوع جديد من التعليم إلا أن هذه المدرسة والتي ارتبطت عند السودانيين بالاستعمار الانجليزي لم تجد في باديء الأمر استجابة من السودانيين حيث اتجهوا بكلياتهم إلى تلقي العلم عبر حلقاته المنتشرة في أم درمان والخرطوم وأغلب مناطق السودان (خاصة البيوتات الكبيرة في كل من أم درمان والخرطوم) .

ازاء ذلك عيَّن الحاكم العام مجلساً من عشرة من العلماء برئاسة الشيخ محمد البدوي للاشراف على هذا التعليم وإجازة العلماء في التدريس وتنظيم هذا النظام التعليمي الذي وجد في أواخر عهد الخليفة عبدالله، وكان استمراره وجهود علمائه مصدر قلق للمستعمر فحاولوا الحد منه بتفضيل من يتخرج من المدارس على الذي يتخرج من هذا النظام التعليمي الذي بدأ في حوالي ١٨٩٩م وفي عام ١٩٠٠م نظم في الشكل الذي وضعه عليه الشيخ محمد البدوي إلى أن جاء عام ١٩١٢م عين الشيخ أبوالقاسم أحمد هاشم رئيساً لمشيخة علماء السودان خلفاً للشيخ محمد البدوي وتولى ادارة معهد أم درمان العلمي فعمل على تنظيم الدراسة فيه – كما سيرد الحديث عن ذلك .

توسعت كلية غردون فضمت مدرسة القانون، وفي عام ١٩٣٨م جاءت لجنة الاصلاح التعليمي والتي تولى جريفث رئاستها فوضعت رؤية للتعليم في السودان وكانت

توصيتها بقيام معهد بخت الرضا لتدريس المعلمين، وقد وضع في هذا المعهد النظام التعليمي في السودان فصارت المدارس الأولية تليها الوسطى ثم تجيء المدارس الثانوية فالعليا، ويختار الذين يجتازون المدارس الوسطى بصورة مرضية بعد دراسة أربع سنوات بها.

في عام ١٩١٧م عين عشرة من مساعدي التدريس بالمعهد العلمي وزاد عدد الطلاب بالأقسام الثلاثة (علماً بأن النظام الدراسي في المعهد هو نفس السلم المتبع في السودان) وبهذا النظام خرَّج أول دفعة من حملة الشهادة الأهلية عام ١٩٢٠م وأول شهادة جامعية عام ١٩٢٤م ورغم الضيق والتضييق من جانب المستعمر على هذه الدراسة الأصيلة، ومن ضمن حرب المستعمر لنظام التعليم المعهدي عدم مساواة شهادته بشهادة كلية غردون، وقد ناضل المعهديون نضالاً عنيفاً ضد هذا الظلم الذي استمر حتى في عهد الحكومات الوطنية إلى أن تم الانصاف من هذا الظلم في عهد بدوي مصطفى وزير التعليم، وهذا خلاف الراحة والترف الذي لازم طلاب كلية غردون مع حرمان طلاب المعهد من أي خدمات تقترحها الدولة للطلاب الداخليين. إلا أن المعهد ظل مقاوماً وصامداً لكل تلك الاتجاهات وظل الاقبال على الدراسة به متزايداً حيث زاد عدد الطلاب في كل مراحله الابتدائية والثانوية والجامعية.

في عام ١٩٢٤م كتب اللورد دي لاوور تقريراً عن التعليم في السودان فقرر أن كلية غردون التي كان من المفترض أن تحقق خلال ثلاثين عاماً من قيامها تصاعداً سنوياً مستمراً إلا أنها لم تحقق ذلك بل فشلت في الوصول إلى مرحلة الدخول إلى الجامعة. وأوصت اللجنة التي يرأسها هو أن يرسل المتفوقون للخارج لنيل درجات علمية أكبر، وحتى هذا العام لم تخرج كلية غردون في قسمها الجامعي أي طالب.

بعد معاهدة ١٩٣٦م اهتم مؤتمر الخريجين بالتعليم فكوَّن عام ١٩٣٨م لجنة خاصة بقضايا التعليم استفادت اللجنة من تقرير اللورد دي لاوور فقدم المؤتمر في عام ١٩٣٩م مذكرة للحكومة عارضاً وجهة نظره ناقداً للهدف الذي وضعته الحكومة البريطانية أن تقتصر التعليم بسد الوظائف الادارية وطالبت المذكرة بتغيير الهدف ليكون القضاء على الأمية.

أحدثت مذكرة الخريجين ضجة في أواسط الحكومة فمنهم مؤيد الاصلاح التعليمي ومنهم من يعتذر بالانفاق المالي، وكان الاعتذار بالانفاق المالي سبباً في تبني المؤتمر فكرة قيام المدارس الأهلية. وفي المذكرة الثانية لمؤتمر الخريجين في عام ١٩٤٢م وجه اهتمام خاص بالتعليم وقد تكاتف الطلاب حتى وصلت الحركة الطلابية إلى قيادة المظاهرات التي جرت من المعهد العلمي عام ١٩٤٦م.

في عام ١٩٤٤م سمح لطلاب كلية غردون إلى التحول الدراسي في المدارس الثانوية بحيث يسمح لطلابها النابغين الدخول إلى جامعة لندن، وقد سجلت أول دفعة من الطلاب في عام ١٩٤٧م، وفي نفس العام سمح لعدد من الطلاب بالذهاب لجامعة فؤاد الأول في القاهرة للدراسة ونيل الشهادة الجامعية، علماً بأن النظام التعليمي السوداني الذي تحول من الخلوة بمراحلها الثلاث إلى المعهد العلمي الذي منح الشهادة الجامعية عام ١٩٢٤م وقُبِل الخريجون بالجامعات المصرية والأزهر الشريف منذ ذلك العام.

في عام ١٩٤٦م انتقلت المدارس إلى مبانيها حيث قامت مدرسة وادي سيدنا وحنتوب وتنافس المواطنون في فتح المدارس الأهلية حتى بلغت ٤١ مدرسة مقابل ١٣ مدرسة حكومية وسطى، ونفس العام شهد الدعوة للتوسع في التعليم الفني بقيام المدارس الصناعية.

استمر المنهج التعليمي وتطبيق السلم الثلاثي في التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي ثم الجامعي، كل مرحلة دراسية بأربع سنوات إلى أن تغير هذا السلم التعليمي في حوالي ١٩٧٠م على أن يصير التعليم الابتدائي ست سنوات بدلاً عن أربع والمتوسط والثانوي ثلاث سنوات، ثم أصبحت في عام ١٩٩٠م مرحلة الأساس هي ثماني سنوات والثانوي ثلاث سنوات.

مما يجدر ذكره أن كلية غردون أدخلت مدرسة كتشنر

الطبية عام ١٩٥١م ليكون اسمها كلية الخرطوم الجامعية واستمرت تعطي درجة (الدبلوم) على أن يذهب طلابها المتفوقون إلى جامعة لندن، وفي عام ١٩٥٦م تحولت الكلية الجامعية إلى جامعة الخرطوم.

بعد أن أعطى المعهد العلمي الشهادة الجامعية عام ١٩٢٤م ظلت الحكومات المتعاقبة تتجاهل مطالب المعهديين بالاعتراف بالشهادات التي يمنحها المعهد إلى أن تم ذلك في عام ١٩٦٢م بعد احتجاجات ومذكرات ومقابلات من اتحاد الطلاب للزعماء السياسيين ووزراء الحكومات المتعاقبة والتي تطورت أخيراً إلى جامعة أم درمان الإسلامية عام ١٩٦٤م وذاع صيت الجامعة.

الفصل الرابع

ملامح من تاريخ
جامعة أم درمان الإسلامية

أ - مقدمة :

عندما دخل الإنجليز السودان في عام ١٨٩٨م مستخدمين السلاج الناري الحديث ضد السودانيين الذين كانوا يحاربون بالسيف والرمح فقط، أدرك المخلصون من أبناء هذا البلد أن الاستعمار سوف يستهدف الأمة في أعظم مقوماتها ودينها ولغتها وتراثها، وسوف يستخدم التعليم كأمضى وسيلة للوصول إلى هذه الغاية، فقرر هؤلاء المخلصون من أبناء السودان أن يشكلوا حماية لمقومات المجتمع السوداني المسلم وعلموا أنه لن تكون هذه الحماية إلاّ بالتركيز على دراسة القرآن والسنة والمحافظة على هوية الأمة وعلى الثقافة الوطنية.

قاد الشيخ محمد البدوي مع علماء آخرين هذه الحركة وهي حركة دوافعها ومقاصدها مقاومة الاستعمار وعدم ترك الساحة له حتى لا يعبث بمسار الأمة. وكانت البداية في سبتمبر ١٨٩٩م، واستمرت هذه الحركة نحو ثلاثة عشر عاماً أو تزيد وفي سنة ١٩١١م توفى الشيخ محمد البدوي فتولى قيادة لجنة العلماء الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم سنة ١٩١٢م. وقد قام الشيخ أبو القاسم بوضع هذه المؤسسة في منظمة حديثة وجعلت في ثلاث مراحل: المتوسطة والثانوية والجامعية؛ كل مرحلة أربع سنوات.

ومضت الجامعة تسير إلى الأمام تحت مسميات مختلفة (المعهد العلمي - الكلية الإسلامية - الجامعة الإسلامية).

كانت بدايات هذه الجامعة مقتصرة على الدراسات الإسلامية والدراسات العربية، ثم توسعت في الستينات قليلاً حتى أصبحت تضم أربع كليات، ومنذ عام ١٩٩٠م توسعت بصورة واضحة وواثقة حيث أكملت حتى كتابة هذه الأسطر ثلاث عشرة كلية للطلاب وثلاث عشرة كلية موازية للطالبات، بجانب مراكز بحوث ووحدات ودور ومكتبات متعددة. ولعله من الأوفق أن نذكر أسماء هذه الكليات وكل اسم تحته كلية للطلاب وكلية للطالبات نظراً للفصل في الدراسة بين الذكور والإناث، وهي كما يلي :

١ . كلية الشريعة والقانون.

٢ . كلية أصول الدين.

٣ . كلية اللغة العربية.

٤ . كلية الطب.

٥ . كلية الهندسة.

٦ . كلية الصيدلة.

٧ . كلية العلوم.

٨ . كلية الآداب.

٩ . كلية الاعلام.

١٠ . كلية التربية.

١١ . كلية الاقتصاد والعلوم السياسية .

١٢ . كلية الزراعة .

١٣ . كلية العلوم الادارية .

والعزم معقود على مواصلة فتح الكليات في التخصصات الأخرى المختلفة التي لم تفتتح حتى الآن وفي مقدمتها كلية المختبرات الطبية، وكلية الأسنان .

وقد خطت الجامعة خطوة أخرى في درب توسعها قاصدة إفادة أبناء الأمة ما أمكنها ذلك فافتتحت فرعاً لها بلبنان تحت اسم (جامعة الجنان) ويشتمل حتى الآن على الكليات الآتية :

١ . الدراسات الإسلامية ٢ . العلوم الادارية والمعلوماتية .

٣ . الاعلام ٤ . العلوم الصحية ٥ . التربية .

ويقوم هذا الفرع بجانب الدراسات الجامعية بتقديم دراسات عليا (دبلوم، ماجستير، دكتوراة) .

كما افتتحت فرعاً لها بدمشق ويضم هذا الفرع حتى الآن ثلاث كليات هي :

١ . الشريعة والقانون ٢ . أصول الدين

٣ . الاعلام

ويقوم هذا الفرع بجانب الدراسات الجامعية دراسات فوق الجامعية (دبلوم، ماجستير، دكتوراة) .

كما افتتحت هذه الجامعة دراسات عليا (ماجستير ودكتوراة) بصنعاء بجمهورية اليمن (ضمن جامعة العلوم والتكنولوجيا) في التخصصات الآتية:

١ . الشريعة والقانون ٢ . الاعلام ٣ . العلوم السياسية .
٤ . الاقتصاد .

كما افتتحت الجامعة فرعاً لها بماليزيا يشتمل على تخصصات تطبيقية وغير تطبيقية، وقد وقعت الجامعة اتفاقية لافتتاح فرع لها بالسنغال .

جامعة أم درمان الإسلامية عضو مؤسس وفاعل في جميع اتحادات الجامعات في العالم فهي :

١ . عضو مؤسس في اتحاد الجامعات الافريقية منذ ١٩٦٧م .
٢ . عضو مؤسس في اتحاد الجامعات العربية ابتداءً من ١٩٦٩م وقد نالت على مستوى مديرها عضوية اللجنة التنفيذية لهذا الاتحاد ابتداءً من ١٩٩٧م إلى ٢٠٠١م .
٣ . عضو مؤسس في رابطة الجامعات الإسلامية ١٩٦٩م، والجامعة عضو في المجلس التنفيذي منذ تأسيسه .
٤ . عضو فاعل في اتحاد الجامعات العالمية منذ ١٩٧٥م .
٥ . عضو مؤسس في اتحاد جامعات العالم الإسلامي منذ ١٩٩٤م .

٦ . عضو مؤسس في اتحاد جامعات شرق ووسط أفريقيا .

لقد قدمت الجامعة في مجال الدراسات العليا خدمة وافرة فخرَّجت كفاءات كثيرة من حملة الدكتوراة والماجستير والدبلومات في التخصصات المختلفة وهي تمضي قدماً لسد حاجات الجامعات من الكفاءات .

وقد اهتمت الجامعة بالدبلومات الوسيطة (دبلوم السنتين) في كثير من التخصصات بالجامعة وسوف تستكمل هذه الخدمة بتقديم دبلومات وسيطة في جميع التخصصات التطبيقية وغيرها .

وتهتم الجامعة منذ نشأتها بقوافلها العلمية والثقافية في أنحاء السودان على مستوى أساتذتها وطلابها مما أكسبها مكاناً في نفوس أهل السودان. ويقوم عدد وافر من أساتذة الجامعة ومنسوبيها بنشاط علمي وثقافي واسع في أجهزة الاعلام المختلفة وفي المنابر العامة .

ومنذ نشأة هذه الجامعة ظلت تستوعب طلاباً من أنحاء العالم الإسلامي فانتشر خريجوها في بلدانهم يحملون ويبثون ما نالوه من علوم ومن سلوك كان له الأثر الكبير في الكثير من البلدان . وتواصل الجامعة جهدها في استيعاب الطلاب من الخارج ما وسعها ذلك .

وبذلك فإن الجامعة تقوم بدور عالمي فاعل سيمتد بإذن الله لمصلحة السودان والأمة قاطبة .

ب - موقع الجامعة الجغرافي ومنشآتها وتطورها

بدأت الجامعة الإسلامية أولاً في منازل شيوخها الأوائل ابتداءً من الشيخ محمد البدوي، وانتقلت بعد ذلك إلى جامع أم درمان الكبير وبقيت هناك لفترة، وفي أواسط الأربعينات انتقلت إلى منطقة العرضة، وفي الستينات منحت أرضاً على مقرن النيلين جهة أم درمان وذلك في منطقة (الخُدِّير) على النيل الضفة الغربية. والموقع الذي كان على مقرن النيلين يشمل قصر الشباب والأطفال والمجلس الوطني ومسجد النيلين وجامعة القرآن الكريم. وقد نزعت هذه الأرض حكومة مايو وصادرت أموال الجامعة الإسلامية وحاولت تخفيض الجامعة إلى كلية (وتلك قصة معروفة).

وفي عام ١٩٧٥م راجعت حكومة مايو موقفها بعد جهود من بعض الخيرين ومنحت الجامعة مقراً جديداً إضافياً بمنطقة (أبوسِعد) وهو الموقع الرئيسي الآن. وأول كلية انتقلت لذلك الموقع هي كلية الشريعة والعلوم الاجتماعية عام ١٩٨٦م .وكانت الكليات حينها أربع كليات فقط حتى عام ١٩٩٠م حيث انطلقت حركة الإنشاء والتوسع فيها وفي استيعاب الطلاب إلى أن وصلت المستوى الذي أشرنا إليه سابقاً والآن مواقع الجامعة المختلفة

اجمالاً هي :

١. الموقع الرئيسي في منطقة (أبو سعد) جنوبي مدينة أم درمان، وقد وضعت الخريطة للمدينة الجامعية المتكاملة، وتم التصميم لمدينة جامعية حديثة تجمع كليات الجامعة ومرافقها المختلفة.

٢. الموقع العتيق بمنطقة العرضة ويضم الآن كليات الطالبات ويسمى (مركز الطالبات) وهو الموقع الذي ضم الجامعة منذ الأربعينات.

٣. موقعان في حي ودنوباوي غرب وعند مدخل مدينة الثورة وتوجد بهذين الموقعين بعض الكليات.

٤. موقع في الخرطوم (الحلة الجديدة) على ضفة النيل الأبيض الشرقية وبه كلية الاعلام.

٥. موقع بمنطقة أمبده – به عدد من الدبلومات الوسيطة.

٦. موقع بمدينة الخرطوم بحري يضم عدداً من الدبلومات الوسيطة.

٧. وهناك مواقع للجامعة خارج العاصمة القومية وتقع في: جوبا، كنانة، مروي، والضعين.

وتنوي الجامعة إنشاء مراكز أخرى في ولايات السودان .

كثير من هذه المواقع ضُمت للجامعة خلال عقد التسعينات.

ولقد حدث تطور هائل في البناء والإنشاء وتعبيد الطرق المؤدية للجامعة أو داخلها، وفي التأثيث وصيانة المباني القديمة وإنشاء ميادين الخ،،، الخ.

وتمضي المسيرة إلى غايتها موفقة بإذن الله.

الفصل الخامس

الشيخ محمد البدوي محمد نقد

١٨٤٨ - ١٩١١م



الشيخ/ محمد البدوي محمد نقد

القسم الأول

التعريف بالشيخ

ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : اسمه ونسبه وأسرته.

المطلب الثاني : نشأته وبيئته.

المطلب الثالث : تعلمه.

المطلب الرابع : جهوده العلمية وتلاميذه.

المطلب الخامس:نشاطاته العامةوأعماله الأخرى

المطلب السادس : وفاته.

المطلب الأول : اسمه ونسبه وأسرته :

اسمه ونسبه :

هو الشيخ محمد بن البدوي بن نقد بن عثمان، أمه التومة بنت الحاج أحمد بن بشاره، أبوها شقيق إسماعيل الولي.

ولد الشيخ محمد البدوي ببلدة (قنتي) التابعة لمحافظة مروي بالولاية الشمالية عام ثمانية وأربعين وثمانمائة وألف للميلاد (١٢٦٥هـ). وينتمي لقبيلة البديرية الدهمشية التي استقرت في هذه المنطقة منذ عهد بعيد واشتهرت بالعلم والتفقه في الدين.

أزواجه وأولاده :

كان لشيخنا الجليل أربع أزواج أنجب منهن جميعاً وهن :

١ . الزوجة الأولى : آمنه، وأولادها أحمد والطيب وزينب ونفيسه.

٢ . الزوجة الثانية : نصره، وأولادها الفاتح والقاسم وفاطمه.

٣ . الزوجة الثالثة : فاطمه علي حسن، وأولادها الفاضل والمأمون وحرم وخديجة.

٤ . الزوجة الرابعة : نفيسه، وأولادها الحنفي وأم سلمه وأم هاني وحفصه.

المطلب الثاني : نشأته وبيئته :

نشأ في بيئة يعمل أفرادها بالزراعة وكان والده مع عمله بالزراعة يعلم الصبية القرآن الكريم ومبادىء الفقه ومن هؤلاء الصبية ابنه. وقد هاجرت الأسرة الكريمة إلى مدينة «الأبيض» وكان الشيخ آنذاك في الثامنة من عمره، وهناك وجد مرتعاً خصيباً للعلم والمعرفة بين أعمامه الأزهريين.

المطلب الثالث : تعلمه :

بعد أن أشرنا في المبحث السابق إلى مباديء تعلم الشيخ محمد البدوي مع والده «بقنتي» وتعلمه الفقه على أعمامه في «الأبيض» نخص بالذكر هنا الفترة التي قضاها في طلب العلم بالأزهر الشريف لطولها وأهميتها حيث امتدت لاثنتي عشرة سنة ففي عام ١٨٦٦م ستة وستين وثمانمائة وألف من الميلاد هاجر هو وابن خالته «أحمد الأزهري» إلى مصر عن طريق «درب الأربعين(١)» وقد كان السفر بهذا الطريق يتطلب عزيمة وصبراً لمشقته، وهناك التحق بالأزهر الشريف وقضى به اثنتي عشرة سنة كما أسلفنا، تلقى فيها العلوم المختلفة في الفقه واللغة العربية وغيرها من العلوم، ونخص هنا أشهر شيوخه بالذكر ألا وهو الشيخ عليش(٢) الذي كان علماً من أعلام الأزهر، ودرس على يديه الفقه المالكي، وتخرج الشيخ محمد البدوي بتفوق وقد أحرز تقدير الامتياز الذي كان يسمى «الذكر الحسن» وكان ذلك في عام سبعة وسبعين وثمانمائة وألف للميلاد، ومما أفاده من حضوره حلقات الشيخ عليش غير الفقه شهوده المناظرات التي كانت تجري بين شيخه «الشيخ عليش» وجمال الدين الأفغاني الأمر الذي كان له الأثر في تكوينه الفكري.

---

(١) درب الأربعين : طريق بري قديم يربط بين مصر والسودان.

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد عليش كنيته أبو عبدالله، فقيه من أعيان المالكية، مغربي الأصل ولد بالقاهرة وتعلّم بالأزهر، ولما كانت ثورة عرابي باشا اتهم بموالاتها فأخذ من داره وهو مريض وألقى في سجن المستشفى فتوفى فيه بالقاهرة سنة ١٢٩٩هـ الموافق ١٨٨٢م، وكان ميلاده عام ١٢١٧هـ الموافق ١٨٠٢م. وله تصانيف أشهرها فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك مطبوع وهو جزءان جمع كل فتاويه.

المطلب الرابع : جهوده العلمية وتلاميذه :

أ. جهوده العلمية :

بعد أن عاد من مصر ألقى الشيخ محمد البدوي عصا الترحال ببلدة « أم شنقة » بمنطقة « جبل حله » شرق مركز أم كدَّادة بشمال دارفور. وقي بلدة أم شنقه أخذ ينشر العلم بين أهلها حيث درَّسهم العلوم الإسلامية المختلفة ولاسيما الفقه على مذهب الإمام مالك المنتشر بالسودان. وفيها ذاع صيته حتى عرف بلقب (ود البدوي راجل أم شنقه)(١). بعدها انتقل إلى مدينة أم درمان استجابة لدعوة الإمام محمد أحمد المهدي (وسيرد الكلام عن هذه الفترة لاحقاً)(٢) ويعنينا هنا نشاطه التعليمي حيث واصل جهوده في نشر العلم متخذاً منزله مقراً للتعليم، فكان طلاب العلم يتقاطرون عليه من كل حدب وصوب. وكان يدرس معه نخبة من الشيوخ اتخذوا نظاماً يتخرج فيه هؤلاء الطلاب بأن يعقد لهم امتحان يمتحنون بمقتضاه (الاجازات العلمية) وكان هذا النظام النواة الأولى لمعهد أم درمان العلمي الذي أصبح فيما بعد جامعة أم درمان الإسلامية (وكانت بدايته في سنة تسع وتسعين وثمانمائة بعد الألف ١٣٢٠هـ - ١٨٩٩م).

لم يعتمد الشيخ محمد البدوي تأليف الكتب وسيلة

---

(١) هذه العبارة باللهجة السودانية تشير إلى أنه أعظم شيوخها وأعلامها.

(٢) صفحة ٦٧ من هذا الكتاب.

لنشر العلم، بل اعتمد التدريس وسيلة لذلك، شأن أكثر العلماء في الماضي مع أنه أُثر عنه كتاب واحد اسمه (التراخيص في علم المواريث).

ب. تلاميذه :

تتلمذ على الشيخ محمد البدوي عدد كبير من التلاميذ ليس من الممكن حصرهم في هذا المقام ولكن نذكر بعضاً منهم فيما يلي[١] :

« ١ » الشيخ علي أدهم.

« ٢ » الشيخ عبدالكريم النويري.

« ٣ » السيد / عبدالرحمن المهدي.

« ٤ » الشيخ قريب الله أبو صالح.

« ٥ » الشيخ آدم الفاشراوي.

« ٦ » الشيخ الشبلي الكبير.

« ٧ » الشيخ آدم علي الضرير.

« ٨ » الشيخ محمد عبدالله العمرابي.

« ٩ » الشيخ الصلحي الكبير.

« ١٠ » الشيخ أحمد أبو سبيب.

« ١١ » الشيخ محمد سعيد العباسي.

« ١٢ » السيد / علي الميرغني.

---

(١) نقلاً من وثائق الأسرة.

المطلب الخامس : نشاطاته العامة وأعماله الأخرى :

أ/ طلب المهدي بلشيخ محمد البدوي :

لما نشبت الثورة المهدية (١٢٩٨هـ) إحدى وثمانين وثمانمائة وألف من الميلاد بقيادة الإمام محمد أحمد المهدي والتف حولها الناس أخذت تزحف على المدن وتفتحها مدينة بعد أخرى، ومن أهم هذه المدن مدينة الأبيض التي دخلها الإمام محمد أحمد المهدي عام ١٨٨٣م، وهنا أرسل الإمام محمد أحمد المهدي إلى العالم الذي ذاع صيته الشيخ محمد البدوي رسالة يدعوه فيها إليه فلبى الشيخ الدعوة ولقى المهدي حيث استقبله استقبالاً كبيراً واحتفى به وأكرم وفادته. وحينما بايعه الشيخ في هذا اللقاء كساه الإمام محمد أحمد المهدي عمامة بدل الزي الأزهري، وكان هذا الأمر يعتبر نوعاً من التكريم والتعظيم لا يناله إلاّ الشيوخ والعلماء. ومن مظاهر احتفاء الإمام المهدي بالشيخ البدوي كذلك أنه كان يناديه بأحب ألقابه وهو (راجل أم شنقه). وقد كان الشيخ أهلاً لهذا التكريم لمشاركته في الدعوة المهدية حيث لازم الإمام محمد أحمد المهدي وشاركه في المعارك. ومن أولى هذه المعارك معركة شيكان (١٠ نوفمبر ١٨٨٣م) التي أبلى فيها بلاءً حسناً. وظل الشيخ محمد البدوي ملازماً للإمام المهدي حتى فتح الخرطوم وحتى وفاة الإمام المهدي.

ب/ نشاط الشيخ محمد البدوي في عهد الخليفة عبدالله :

واصل الشيخ محمد البدوي مناصرته للثورة المهدية في عهد الخليفة عبدالله التعايشي، ولما استحدث الخليفة عبدالله منصب قاضي الإسلام أولاه هذا المنصب في مدينة (بربر) التي كانت من المدن الكبرى في السودان .

ثم طلب الخليفة عبدالله إليه العودة إلى أم درمان وضمه إلى مجلس علماء المهدية وكان المجلس يضم كبار العلماء آنذاك ومن أشهرهم :

« ١ » أحمد ود علي .

« ٢ » إسماعيل عبدالقادر الكردفاني .

« ٣ » عبدالقادر ود حمد ود أم مريوم .

« ٤ » أحمد إسماعيل الأزهري الكبير .

« ٥ » النذير خالد الماحي .

« ٦ » عبدالرحمن مضوي .

« ٧ » مدثر الحجاز .

« ٨ » الشيخ السناري .

وغيرهم من كبار العلماء، وظلّ المجلس طيلة سنوات الدولة المهدية ينظر في كل القضايا ويصدر الفتاوى والأحكام حتى نهاية الدولة المهدية عام ١٣١٥هـ - ١٨٩٨م .

وقد تواصلت مجاهدات الشيخ محمد البدوي مع الخليفة عـبـدالله وهاجـر الشـيخ مـحـمـد البـدوي إلى أم دبيكـرات التي استشهد فيها الخليفة (١٣١٥هـ الموافق ١٨٩٨م).

ج/ جهاد الشيخ محمد البدوي بعد الغزو الثنائي :

عند دخـول القـوات الإنجليـزية المصـرية مـدينة أم درمـان استباحوا حرمات المدينة لمدة ثلاثة أيام وعاث الجنود فيها فساداً، وقد كان الشيخ البدوي يذود عن الأسر ويحميها من تعدي الغزاة أمام منزله فلم يجرؤ أحد على اقتحامه وكان ملاذاً آمناً لكبار القوم المطلوبين للمحاكمة، ولعل ذلك خشية منهم لما يعلمونه من محبة الناس له والتفافهم حوله، وعسى أن يكون هذا أيضاً سبباً لتعيينه شيخاً لعموم علماء السودان.

و ربما رمـوا من وراء هذا التـعـيين إلى تحـقـيق مـآربهـم في تثـبيـت نظمـهـم وأركـان حكمـهـم بالاسـتـعـانة بمن هم أقـرب إلى المواطنين مثل الشيخ محمد البدوي. غير أنهم لم يظفروا ببغيتهم من هذا الشيخ القوي الشخصية، الذي لم يغره هذا المنصب ولم يغيِّر مواقفه البطولية تجاه الحكم الثنائي، ومواقفه الصلبة معهم خير شاهد على ذلك، ونشـير هنا إلى أحـد هذه المواقف وهو رفـضـه الموافقة على فرض الضرائب الباهظة على المواطنين وفتواه الشـهيرة بأنه لا يجوز فرض هذه الضرائب الباهظة على المسلمين.

د/ فتاوى الشيخ محمد البدوي :

١. فتوى مسجد الخليفة :

أفتى أحد العلماء بجواز تحويل مسجد الخليفة إلى سوق بناءً على توصية من الإنجليز، فما كان من الشيخ محمد البدوي إلا أن عارض هذه الفتوى وأفتى ببطلانها وقال إنه لا يجوز أن يحول مسجد أقيمت فيه صلاة الجمعة وصلاة الجماعة لغرض دنيوي آخر، فأُسقط في أيدي الإنجليز الذين كانوا يريدون محو آثار الثورة المهدية.

٢. فتواه في(النَوبَة)(١) ومواجهة المفتش الإنجليزي :

في أيام المولد النبوي الشريف كانت مجموعة من أهل الطرق الصوفية تذكر الله على ايقاع ضربات (النوبَة). ويومئذٍ لم تستطع زوج المفتش الإنجليزي النوم فشكت لزوجها الذي أحال الأمر للشيخ محمد البدوي ليقوم بايقاف هذا الذكر الذي يمثل في نظر المفتش وزوجه ازعاجاً، غير أن الشيخ أفتى بغير ما أراد وأمر القوم بالمضي في ذكرهم ونوبتهم مستنداً في ذلك على أن مخالفة الكفار واجبة في أمر الدين.

٣. فتواه بوجوب التمسك بعزة الإسلام :

وبما أن الشيخ البدوي كان قاضياً للإسلام كان الحكام

---

(١) النُوبة : هي الطبل الضخم وتنطق بحركة على النون بين الضمة والفتحة.

الإنجليز يسعون إلى منزله للقائه والتشاور معه في أمور المسلمين، وكان للشيخ أحد الخدام يسمى «مرجان» وكان الشيخ يسأله عند قدوم أحد الحكام الإنجليز ما إذا كان راجلاً أم راكباً. فإذا كان راجلاً استقبله الشيخ وهو راجل وإذا كان راكباً فإن الشيخ سرعان ما يطلب من مرجان تجهيز حماره ليستقبله راكباً، كذلك معلناً أن المسلم ينبغي أن يتمسك بعزته مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إن العزة لله وللرسول وللمؤمنين﴾(١).

٤. مواقف لا تنسى :

أ/ أذان الشيخ في سرايا الحاكم العام :

جرت العادة أن يقوم الحاكم العام الإنجليزي باحتفالات يجمع فيها الضباط لتكريمهم ومنحهم الأنواط والنياشين بعد تخرجهم. وقد كان الشيخ البدوي من المدعوين لشهود أحد هذه الاحتفالات، واتفق حضور الشيخ مع موعد صلاة المغرب، وهنا هبَّ الشيخ ورفع صوته بالأذان للصلاة الأمر الذي أدهش الإنجليز وجميع الحاضرين! ولم يستطع الحاكم العام ولا من حوله اعتراض الشيخ البدوي، وكان هذا أول أذان يؤدى بسرايا الحاكم العام الإنجليزي.

---

(١) سورة النور، الآية رقم (٨).

ب/ مناظرته الشيخ محمد عبده :

في عام ١٩٠٢م - ١٣١٩هـ جاء الشيخ محمد عبده إلى الخرطوم بدعوة من حكومة السودان لتنظيم أعمال القضاء الشرعي. وحدث أن التقى بالشيخ محمد البدوي، فعقدا مناظرة فقهية كبيرة شهدها جمع غفير من المهتمين وقد ظهرت فيها قدرات الشيخ محمد البدوي

المطلب السادس : وفاته :

بعد عمرٍ عامر بالمجاهدات والبذل والعطاء في كافة الميادين، صعدت روح الشيخ محمد البدوي الطاهرة إلى بارئها عام ١٣٢٨هـ - ١٩١١م. ويقال إنه مات مسموماً بتدبير من الإنجليز لأنه كان يقف حجر عثرة في طريق مخططاتهم ومصالحهم سيما وهو شيخ عموم علماء السودان، وكان لا يداهنهم ولا يخشى في الحق لومة لائم.

القسم الثاني

ليلة التوثيق

ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : كلمة عن الليلة.

المطلب الثاني : برنامج الليلة.

المطلب الثالث : كلمة الجامعة.

المطلب الرابع : كلمة أسرة الشيخ البدوي.

المطلب الخامس:كلمات وخواطرقدمت في الليلة

المطلب الأول : تقديم :

في يوم الاثنين الثالث من جمادى الثاني من عام خمسة عشر وأربعمائة وألف للهجرة (٣جمادى الثاني ١٤١٥هـ) الموافق السابع من نوفمبر عام أربع وتسعين وتسعمائة وألف للميلاد (٧ / ١١ / ١٩٩٤م) وبقاعة الإمام مالك بن أنس بمباني جامعة أم درمان الإسلامية بالعرضة كانت أول أمسية من سلسلة أمسيات توثيق حياة علماء الجامعة الإسلامية وهي أمسية الشيخ محمد البدوي محمد نقد.

وقد حضرها جمع غفير من أهل الشيخ ومحبيه، ومن رجال العلم وطلابه، ومن المواطنين، ومن المهتمين بتاريخ السودان وتوثيقه نساءً ورجالاً.

المطلب الثاني : برنامج الليلة :

احتوى برنامج الأُمسية على فقرات متعددة ذكرت فيها مآثر الشيخ ودوره الرائد في التأسيس لانشاء الصرح العملاق الصامد جامعة أم درمان الإسلامية. كان في استهلال هذه الأمسية الأولى في توثيق حياة علماء جامعة أم درمان الإسلامية.

القرآن الكريم وقد تلا الآيات الشيخ الدكتور الطيب محمد حامد التكينة عميد كلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية آنذاك.

وتوالت من بعد فقرات برنامج أمسية التوثيق فكانت على النحو التالي :

١. كلمة الجامعة قدَّمها مدير الجامعة البروفسير/ علي أحمد محمد بابكر.
٢. كلمة الأسرة قدَّمها الأستاذ صلاح الفاضل البدوي حفيد الشيخ.
٣. خاطرة اللواء م. أبو قرون عبدالله أبو قرون « سبط الشيخ ».
٤. فاصل من المدائح النبوية، قدَّمه أولاد الشيخ عبدالرحيم البرعي.
٥. اختتم برنامج الأمسية بما بدأت به آيات من الذكر الحكيم.

المطلب الثالث : كلمة الجامعة :

ألقاها البروفسير علي أحمد محمد بابكر

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الاخوة الحضور.

أسرة الشيخ الجليل محمد البدوي.

أسرة الجامعة الإسلامية.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ،،

أولاً : نسأل الله أن يجزيكم جميعاً خيراً على حضور هذه الأمسية المباركة بإذنه تعالى.

ثانياً : اهتمت الجامعة الإسلامية بهذا التوثيق إيماناً منها بأن تاريخ هذا البلد لم يكتب كله بعد.

فإن الاهتمام الذي بدأته الجامعة الإسلامية بالتوثيق لعلمائها الذين قادوا مسيرتها هو في الحقيقة اهتمام بتوثيق لجامعة هي حركة الإسلام في السودان والذي دخل في بدايات القرن الأول الهجري، فجامعة أم درمان الإسلامية والعلماء الذين أقاموها وقادوا مسيرتها هي امتداد لهذا التاريخ المشرق الذي بدأ منذ عهد

الخليفة الثالث عثمان بن عفان مروراً بمملكة سنار وبدولة المهدية يتخلل كل ذلك عمل إسلامي صادق في أنحاء السودان تحفيظاً للقرآن ونشراً للفقه والإيمان من رجال وهبوا أنفسهم لهذا المقصد السامي .

فهذه الجامعة هي خلاصة ذلك التاريخ وخلاصة تلك القيم، وعندما دخل الإنجليز السودان وهم يعرفون خطورة السودان في أفريقيا وما حولها من البلاد . . عندها قرروا القضاء على الإسلام والمسلمين فيه . . هناك قرر علماء المسلمين في السودان الانحياز إلى ترسيخ الإسلام وقيمه ولغته وإلى نشره وحفظ هذه الكنوز التي تدفع كل مؤامرات الاستعمار وكان في مقدمة هؤلاء الشيخ محمد البدوي وكان آخذاً نفسه بشدة فعندما انقطع للعلم بالأزهر قرر ألا يفتح صندوق خطاباته وأن لا يقرأ الخطابات الواردة إليه إلاّ عندما ينهي دراسته . . ولما أتمَّ دراسته فتح الصندوق ووجد أن والده ووالدته قد توفيا منذ فترة .

عندما سمع الشيخ بالإمام المهدي علم أن هذا العلم الذي تعلمه يجب أن يعمل به خاصة في مجال الجهاد فانضم لحركة المهدي وخاض معركة « شيكان » و « الخرطوم » و « كرري » وعندما احتل الإنجليز الخرطوم وأباحوا مدينة أم درمان لمدة ثلاثة أيام قرر أن ينحاز للعلم ونشره لحفظ القيم وبدأ بالفعل يجمع العلماء قبل أن

يكون رئيساً للجنة العلماء حتى يستطيع أن ينفذ خطته ووجه العلماء أن يقيموا دروسهم في منازلهم وجمع قادة هذا البلد الروحيين والفكريين وبدأ يثبت فيهم العلم والوطنية. ثم تبيَّن للإنجليز أنه بدأ يعبيء الناس فبدأوا العمل ضده وهناك رواية أنه توفى بدس السم له (أي مات مسموماً).

هذا الشيخ الجليل وضع أسس هذه الجامعة في أوائل هذا القرن الميلادي وكان هو واخوته من العلماء يقومون بتدريس الطلاب ويمنحونهم الشهادات، وعندما توفى عام ١٩١١م تولى بعده الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم الذي وجد الأساس فقرر أن يضع هذا الصرح في صورة حديثة فوضع هذه المؤسسة في شكل ثلاث مراحل دراسية: المتوسطة، الثانوية، والجامعية وكان ذلك في عام ١٩١٢م.

لهذا يكون الشيخ محمد البدوي قد قدَّم للسودان خدمة جليلة لأنه في تلك الأيام كان يمكن أن يعدم الإنجليز التراث والدين الموجود الذي يحمله العلماء لولا الحكمة التي تحلى بها وذلك الجهد الذي بذله لذلك فإننا نردد دائماً أن هذه الجامعة قد أسست على التقوى ولهذا فهي تثبت ضد الأعاصير مهمّا كانت عاتية والإنجليز ما كانوا يعترفون بهذه الجامعة بل كانوا يريدون إسكات أصوات المسلمين في السودان فكانوا لا بعطون خريجي

هذه الجامعة الفرص في التعيين وكانوا يحاصرونهم حصاراً شديداً كي يقتلوهم معنوياً، وكانت السخرية تحيط بهم وبكل المسلمين وقد حضرنا أيام السخرية من الصلاة بعد الإنجليز ورأينا الذين يتخفون بصلاتهم حتى لا يقال إنهم متخلفون. ولكن تثبت الجامعة لهذه الحرب القاسية كما ثبتت للحصار الذي جاء من السودانيين أنفسهم بعد رحيل الإنجليز لأن الحكومات السودانية المتعاقبة لم تعترف بها مع أن الاعتراف بها قد تم في مصر. ومضى الحال هكذا إلى أن تم الاعتراف في عام ١٩٦٠م في عهد حكم عبود للسودان. وفي عام ١٩٦٥م عندما تغير اسمها إلى جامعة بدأت المضايقات فموازنتها لا تساوي موازنة مدرسة ثانوية.

ثم جاءت ضربة كبيرة وقاسية من الشيوعيين في أوائل عهد حكومة مايو التي جاءت في عام ١٩٦٩م وتقرر مصادرة أراضيها وأموالها وأقصيت من وسط أم درمان إلى أطرافها الجنوبية، ثم نهضت هذه الجامعة من تلك الضربة وواصلت مسيرتها ونهضت وتوسعت.

وقد سمعت تلاميذ الشيخ محمد البدوي يتحدثون عنه باحترام وتقدير وإجلال فهم ينتقدون بعض مشايخهم ولكنهم لا ينتقدون الشيخ البدوي، وكانوا يتحدثون عنه حديث الواثق بأن الشيخ قد بثَّ العلم باخلاص فتثبت في قلوب تلاميذه.

هذه الأمسية ستكون جزءاً من كتاب عن السابقين من علماء هذه الجامعة وسيضم إلى ما جاء في هذه الأمسية ما ورد عن الشيخ في المصادر المختلفة(١).

ونرجو عندما تنتهي هذه السلسلة أن نكون قد أسهمنا في كتابة وتصحيح تاريخ السودان وأدعو الله أن يوفقنا لما يرضاه وهو المستعان.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

---

(١) هو هذا الكتاب الذي بين يديك.

المطلب الرابع : كلمة الأسرة :

ألقاها الأستاذ / صلاح الدين الفاضل محمد البدوي ★

بسم الله الرحمن الرحيم
الأخ البروفسير مدير جامعة أم درمان الإسلامية
الاخوة الضيوف الكرام
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

نتحدث إلى جمعكم بالانابة عن أسرة الشيخ محمد البدوي ذلك العالم الذي ارتاد العلوم الإسلامية بعد أن وقف الاستعمار في وجه كل علم، ونذكّر هذا الشعب المقاتل بأمجاده الإسلامية ودولته التي رفعت راية الإسلام عالية خفاقة لمدة ١٨ عاماً.

ولد الشيخ محمد البدوي محمد نقد بقنتي عام ١٨٤٨م وينتمي للبديرية الدهمشية، وكان والده (البدوي) يمتهن الزراعة، وكان صاحب أرض ونخيل، يعلم الصبيان القرآن الكريم ومباديء الفقه، ووالدته التومة بنت الحاج ود بشاره التي تزوج تومتها الشيخ إسماعيل الولي وأنجب منها أحمد الأزهري[١].

★ هو حفيد الشيخ محمد البدوي. تلقى تعليمه الاولي بمدرسة بيت الأمانة والأوسط بمدرسة الاحفاد.

(١) هو والد الزعيم إسماعيل الأزهري.

هاجرت أسرة الشيخ محمد البدوي وهو في سن الثامنة إلى « الأبيض » وهناك تعلم الفقه على أعمامه الأزاهرة، وفي عام ١٨٦٦م ارتحل إلى مصر والتحق بالأزهر وجلس إلى حلقة الشيخ عليش وبقى بمصر اثنتي عشرة سنة ثم رجع إلى السودان عام ١٨٧٨م عن طريق درب الأربعين، وبقى بمنطقة « أم شنقه » حيث تمسك به أهالي المنطقة واشتهر علمه حتى عرف « برجل أم شنقه ».

حضر الشيخ محمد البدوي وعايش المناظرات التي تمت بين الشيخ عليش وجمال الدين الأفغاني وامتدت الخصومة بعد ذلك إلى تلاميذ الشيخين محمد البدوي ومحمد عبده في مصر، وعندما جاء الشيخ محمد عبده إلى السودان في عام ١٩٠٢م جرت بينه وبين الشيخ البدوي مناظرة عنيفة ظهرت فيها قدرات الشيخ محمد البدوي العلمية.

عندما كان الشيخ محمد البدوي بمصر وأثناء دراسته بالأزهر صنع صندوقاً من الخشب يضع فيه الرسائل التي ترد إليه من السودان. وبعد أن أتمَّ دراسته فتح الصندوق.

في عام ١٨٨٣م وبعد فتح الأبيض مباشرة كتب إليه الإمام محمد أحمد المهدي يستدعيه من أم شنقه للبيعة وجاء للمهدي الذي استقبله استقبالاً رائعاً، ونزع عن رأس ود البدوي العمامة الأزهرية وعممه بعمامة المهدية. واستمر ملازماً للإمام المهدي

حتى فتح الخرطوم ووفاة المهدي.

عندما استحدث نظام قضاة الإسلام عينه الخليفة عبدالله التعايشي قاضياً للإسلام في بربر.

عـاد الشـيخ البـدوي بعـد ذلك إلى أم درمـان لينضم إلى مجلس علماء المهدية بعد عامين قضَاهما في بربر.

وقد أقام أثناء المهدية بشرق الملازمين بأم درمان في منطقة « البحيرة » حالياً وبعدها خصص له الخليفة عبدالله منزله الحالي وسط عشيرة الخليفة.

ظلّ عالماً مرموقاً من علماء المهدية حتى معركة كرري وكان رأى ود البدوي وعثمان دقنة بعد المعركة أن يهاجر الخليفة إلى الغرب ومواصلة الجهاد من هناك بعدها استشهد الخليفة في أم دبيكرات عام ١٨٩٩م.

وعند دخول القوات الإنجليزية لأم درمان كان الشيخ محمد البدوي يحول دون دخول الغزاة لمنازل المواطنين ولم يجرؤ أحد على دخول منزله الذي اختبأ فيه كبار القوم.

ثم عين الشيخ قاضياً للإسلام ورفض رفضاً باتاً فرض الضرائب على المسلمين وبدأ تدريس العلوم الإسلامية بمنزله ومعه كثير من العلماء، وكان يمتلك مكتبة ضخمة أيضاً وقد خلّف بعد وفاته مخطوطاً بعنوان (التراخيص في علم المواريث).

تزوج الشيخ ود البدوي بأربعة نسوة أنجب منهن جميعاً

بنين وبنات وتوفى الشيخ محمد البدوي عام ١٩١١م عن عمر يناهز ٦٣ عاماً.

وفي الختام نيابة عن أسرة الشيخ محمد البدوي محمد نقد أزجي شكري لجامعة أم درمان الإسلامية التي حفظت لجدنا حقه وبدأت به في التوثيق لعلماء الإسلام.

ولكم خالص الشكر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المطلب الخامس : كلمات وخواطر :

ملخص لخاطرة اللواء "م" أبو قرون عبدالله أبوقرون★

قدَّم خاطرة حيًّا فيها مدير الجامعة والضيوف، وتحدث عن مجاهدات الشيخ محمد البدوي وتلمذته على يد الشيخ عليش، وتطرَّق للنشاطات العلمية للشيخ محمد البدوي وحضوره للمناظرات التي تمت بين الشيخ عليش والشيخ جمال الدين الأفغاني.

كذلك تحدث عن بعض فتاوى الشيخ محمد البدوي وناشد الذين عاصروا الشيخ البدوي من زملائه وتلاميذه بإعادة مخطوط (التراخيص في علم المواريث) الذي فقد منذ زمن وإعادته للأسرة أو الجامعة الإسلامية.

واختتم خاطرته بالشكر إلى جامعة أم درمان الإسلامية.

★ ضابط سابق بالقوات المسلحة وشاعر ومؤرخ وأديب.

الفصل السادس

الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم

١٨٦١ - ١٩٣٤م



الشيخ / أبوالقاسم أحمد هاشم

القسم الأول :

التعريف بالشيخ

المطلب الأول : اسمه ونسبه وأسرته.

المطلب الثاني : نشأته وبيئته.

المطلب الثالث : تعلمه.

المطلب الرابع : جهوده العلمية.

المطلب الخامس:نشاطاته العامةوأعماله الأخرى.

المطلب السادس : وفاته.

المطلب الأول : اسمه ونسبه وأسرته

هو أبو القاسم بن أحمد بن هاشم بن محمد بن أحمد بن علي الشهير بـ « قمر » ابن إدريس بن رحمة بن إدريس بن إبراهيم بن سرور ابن جودة الله بن عبدالعال بن صنوان بن غانم بن صبع « أبومرخة » بن مسمار ابن سرار بن كزوم بن بضاعة بن ذي الكلاع الحميري بن سعد الأنصاري ابن الفضل بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب عم الرسول ﷺ.

ولد الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم سنة ١٢٧٨هـ الموافق عام ١٨٦١م في قرية « بري المحس » من أعمال مدينة الخرطوم من أبويين، نشأ في أسرة دينية عريقة، فأمه «آمنه بنت وهب» « الفقيرة » بنت الفقيه « محمد المبارك » شيخ القرآن المعروف في قرية « بري » بالخرطوم و « أم مقت » و « ألتي » بشمال الجزيرة، وله ضريح مشهور بـ « بري ».

كانت والدة الشيخ « أبي القاسم » تحفظ القرآن وتتلوه تلاوة مستديمة. وكان والد الشيخ « أبي القاسم » قد سمعها تتلو القرآن عندما زار والدها في بري وكان عمرها حينئذٍ تسع سنوات فخطبها ثم بنى بها عندما بلغت الثالثة عشرة من عمرها؛ وقد اشترطت عليه للزواج منها أن يدرسها كتاب (مختصر خليل) في الفقه و (صحيح البخاري) في الحديث، وكانت تناقشه نقاش العلماء في هذين السفرين.

ولدت أم الشيخ « أبي القاسم » بنتها الأولى « عائشة » وكانت تدرس حديث أم زرع(١) عن السيدة عائشة أم المؤمنين زوج النبي ﷺ فسمتها بذلك.

ومما يدل على فقهها أنها كانت تحاور زوجها في عدد من المسائل الفقهية مرجحة بعض الآراء الفقهية بناءً على الأدلة التي توصلت إليها؛ من ذلك جدالها لزوجها في مسألة « سؤر الرعاف » بالمختصر(٢) فهو يقول بقول « سحنون » وهي ترجح قول « ابن القاسم » ولذلك أطلقت على ابنها الثاني اسم « أبي القاسم » تيمناً بالفقيه المالكي « ابن القاسم ».

أما أبوه فهو العالم الجليل والقاضي الفقيه الشيخ « أحمد هاشم » قاضي (الخرطوم) و (بربر) وكانت (بربر) في ذلك الوقت مدينة شهيرة زاخرة برجال العلم والعلماء.

وكما أشرنا سابقاً فإن الشيخ أبا القاسم من أصل عربي يتصل نسبه بالعباس عم النبي ﷺ ، نزحت أصول الشيخ أبي القاسم من الجزيرة العربية - كسائر القبائل العربية السودانية - واستوطن أجداده في قرية (كمير الجودلأب)(٣) نسبة إلى جده من أبيه « جودة الله »، اشتهرت بحفظ وتدريس القرآن الكريم وعلومه،

---

(١) حديث أم زرع يتحدث في حسن المعاشرة مع الأهل، رواه البخاري في باب النكاح - رقم (٨٢)، وهو حديث طويل يرجع له في مصدره.

(٢) المختصر : هو مختصر الشيخ خليل.

(٣) الجودلاب : هي قرية من قرى مركز شندي بالضفة الغربية للنيل.

كان لأجداد الشيخ أبي القاسم مسجد يقال إنه كان المسجد الأول في تلك المنطقة ولا يزال هذا المسجد قائماً حتى الآن يقوم بدوره السابق في تحفيظ القرآن الكريم وتدريس علومه وغيرها من الفقه والعلوم الإسلامية.

أزواجه وأولاده :

حذا الشيخ أبو القاسم حذو والده الشيخ أحمد هاشم في الزواج، حيث كان والده رجلاً مزواجاً تزوج عشرين زيجة منهن من طلق ومنهن من توفيت حيث صاهر الشيخ أغلب قبائل السودان الممتدة من (بربر) شمالاً وقرى الجعليين وبعض قرى نهر عطبره حتى الخرطوم في (بري) و (الجريف).

طلباً للذرية والقوة والمنعة تزوج كذلك شيخنا أبوالقاسم من احدى عشرة زوجة، فزادت أسرته بذلك عدداً حيث أنجب ستة عشر ابناً وأربع عشرة بنتاً.

المطلب الثاني : نشأته وبيئته :

نشأ الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم يتيم أمٍ حيث توفيت أمه وهو لا يزال طفلاً يبلغ من العمر اربع سنوات، وتربى في بيئة وجو عبق مضيء بنور العلم ونار القرآن الكريم. محاطاً بظروف روحية ودينية وعلمية عظيمة هيأته ومهدت له الطريق ليقوم بالدور العظيم الذي قام به فيما بعد. كانت أمه حافظة للقرآن الكريم عالمة بالتفسير والحديث. وأبوه كان قاضياً عالماً بالفقه.

المطلب الثالث : تعلمه :

حفظ الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم القرآن الكريم على جده الشيخ محمد المبارك، ثم على يدي الشيخ أحمد ود حسين في (بربر) وكان عمر الشيخ أبي القاسم حينما حفظ القرآن احدى عشرة سنة .

كان والده محباً له معجباً بفطنته وذكائه فألحقه بمسيد(١) الغبش (غرب مدينة بربر) ليتلقى العلوم الدينية والعقلية على يدي الشيخ - الشهير الذائع الصيت في ذلك الزمان - محمد الخير عبدالله خوجلي الذي كانت له مدرسة عامرة تخرج فيها كثير من علماء السودان وكان من أبرز تلاميذ تلك المدرسة الإمام المهدي .

بعد أن نهل الشيخ أبوالقاسم من معين علوم تلك المدرسة نوى السفر إلى الأزهر - قبلة العلماء في ذلك الزمان - للاستزادة من العلوم الشرعية، لكن الله قيض له عالماً أزهرياً هو الشيخ العالم « حسين المجدي - الذي درس على يديه بمسجد « أرباب العقائد » - الجامع الكبير بالخرطوم - كتاب (جمع الجوامع(٢)) في أصول الفقه .

---

(١) المسيد تعني المسجد أو دار حفظ القرآن .

(٢) جمع الجوامع في أصول الفقه تأليف تاج الدين السبكي .

بعد أن نال هذا التأهيل العلمي الراقي شرع يدرس تلك العلوم التي برع فيها بذات المسجد وكان عمره آنذاك اثنتين وعشرين سنة.

المطلب الرابع : جهوده العلمية وتلاميذه :

أ. جهوده العلمية :

في عام ١٩١١م عين الشيخ أبوالقاسم أحمد هاشم شيخاً للعلماء. وكان مقيماً بمدينة ود مدني ومنها وصل أم درمان في مطلع عام ١٩١٢م عن طريق الباخرة حيث لم يكن خط السكة الحديد قد وصل بعد إلى ود مدني.

كان العلماء يدرسون منفردين، وكان الطلاب يسارعون لتلقي العلم في هجير الشمس - من حلقة درس إلى أخرى، إلى الشيخ محمد الأمين الضرير في (بيت المال[1]) إلى الشيخ محمد عبدالماجد في (أبي روف) في (الهجرة) إلى الشيخ العاقب في (ودنوباوي[2]) إلى الشيخ محي الدين دوليب في (الركابية) غرب زريبة الكاشف، إلى الشيخ أحمد المجذوب (شمال ود البنا)، إلى الشيخ النذير خالد الماحي في قرية (الكلاكلة) جنوب الخرطوم، إلى الشيخ أحمد محمد نور في جامع عزمي (بأبي روف)، إلى الشيخ التلب في جامع حلة حمد (بالخرطوم بحري)، إلى الشيخ محمد ود الجريف بالجريف، إلى الشيخ الباقر السيد إسماعيل بمنزله بأم درمان، والشيخ محمد الجزولي بخلوته بأم درمان. وإلى غيرهم من المشايخ.

---

(١) بيت المال حي من أحياء مدينة أم درمان.

(٢) ود نوباوي حي من أحياء مدينة أم درمان.

كان أول عمل يشرع فيه بعد توليه مشيخة علماء السودان أن جمع هؤلاء العلماء - تسهيلاً لمهمة الطلاب في تلقي العلم في مكان واحد - وكوّن من هؤلاء العلماء مشيخة برئاسته وأوجد لهم داراً لتكون مقراً لنشاطهم العلمي الذي كان مبعثراً وآثر الشيخ أبوالقاسم أن يكون هذا المكان هو مسجد أم درمان الكبير الذي كان مبنياً على صورة مبسطة بالبناء التقليدي في ذلك الزمان، ولكن الشيخ شرع في تغيير هذا البناء إلى بناء دائم مستقر فنجح في ذلك هو ومجموعة من الرجال بعد أن وجهوا الدعوة إلى التجار بالتبرع وبعد جمع بعض المال من زريبة الماشية بفرض رسوم عليها، كما أدخلوا فكرة نظام الأوقاف للمسجد.

جمع الشيخ هؤلاء المشايخ ووضع اللوائح المنظمة لجميع أمور المعهد من تخطيط الفصول ومواد الدراسة وسار في ذلك على نهج الأزهر الشريف.

اكتمل بناء مسجد أم درمان الكبير عام ١٩١٥م فصار مؤسسة علمية تربوية يدرس فيها الشيوخ - الذين جمعهم الشيخ أبوالقاسم - العلوم الشرعية، فأخذ المعهد يتدرج نحو الغاية المنشودة منه ففي عام ١٩٢٠م أتم المعهد سنته الثامنة فأخذ في امتحان الطلاب ومنحهم الشهادة الأهلية على غرار الأزهر الشريف، كما أخذ يمنح في نفس الوقت طلبة السنة الرابعة

الشهادة الابتدائية.

انشأ الشيخ أبوالقاسم - بعد أن أقام الأسس العلمية للمعهد - مكتبة ضخمة كان لانشائها قصة وهي أنه طلب من ابنه (المدثر) وكان طالباً بالأزهر أن ينشر في الصحف المصرية حاجة المعهد لانشاء مكتبة - بعد أن عجز عن ذلك من الحكومة المصرية التي كانت علاقاتها مضطربة مع السودانيين - فنشر ابنه بجريدة (المقطم) هذا النداء، فجاءت للمعهد نحو ٢٠٩١ مجلداً من أنفس وأقيم الكتب منها على سبيل المثال تفسير الإمام الطبري، والدر المنثور للسيوطي وحواشي البيضاوي للشهاب وغيرها من أمهات الكتب، وكانت ثروة علمية وأدبية لا تقدر بثمن.

حينما بلغ المعهد أشده انشأ الشيخ أبوالقاسم ندوة سميت (ندوة الأربعاء) تلقى فيها المحاضرات والندوات العلمية والمناظرات ويدور النقاش فيها حول السيرة النبوية العطرة وتاريخ الخلفاء الراشدين وصدر الإسلام، والرسائل الأدبية والتأريخية الأخرى، وقد كانت ندوة زاخرة حافلة أوجدت في المعهد حركة أدبية وعلمية قوية خلال الأعوام ١٩٢٨ - ١٩٣٢م.

وكان الشيخ أبوالقاسم يشرف على ندوة الأربعاء بنفسه ويوجهها نحو غايتها الصحيحة، ثم ترك أمرها لجمعية الطلاب

الأدبية. وقد تخرج من هذه الندوة الأدبية كُتَّاب وشعراء خالدون أمثال التجاني يوسف بشير ومحمد عبدالوهاب القاضي والهادي العمرابي وخالد آدم بن الخياط، وخالد عبدالرحمن (أبوالروس) المسرحي الشهير.

ثم أدخل الشيخ أبوالقاسم مجموعة من العلوم العصرية - في ذلك الزمان - لتدرس في المعهد العلمي فأخذ الطلاب في تلقي علوم الجغرافيا والحساب والإنشاء على أيدي أساتذة أجلاء من أمثال الأستاذ حسين منصور.

وكان يهتم أيما اهتمام بطلابه فضمن لهم وظائف في القضاء والتدريس وغيرها من مجالات العمل.

وبذا يكون قد ترك آثاره واضحة في مسيرة المعهد العلمي فاصبح المعهد مؤسسة علمية متكاملة تحت نظام شامخ ثابت، تخرج فيه علماء وأدباء مقتدرون.

كانت تلك وقفة مع حياة العالم الجليل أبي القاسم أحمد هاشم في معهد أم درمان العلمي نواة جامعة أم درمان الإسلامية. وهي ملحمة وطنية إسلامية تربوية أصيلة، استندت إلى عقيدة الشيخ الإسلامية الواضحة، وعلى صدق توجهه الأصيل وعلى قوة عزيمته ومقدرته التخطيطية الرائعة التي كان يتوخى فيها التدرج والاناة وتلمس الخطي.

ب. تلاميذه :

تخرج على يدي الشيخ الجليل أبي القاسم أحمد هاشم أجيال من العلماء والأساتذة الذين أسهموا بقدر كبير فيما بعد في تطور وترقية التعليم في السودان، منهم من تلقى العلم على يديه بمسجد الجامع الكبير بالخرطوم (أرباب العقائد) من هؤلاء المشايخ :

١ . عبدالله الترابي .

٢ . إبراهيم أبوالنور .

٣ . يوسف إبراهيم النور .

٤ . مجذوب مدثر إبراهيم الحجاز .

٥ . إبراهيم أحمد ياجي .

٦ . عبدالرحمن حماد مردس .

٧ . عبدالرحمن دفع الله أحمد .

٨ . عبدالملك أبو القاسم أحمد هاشم .

٩ . علي محمد الصلحي عثمان .

وغيرهم من العلماء والمشايخ الذين قدَّموا الكثير .

المطلب الخامس : نشاطاته العامة وأعماله الأخرى :

كان الشيخ أبوالقاسم رجلاً بارزاً في الحياة الاجتماعية في السودان في فترة المهدية في الربع الأول من القرن العشرين، فقد كان بسيطاً مهيباً، تراه لابساً قفطان الدبلان وجبة الدريل وراكباً على (حمارته) ذارعاً بها شوارع أم َدرمان جيئة وذهاباً إلى عمله في معهد أم درمان العلمي بالجامع الكبير.

وكان منزله مضيفة ونادياً للعلماء وطلبا العلم، فقد كان الشيخ يؤوي طلاب الأقاليم لمباشرة دراستهم دأبه في ذلك دأب أهل أم درمان إذ يستضيف عدد كبير من أهلها الطيبين طلاب المعهد الذين يفدون من جهات السودان المختلفة لينهلوا من معين العلم.

وفي رمضان كان الشيخ يعقد حلقة عامرة بالعلماء يتدارسون فيها بعد صلاة العشاء (صحيح البخاري)، كما كان يقوم ليلة ٢٧ رجب بقراءة قصة المعراج.

انشأ الشيخ أبوالقاسم الصندوق الأهلي ليكون دعامة للصرف على المشاريع العلمية والخيرية.

عندما احتدم النقاش والخلاف بين جماعات الخريجين في ناديهم بأم درمان وانتشر الخلاف حتى انقسموا إلى فريقين (جماعة شوقي) و (جماعة الفيل) دعا الشيخ أبوالقاسم الفريقين إلى اجتماع صلح تم في منزله.

تعدت مكانة الشيخ أبي القاسم العلمية والاجتماعية إطار السودان وذاع صيته واشتهر بعلمه في كل أنحاء البلاد الإسلامية لذلك وحينما سافر في عام ١٩٢٦م لأداء فريضة الحج دعى لحضور أول مؤتمر إسلامي عالمي بمكة المكرمة، ولما حضر رئيس الوفد المصري الشيخ الأحمدي الظواهري - شيخ الجامع الأزهر - احتج على حضور الشيخ أبي القاسم بحجة أن السودان جزء لا يتجزأ من مصر ولا يصح أن يمثل بحضور شخص في هذا المؤتمر، وأن الوفد المصري له الصلاحيات ليمثل السودان.

ازاء هذا الاحتجاج المصري حدث أول خلاف داخل المؤتمر بين الدول المشاركة، وأخيراً وافق المؤتمرون على حضور الشيخ أبي القاسم - شيخ الإسلام في السودان - جلسات المؤتمر بصفته الشخصية، وقد برر المؤتمر حضوره لمكانته العلمية والدينية في السودان، وللمكانة التي يتمتع بها خارج السودان، ولجهوده الكبيرة في نشر تعاليم الإسلام، فكان هذا تعظيماً له ولمكانته، وربما يكون الشيخ أول سوداني يمثل البلاد بصفته الشخصية في مؤتمر عالمي.

أما إذا انتقلنا إلى نشاطه وجهوده في السياسة نجد له مجاهدات واضحة وكبيرة في هذا المضمار تتجلى منذ أن حاصر الإمام المهدي الخرطوم بغية استردادها من المستعمرين، وكان الشيخ أبوالقاسم في (بري المحس) يتردد على الخرطوم لتلقي العلم من

مسجد أرباب العقائد، بينما كان الإمام المهدي يقيم في قرية (أم عضام) جنوب الخرطوم فارضاً الحصار على العاصمة حيث ذهب إليه الشيخ أبوالقاسم واخوته محمد والشيخ الطيب مع والدهم ضمن جماعة الشيخ محمد الخير – وكانوا تلاميذه – كما كان المهدي وبايعوه، وبعد المبايعة قربهم الإمام المهدي إليه واحتفظ الإمام المهدي بالشيخ أبي القاسم كاتباً معه وكان عمره آنذاك خمسة وعشرين عاماً، وكان أول منشور كتبه، منشور الإمام المهدي إلى علماء مصر.

بعد وفاة الإمام المهدي استمر الشيخ أبوالقاسم كاتباً لأسرار الخليفة عبدالله فساهم في تسجيل آثار المهدية التعليمية. ورغم ما تعرض له الشيخ أبو القاسم من دسائس واصل الشيخ عمله هذا دون كلل أو ملل باخلاص وتفانٍ شديد وحاز على ثقة الخليفة عبدالله.

عندما استولى الجيش البريطاني على الحكم لم يكن الشيخ أبوالقاسم جهادياً في جيوش الخليفة لذلك سمح له الخليفة بأن يظل في داره محافظاً على أسرار المهدية. بعد أن تأكد الشيخ من نهاية جيوش المهدية طلب من أهل داره أن يوقدوا ناراً وأحرق كثيراً من الأوراق التي كان يحتفظ بها، وبعد أن دخلت جيوش الإنجليز إلى أم درمان كان من أوائل الأعمال التي قامت بها أن ذهب إلى الشيخ أبي القاسم بعض الضباط فيهم سلاطين باشا

الذي كان يعرفه منذ أن كان في أسر المهدية وطلبوا منه تسليم جميع الوثائق والرسائل التي يحتفظ بها أبي وقال لهم: «إنني لا أملك شيئاً، لقد ذهب كل شيء مع صاحبه»، وألحوا عليه تارة بالتهديد، وتارة بالوعيد وتارة بالترغيب، ولما تبيَّن لهم الأمر انصرفوا وقال له سلاطين: «لقد أضعت فرصة كبيرة يا شيخ أبوالقاسم».

عاصر الشيخ أبوالقاسم ثورة ٢٤ التي قامت بها مجموعة من الشباب، وكان للشيخ أبناء شاركوا في هذه الثورة منهم ابنه محمد الأمين أبوالقاسم الذي ظهر اسمه ضمن أعضاء جمعية اللواء الأبيض التي أيدت سعد زغلول بارسالها لرسالة بواسطة التلغراف. وقد أيَّد الشيخ أبوالقاسم هؤلاء الشباب في ثورتهم ضد الاستعمار.

بعد نهاية هذه الثورة ضرب المستعمر ستاراً حديدياً على السودان بتعيين السير جون مفي حاكماً للسودان عام ١٩٢٧م ومعه السير هارولد مكمايكل السكرتير الاداري الاستعماري المتغطرس.

وقد حدثت للشيخ كثير من المناقشات والمنازعات مع المستر بل السكرتير القضائي آنذاك حتى ضاقوا بالشيخ ذرعاً فأحالوه للمعاش عام ١٩٣٢م وكانوا - أي الإنجليز - يوجهون إليه الدعوات في المناسبات ليحضرها في القصر باعتباره من الوجهاء

والأعيان من الدرجة الثالثة إمعاناً منهم في إذلاله ورفض الشيخ ذلك الوضع في إباءٍ وشمم ورفض تلبية جميع دعواتهم.

أما جهود الشيخ أبي القاسم ونشاطه في مجال القضاء فهي كثيرة كثرة واضحة، فقد عمل – قبل ترشيحه لمشيخة علماء السودان في أواخر عام ١٩١١م – قاضياً شرعياً في مديرية النيل الأزرق سابقاً في مدينة سنار وود مدني، وله كثير من الأحكام الشرعية، وكذلك له عدد كبير جداً من الفتاوى أصدرها حينما كان قاضياً شرعياً، وكذلك حينما تولى رئاسة العلماء، نورد هنا بعضاً من هذه الفتاوى :

الفتوى الأولى :

واردة من أهل القطينة وموضوعها هل يجوز الفطر في رمضان.إذا جاء وقت الزراعة لأن الناس يحتاجون إليها في نفقة عيالهم والصوم يمنعهم من مداومة العمل.

الاجابة :

حضرة المحترمين عُمَّار القطينة الموضحة أسماؤهم في جواب الاستفتاء المحرر في ٢٧ شعبان ١٣٣١هـ دام توفيقهم آمين.

أما بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته – لقد ورد إلينا جوابكم المتضمن للسؤال عن جواز الفطر في شهر رمضان الحاضر لمصادفته أوان الزراعة التي تحتاجون إليها في نفقة عيالكم والصوم

يمنعكم من مداومة العمل فيها.

ونقول لكم إن صوم رمضان ركن من أركان الإسلام الخمسة كما لا يخفاكم ولم يرخص الله تعالى فطره لغير المريض أو المسافر وما ألحق بهما، ولما سئل الإمام مالك - رضي الله عنه - عن مثل مسألتكم هذه شدد المنع في الفطر لأجلها فلا يجوز الفتوى بوجه عام في مذهب الإمام مالك لغير ذلك.

إذاً فالأسلم لكم أن تكونوا على ما أنتم عليه من المحافظة على أداء فريضة الصوم التي هي ركن من أركان دينكم ولقد ضمن الله لكم الرزق في امتثال أمره قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب).

ولاشك أن البركة التي تحصل لكم بتيسير الخدمة فيه أنفع لكم وأعظم من غيرها وقد مضت عليكم رمضانات كثيرة في أيام الزراعة فما احتجتم فيها للفتوى بترخيص الفطر، فكونوا على ما أنتم عليه من العزيمة وحالة الضرورة لها حكمها، وفقنا الله وإياكم للصواب ودمتم.

الفتوى الثانية :

عن الجلود في سنة ١٣٤١هـ :

صورة طلب الفتوى

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ أبوالقاسم أحمد هاشم شيخ العلماء، نقدم لجنابكم بكل احترام ما هو آت :

كنت بمديرية أعـالي النيل وشـاهدت حلة المجـوس في ذبائحهم فانهم بعد موت البقر يأخذون الجلد ويمرسونه ويدبغونه بالرماد والتراب إلى أن تزول منه الرطوبة، ويكون صالحاً ومضموناً من الفساد، بما أن حالة التجارة تحكم علينا مشتراه، فنرجو إفادتنا بأي مذهب من مذاهب الأئمة الأعلام في هذا الشأن. وفي الختام نقدم لجنابكم مزيد الاحترام.

كاتبه / عوض الله عوض

الاجابة :

حضرة المحترم الشيخ عوض الله العوض – بعد السلام، بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

من أسباب الطهارة عند الإمام أبي حنيفة – رضي الله عنه – الدباغ للجلود النجسة فكل إهاب دبغ فقد طهر، والإهاب في اللغة اسم الجلد لم يدبغ، الدباغ عند الحنفية على طريقين؛ حقيقي وحكمي. قال في كتاب بدائع الصنائع وهو من كتب الحنفية المعتمدة ما نصه (ثم الدباغ على طريقين فالحقيقي هو أن يدبغ بشيء له قيمته كالقرظ والعفص والسبخة ونحوها، والحكمي هو أن يدبغ بالشمس والتثريب والالقاء في الريح والنوعان مستويان في سائر الأحكام على القول السديد – وقال في متن الهداية ما نصه (كل ما يمنع النتن والفساد فهو دباغ وإن كان تشميساً أو

تثريباً لأن المقصود يحل به فلا معنى لاشتراط غيره). وفي شرح فتح القدير على الهداية ما نصه (والالقاء في الريح كالتشميس وفيه حديث أخرجه الدار قطني عن عائشة قالت قال رسول الله (ﷺ) استمتعوا بجلود الميتة إذا هي دبغت تراباً كان أو رماداً أو ملحاً أو ما كان). وفي شرح العناية على الهداية أيضاً ما نصه (قال محمد في كتاب الآثار أخبرنا أبوحنيفة عن حماد عن إبراهيم قال كل شيء يمنع الجلد من الفساد فهو دباغ) إلى غير ذلك من نصوص السادة الحنفية المتظاهرة عليها كتبهم المشهورة ومنها يعلم صريحاً جواز الانتفاع بالجلود التي تجلب للتجارة من مديرية أعالي النيل ما دامت مدبوغة بالرماد أو التراب أو غير ذلك مما يزيل عنها الرطوبة والفساد بيعاً وشراءً واستعمالاً على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ونفعنا بهديه.

والله أعلم.

الفقير إليه تعالى :

أبوالقاسم أحمد هاشم

تحريراً في ٢٣ رمضان ١٣٣٤هـ

الفتوى الثالثة : عن الرشوة في سنة ١٣٣٧هـ :

صاحب السعادة الوالد أبوالقاسم أحمد هاشم - دام احتراماً. أقدم لسيادتكم واجب الاحترام واسأل عن صحتكم وصحة جميع الأحباب الموجودين معكم. نظراً لمركزي اجبرتني

الضرورة بأن نستفهم سيادتكم عن الأمور الآتية وأتعشم أن تكون الاجابة واضحة حتى أن مثلي يمكنه أن يفهمها من المذاهب الأربعة:

١ . ما هو الفرق بين الهدية والرشوة.

٢ . ما هي الرشوة.

٣ . عندما ينزل المأمور وقت عمله في البلد – الشيخ أو خلافه – يقدمون له قهوة أو شاي فهل هذه تعتبر رشوة أو لا ؟

٤ . عندما يمر المأمور على بادية في الخلاء ويقدمون له اللبن وقت وصوله فهل هذه تعتبر رشوة أم لا ؟

٥ . وفي مديرية دنقلا في وقت البلح أي عندما يكون أخضراً من شجرة، عند وصول المأمور يقدمون له في صحن كقهوة فهل يعتبر رشوة أم لا؟

أكون ممنوناً لسيادتكم لو أفدتموني على هذه الأسئلة لأني لا أحب أن أسأل عن مياه أو قهوة أنا أشربها مكرهاً لجبر خاطر الناس مع أن كسر خاطرهم عموماً أفضل عندي بأن أسأل في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون وإذا كانت رشوة – شرب الشاي والقهوة وغير ذلك – فإذا رددت لهم حقهم يكفي مع العلم بأني لا أشرب ولا آخذ من أي شخص له قضية أبداً، وفي الختام أقبل فائق تحياتي

القلبية وسلامي للوالذ المفتي وجميع الأهل عموماً وعمنا البنا.

ابنكم /

محمد نور

مأمور مروي

الاجابة :

حضرة صديقنا المحترم محمد أفندي نور مأمور مروي – بعد السلام عليكم والسؤال عن صحتكم – فقد ورد لنا جوابكم المحرر ٢٥ / ١٢ / ١٩١٨م، وفهمنا ما فيه من الأسئلة الستة التي تطلبون الاجابة عليها وبيان حكمها شرعاً نقول لكم :

١ . أما الهدية فهي أن يتحف الإنسان أخاه بشيء لقصد التودد إليه وإكرامه وهي مطلوبة شرعاً لقوله ص « تهادوا تحابوا » ويثاب عليها إذا كانت لهذا الغرض.

أما الرشوة فهي ما يعطيه الشخص للحاكم ليحكم له وحكمها الحرمة على الأخذ مطلقاً وعلى المعطي إذا أمكنه خلاص حقه أو دفع مظلمته بدونها وان لم يدونها فالحرمة على الأخذ وحده – هذا مع العلم بأن الهدية لنحو المأمور من قبيل الرشوة لأنها من جنس هدايا العمال التي نصوا على أنها رشوة.

٢ . إن تقديم قهوة البن والشاي من شيوخ البلد أو خلافه للمأمور وقت نزوله بهم وكذلك تقديم الأعراب أهل البادية اللبن له

عند مروره بهم وتقديم الرطب ممن غشيهم وقت نزوله في نحو صحن أو المياه المضافة بنحو آبريه(١) أو سكر التي تقدم له عند نزوله - كل ذلك لا حرج عليه في تعاطيه أو تناوله لأنه يقصد به في العادة إكرام الضيف المأمور به شرعاً وجوباً أو استحباباً على اختلاف الأئمة في ذلك، وليس من الرشوة في شيء كما علم ذلك من بيان الرشوة الموضحة أعلاه، وليس هذا مما يخص به المأمور بل العادة جارية بتقديمه لكل ضيف زائر من وجهاء الناس وغيرهم على حسب مرتبته هذا ظهر للعلماء بعد مراجعة النصوص والله يبارك فيك وفي أمثالك الحريصين على حفظ دينهم ويتولى هدانا وهداك.

وفي الختام سلام الجميع.

أبوالقاسم أحمد هاشم

الفتوى الرابعة : عن صلاة الجمعة سنة ١٣٤١هـ :

ما قولكم دام فضلكم في سؤالنا الآتي :

نحن أهالي جزيرة أرتولي التابعة لمركز أبي حمد يبلغ عددنا في هذه الجزيرة نحو مائة بيت مستوطنون بها صيفاً وشتاءً، ولنا جامع بالجزيرة المذكورة بناؤه أعظم من بناء مساكننا وهو مبني من عهد قديم لا يوجد أحد ممن شهد تأسيسه وله من المدة

(١) آبريه يطلق عليه (حلومر) وهو مشروب سوداني ينتشر بين أهل السودان في شهر رمضان ويصنع من الذرة باضافة بعض البهارات.

خمسمائة سنة تقريباً وكانت تقام فيه الجمعة من زمن المهدية والأهالي مستقرون فيها إذ ذاك لاشتغالهم بحرفة الزراعة القائمة بمعاشهم في ذلك الوقت، والآن تعسرت عليهم المعائش من طريق الزراعة فصار الأغلب منهم يسافرون للجهات في طلب المعاش ولا يكونون مجتمعين في بلدهم إلا في بعض الأزمنة، وفي مدة غيابهم لا يتم عدد الحاضرين الاثني عشر يوم الجمعة في الجامع إلا بعد انتظار كثير وتأخر في الوقت فهل - والحالة هذه - ينتظرون في كل جمعة كمالة العدد ولو إلى آخر الوقت أم يصلون الظهر في أول الوقت ويتركون الجمعة، وهل في حالة انتظارهم وعدم كمال العدد إثني عشر رجلاً يقلدون الإمام أباحنيفة ويصلون الجمعة بمن وجد أو لا يجوز لهم ذلك. أفيدوا الجواب ولكم من الله الثواب.

الفقير إليه تعالى

عبدالرحمن بن علي بن عبدالماجد

الاجابة :

الحمدلله وحده، وقد نص الفقهاء على أن الجمعة فرض يومها وعلى أن وقتها يمتد إلى الغروب وعلى ذلك فيجب على أهل هذه القرية انتظار العدد إثني عشر رجلاً من المتوطنين بها إلى آخر الوقت، فإذا تم العدد صلوا الجمعة وإن لم يتم صلوا الظهر ولا يجوز لهم تقليد الإمام أبي حنيفة وصلاة الجمعة بأقل من العدد لا تجوز

إلا في غير مصر وفي شروط الجمعة عند أبي حنيفة المصر والله تعالى أعلم.

خادم العلم والفقراء

أبوالقاسم أحمد هاشم

٤ جمادى آخر ١٣٤٢هـ

الفتوى الخامسة : عن الشفاعة سنة ١٣٤٢هـ :

أعرف سيدي قد عارضني أحد بأن الأولياء والعلماء والشهداء لا يشفعون مطلقاً، ولا تكون الشفاعة إلا للرسل خاصة وقال لي أبرز نصاً على شفاعتهم وإني لعدم معرفتي احتويت في جنابكم فبينوا لي ما هو منصوص بأيديكم بياناً شافياً والله يثبكم على ذلك.

تلميذكم / عبدالسلام أحمد

٤ جمادى الآخر ١٣٤٢هـ

الاجابة :

حضرة المحترم / عبدالسلام أحمد

حفظه الله

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصلني جوابكم مستفتياً عن مسألة الشفاعة يوم القيامة هل هي خاصة بالأنبياء عليهم السلام كما يزعم من أشرت إليه في جوابك أم تكون منهم

ومن غيرهم من الأخيار كما ورد بذلك أحاديث كثيرة منها ما رواه ابن ماجة من حديث عثمان قوله ﷺ: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء».

وروى أبو داود والطبراني والبيهقي في حديث أبي الدرداء «يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته يوم القيامة» وقال ﷺ: مسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر، وقال ﷺ يقال للرجل - يعني يوم القيامة - قم فاشفع فيقوم ويشفع للقبيلة ولأهل البيت وللرجل وللرجلين على قدر عمله. وقال أنس قال رسول الله ﷺ «إن رجلاً من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني فيقول والله ما أعرفك فمن أنت؟ قال أنا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة ماء فسقيتك قال عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسأل الله تعالى ذكره فيقول إني أشرفت على أهل النار فناداني رجل من أهلها فقال هل تعرفني فقلت لا من أنت قال أنا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي بها عند ربك فشفعني فيه فيشفعه الله فيؤمر به ليخرج من النار.

إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في شفاعة غير الأنبياء من العلماء والشهداء وغيرهم.

وفي هذا القدر كفاية في إثبات شفاعة غير الأنبياء من الأخيار فلا تلتفت لمن أنكر ذلك.

وفقنا الله وإياكم للعمل بما فيه رضاه والاعتصام بسنة نبيه ﷺ.

الفقير إلى الله تعالى

أبوالقاسم أحمد هاشم

تحريراً في ٥ جمادى الثانية ١٣٤٣هـ

هذه بعض من فتاوى الشيخ الجليل أبي القاسم أحمد هاشم، ويلاحظ أنه في كل فتاويه يستند على قواعد الافتاء بارجاع كل قول إلى مذهبه والاستدلال بالمقطوع به من الأدلة الشرعية، كما وأنه يرجع إلى كل المذاهب الفقهية ولا يكتفي بذكر مذهب واحد.

كل ما سبق جعل الشيخ محط أنظار كل طالب فتوى أو حكم شرعي.

المطلب السادس : وفاته :

في شتاء عام ١٩٣٤م أدركت الحمى الشيخ أبا القاسم. ولزم منزله بأم درمان من جرائها، ولما اشتدت عليه العلة أدخل مستشفى الخرطوم للعلاج يتلقى العلاج لمدة شهرين من داء الكبد ثم خرج من المستشفى قبيل عيد الأضحى. وكان بعض أهله يفكرون في الذهاب به إلى مصر طلباً للعلاج لكنه كان يرد عليهم بقول الشاعر :

مشيناها خطى كتبت علينا ** ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن كانت منيته بأرضٍ ** فليس يموت في أرض سواها

اشتد عليه المرض في أيام عيد الأضحى ثم أسلم الروح في تاسع أيام العيد عند أذان العشاء في يوم الاثنين التاسع عشر من ذي الحجة عام ١٣٥٣هـ الموافق الثاني من أبريل عام ١٩٣٤م وعمره يناهز الثانية والسبعين.

فانطوى بذلك سجل حياته الحافلة كلها عمل في سبيل رفعة الوطن والدين والعلوم الإسلامية.

القسم الثاني :

ليلة التوثيق

المطلب الأول : تقديم.

المطلب الثاني : برنامج الليلة.

المطلب الثالث : كلمة الجامعة.

المطلب الرابع : كلمة الأسرة.

المطلب الخامس:مقتطفات من الكلمات والخواطر التي ألقيت في الليلة.

المطلب الأول : تقديم :

في يوم الثلاثاء الثالث من رجب من عام خمسة عشر وأربعمائة وألف (٣ رجب ١٤١٥هـ) الموافق السادس من ديسمبر من عام أربعة وتسعين وتسعمائة وألف من الميلاد (٦ / ١٢ / ١٩٩٤م) وبقاعة الإمام مالك بن أنس بمباني الجامعة بالعرضة، كانت الليلة الثانية في سلسلة ليالي توثيق حياة علماء جامعة أم درمان الإسلامية وهي ليلة توثيق حياة الشيخ (أبوالقاسم) أحمد هاشم.

وقد حضرها جمع غفير من المسئولين بالدولة، ومديري الجامعات، وشيوخ الطرق الصوفية، وأسرة الشيخ (أبوالقاسم) أحمد هاشم، وأساتذة وطلاب وطالبات وموظفي وموظفات جامعة أم درمان الإسلامية، وعدد كبير من المهتمين بتاريخ السودان، وعدد من مراسلي الصحف ووكالات الأنباء.

وقد شارك في هذه الأمسية عدد من العلماء والأدباء ومعارف الشيخ وطلابه ومحبيه والمهتمين بشئون العلم والسودان، وقد كان لمشاركتهم الأثر الطيب في إنجاح الأمسية وفي امتاع وإفادة الحضور وفي اضفاء البهجة والمسرة في نفوسهم وقد تدارست اللجنة أمر تضمين هذا الكتاب جميع المساهمات ولكن لاعتبارات فنية اختصرنا على جزء منها في مقدمتها كلمة الجامعة وكلمة الأسرة. واستفدنا من بقية المساهمات في تلخيصنا للمعلومات التي أوردناها في القسم الأول عن هذا الشيخ.

المطلب الثاني : برنامج الليلة :

١ . القرآن الكريم – تلاوة المقريء صلاح الدين الطاهر .
٢ . كلمة البروفيسور علي أحمد محمد بابكر مدير الجامعة .
٣ . كلمة الأسرة قدمها الدكتور / عثمان أبوالقاسم .
٤ . فاصل مدائح – أولاد الشيخ البرعي .
٥ . كلمة الرائد (م) أبوالقاسم محمد إبراهيم .
٦ . كلمة الأستاذ عمر حسن الطيب – مدير مدرسة محمد حسين الثانوية .
٧ . قصيدة رثاء للشاعر التيجاني يوسف بشير (مدامع ومجامر) ألقاها الشاعر صديق المجتبى .
٨ . كلمة البروفيسور عون الشريف قاسم .
٩ . كلمة الأستاذ مصطفى طيب الأسماء .
١٠ . كلمة الدكتور عبدالحليم محمد .
١١ . القرآن الكريم – الدكتور الزبير أبوعلامة .

المطلب الثالث : كلمة الجامعة :

قدَّمها البروفيسور علي أحمد محمد بابكر مدير الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الاخوة الكرام أفراد أسرة الشيخ الجليل (أبوالقاسم)، الاخوة العلماء، الاخوة والاخوات الضيوف والحضور جميعاً؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في هذه الساحة المباركة، نحن أسرة جامعة أم درمان الإسلامية، نحس بسعادة غامرة أن نجتمع هنا بعد ستين عاماً من وفاة شيخ جليل قاد عملا كبيراً وعظيماً وأدى دوراً هاماً وشكَّل حلقة من حلقات تاريخ السودان. نحس بسعادة غامرة أن قدَّر الله وهيأ لنا أن نتمكن من المضي قدماً في سلسلة توثيق حياة العلماء. ولإيماننا بأنها تمثل الجزء الأهم من تاريخ هذا البلد، ومن تاريخ الأمة كلها، فقد كنا نحس بواجب هذه المؤسسة (الجامعة الإسلامية) التي تمخضت عن توجه الأمة المسلمة في السودان، والتي كانت عصارة جهد وعمل وجهاد تلخص في جامعة

أم درمان الإسلامية، التي بدأت في حلقات دروس في المساجد، ثم نظمها الشيخ أبوالقاسم أحمد هاشم في شكل حديث، كنا نحس أن هذه الجامعة عليها واجب تاريخي هو أن تحفظ أعمال هؤلاء العلماء وتوثق لحياتهم.

في هذه الليلة سيتحدث أحد أبناء الشيخ أبي القاسم ممثلاً للأسرة وهو الأستاذ عثمان أبوالقاسم، وسنفتح المجال للأسرة للتعليق والخواطر، سيذكر الأستاذ عثمان التاريخ التفصيلي الدقيق لحياة والده الشيخ أبي القاسم، لذا سيكون حديثي خواطر، وسيكون مختصراً جداً.

عاش الشيخ في فترة من أصلب فترات السودان، ومن أحلكها. فبعد أن حفظ القرآن مبكراً ودرس العلوم من بربر ونبغ فيها، بدأ يقوم هو بالتدريس في حلقات، ثم انضم إلى المهدي عندما حاصر الخرطوم، واختاره المهدي كاتباً خاصاً، ثم اختاره الخليفة عبدالله أيضاً كاتباً.

وهو أهم من كتب مناشير المهدي. وبعد هذا سقطت الخرطوم تحت الاحتلال الانجليزي المصري، وبدأت الفترة المظلمة. وقد كان هدف الاستعمار القضاء على هوية المسلمين في السودان واستبدال الثقافة واللغة وطمس الحضارة الإسلامية.

ومثل الشيخ أبوالقاسم الذي حفظ القرآن مبكراً وحمل

هم الإسلام وعلوم الإسلام، لابد من أن يفكر كأحد قواد الأمة وأحد مناراتها في المخرج والحفاظ على التراث واللغة والدين. فصمم وعزم على هذا، فتوجه هو ووجه أبناءه ليحملوا هذا التراث ويخوضوا به المعركة ليحموه، ولكنه لابد من أن يتبع الحكمة.

كان منهجه حفظ العلم ونشر العلوم وبناء المساجد. وكان من وراء منهجه نيّة صادقة وتقوى، لذلك نجني نحن غرسه اليوم.

سأقرأ لكم كتاباً كتبه له الشيخ المراغي كاتب (الفتح المبين) وخطابات أخرى نقلها ابنه عبدالحميد في كتابه النفائس وكلها تشير إلى أنهم كانوا يتوقعون المستقبل. وعندما أدرك الإنجليز خطورة المنهج الذي يتبعه بدأوا يحاربونه خاصة عندما كان في سنار وود مدني عندما كان يبني المساجد فيها، فأوحى بعض الناس إلى الإنجليز أن يأتوا به إلى الخرطوم ليكون تحت أعينهم وليخلف الشيخ محمد البدوي الذي انتقل إلى جوار ربه عام ١٩١١م.

فأتوا به فبنى المساجد الحديثة وعمل بحكمة، وكان يقصد في ذلك وجه الله تعالى وما حاد عن الطريق، فوضع لبنات المرحلة الثانية لهذه الجامعة التي كانت قبل ذلك حلقات درس في المساجد والمنازل، والشيخ أبوالقاسم هو الذي بنى جامع أم درمان الكبير في صورة جيدة بعد أن كان مبنياً من القش.

عندما جاء الشيخ محمد مصطفى المراغي أثناء الحكم الثنائي معيناً في السودان في منصب رفيع، وكان رجلاً ذكياً وذا بصيرة، تعرف على الشيخ أبي القاسم وعلم أنه شخصية فذة، فتوثقت العلاقة بينهما، وعندما عاد الشيخ المراغي إلى الأزهر كاتب الشيخ أبا القاسم. يقول الشيخ المراغي في أحد خطاباته :

« أخي وعزيزي أبوالقاسم، وصلني كتابك وعلمت منه أنك ستحال إلى المعاش في هذا العام، فإذا تمَّ ذلك فأرجو أن تهنأ لما قدمته للبلد والدين من أعمال ستجنى ثمرها. وما كانت تنطوي عليه نفسك من إخلاص في العمل إخلاصاً لا يقصد به إلاّ وجه الله تعالى ».

هذا خطاب من رجل ثقة وكأنه يقرأ المستقبل (ثمرات عمل صالح ستجنى) وقد كان فقد تنبأ بما حدث لاحقاً.

أحد الشيوخ أيضاً عندما ذهب إلى مصر كتب للشيخ قائلاً « أهنئك بالمنصب الذي أنت أهل له فقد أنشأت (أي طورت) في السودان جامعة إسلامية على غرار الأزهر ».

هذه بعض شهادات من علماء كبار مخلصين، عرفوا الشيخ الذي كان يشار إليه بالبنان.

بدأ الشيخ أبوالقاسم عمله عام ١٩١٢م وانتهى عام ١٩٣٢م فقد أحيل للمعاش، عندما رأوا أن منهجه قد ساد تماماً،

وبعد أن غرس هذه الشجرة التي أثمرت والتي نجني ثمارها اليوم.

هذه مقدمة لما سيقال في هذه الليلة، وهذا قليل من حق هذا الشيخ الجليل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

المطلب الرابع :

كلمة الأسرة ألقاها الدكتور عثمان (أبوالقاسم) أحمد هاشم*

السيد / البروفيسور مدير جامعة أم درمان الإسلامية .

الاخوة العلماء الأجلاء . . الضيوف الكرام .

فنحن في بحر لجي نحاول سبر أغواره - فهيهات - ففي مثل الشيخ أبي القاسم / ما صدق الشاعر حين قال : (ليس الفتى من يقول كان أبي) إذ إن الناس - كثيراً من الناس - في هذا البلد الطيب يقولون كان الشيخ / وما زال أثره يندا ح سيرة عطرة في ربوع السودان / وتمتد حياته في عقول وقلوب الأجيال المتعاقبة علماً وخلقاً . إذ كثر ما يسمع المرء عن مثابرته في رفعة الدين وعن تجرده في خدمة العلم وعن تفانيه في خدمة الوطن حتى لنحس نحن أفراد أسرته وأبناء ظهره أننا لا نعدل إلا النذر اليسير من عائلته الأوسع - من أبناء علمه ودينه وعقله وخلقه . إن أبوة الشيخ أبي القاسم للرعيل الأول من طلاب هذه المؤسسة العظيمة والروح التي بثها فيهم هي التي جعلت من جامعة أم درمان الإسلامية اليوم قلعة من قلاع الإيمان وصرحاً من صروح العلم والمعاصرة .

---

* الدكتور عثمان أبوالقاسم عمل وزيراً للزراعة ويعمل الآن مستشاراً لمركز التغذية والتنمية الريفية وحصل على وسام الجمهورية من الطبقة الاولى في عهد مايو .

إن في سيرة حياة شيخنا معالم تستلزم الوقوف والتأمل العميق على الناس أن يهتدوا بجوانب العظمة فيها. إن نشأة شيخنا الدينية بين أم كانت تحفظ القرآن والتفاسير والأحاديث، وأب كان فقيهاً عالماً وقاضياً خطيراً ودرسه مع العلماء المصريين الأزهريين الذين كانوا يعمرون المسجد العتيق في الخرطوم، كل ذلك جعل الشيخ يسارع مع أبيه لمبايعة المهدي في أم عضام وقبل وصوله الخرطوم عن قناعة واخلاص وولاء لثورة رفعت راية الإسلام. وهنا تجدر الملاحظة أن الشيخ عندما صار كاتباً للمهدي لم يتجاوز عمره ثلاثة وعشرين عاماً، وعندما صار كاتب السر للخليفة (أي لدولة المهدية) لم يتجاوز الخامسة والعشرين وظل في ذلك الموقع حتى نهاية المهدية وهذا في حد ذاته دليل على التفرد في احتمال المسئوليات الجسام وكسب الثقة في عهد كثير فيه التآمر ولعل وقفة في قصة وثيقة ملك الحبشة للخليفة تساعد في تبيان ما كان يدور في تلك الأروقة من تآمر وكيف كان الشيخ وذووه يستعينون على الشدائد بذكر الله، إذ نقل أحد الوسطاء إلى الخليفة وثيقة صلح من ملك الحبشة - فأوكل الخليفة للشيخ حفظها ريثما ينظر في أمرها بعد أيام - ونجح أحد الذين أرادوا الوقيعة بين الخليفة وكاتب سره في سرقة تلك الوثيقة واخفائها في منزله، وعندما عنَّ للخليفة النظر في أمرها طلب من الشيخ احضارها ولكن الشيخ لم يجدها في مكانها فاضطر الخليفة إلى

تأخير النظر فيها أياماً معدودات بعد إنذار الشيخ بالثبور أن فشل في إحضارها - وما كان من الشيخ إلا أن ينقل إلى أخيه الطيب أحمد هاشم خطر ما يواجه من وعيد الخليفة، وهنا طفق الشيخان يذكران الله ثلاثة أيام انتهت بكرامة مشهورة للشيخ الطيب أحمد هاشم الذي رأى في غفوة تفاصيل اختفاء الوثيقة كاملة وأنها انتهت حيث أخفيت بين صفحات كتاب في موقع بعينه من ديوان منزل الرجل الذي حدثه الشيطان بتوريط أبي القاسم - وما كان من الشيخ الطيب إلا أن يشد راحلته، يتبعه خادمه، حتى يصل إلى ذلك الرجل فينتحل سبباً معقولاً يستميح به الرجل عذراً للمجيء له في تلك الساعة من اليوم. وعندما يدخل الرجل لأهله ليأتي بما يكرم به ضيفه يمد الشيخ الطيب يده إلى الكتاب ليجد الوثيقة في مكانها بين صفحاته تماماً كما رآها في المنام فيعود بها ظافراً منقذاً بذلك حياة أخيه أبي القاسم ويظل أثر هذه الحادثة في نفس الشيخين توادداً حميماً حتى طواهما الموت - والمهم في هذه الواقعة أنها زادتهما كليهما إيماناً وثقة بالله لا تهزها الأحداث ولا تطالها الخطوب.

وتجدر الاشارة إلى أمر هام امتدت آثاره إلى ما بعد فترة المهدية. وهو أن الخليفة عندما عزم على الخروج إلى كرري طلب من الشيخ البقاء بكل الوثائق في أم درمان موجهاً في حالة الهزيمة أن يقوم الشيخ باحراقها فكان ما كان ولم يتوان الشيخ لحظة في

الوقوف بنفسه على عمليّة الاحراق. وهناك من يرى في عملية الاحراق هذه ضياعاً لجزء هام من تاريخ البلد ولكن شيخنا كان يرى أن الوفاء بالعهد وحفظ ما أوتمن على سره سراً إلى الأبد أمانة أخلاقية أهم إذ إن الشيخ لم يشأ أن يكتب مذكرات عن تلك الفترة طول حياته. وعندما قدم كتشنر وسلاطين يطلبون الوثائق أخطرهم الشيخ باحراقها حسب توجيه صاحبها وما كان من كتشنر إلا أن ألقى بقبعته على الأرض غاضباً خاصة على ضياع وثيقة الحبشة - وكانت تلك هي البداية في كراهية الانجليز للشيخ الذي كان يبادلهم أضعافاً كما برهنت الأحداث اللاحقة.

أما قصة الشيخ مع المعهد العلمي نواة هذه الجامعة العظيمة فلابد أن تطول وقفتنا فيها لأنها ملحمة إسلامية وطنية تعليمية تربوية أصيلة بحكم استناد خطواتها على عقيدة الشيخ الإسلامية الراسخة وعلى صدق توجهه الوطني الأصيل وعلى قوة عزيمته ووضوح رؤيته وعلى مقدرته التخطيطية الرائعة التي كان يتوخى فيها التدرج والأناة وتلمس الخطى ويتمثل فيها الصبر الذي يستلزمه مخاض التكوين، ولعل ايراد ما ذكره البعض في هذه الملحمة يعطي الشيخ جزءاً من حقه إذ يذكر الأخ البروفيسور أبوسليم[١] في كتابه (الحركة الفكرية في المهدية) - وأنا هنا أورد

---

(١) البروفيسور أمحمد إبراهيم بو سليم: هو المؤرخ والمحقق الشهير صاحب التصانيف المتعددة وأول مدير لدار الوثائق القومية السودانية.

حديثه بالنص - «هو الذي أبطل نظام الحلقات واستبدله بالفصول الدراسية وإليه يعزى الفضل الأكبر في تأسيس المعهد العلمي، إذ انشأ هيئة العلماء وعهد إليهم النظر في تقييم المقررات ووضع الامتحانات وتنفيذها واجازة الشهادات وهو الذي نظم المعهد في فصول ومراحل وبرامج محددة وجعل للطلاب قيداً وهو الذي وضع أسس الشهادة الأهلية بعد ثماني سنوات والشهادة العالمية بعد اثني عشر عاماً - وهو الذي بنى جامع أم درمان وجامع الهاشماب»، انتهى قول الدكتور أبي سليم. وتحضرني هنا قصة رواها لي في احدى المناسبات الأخ الأستاذ حامد عمر الامام(١) عن أبيه العم عمر الامام نفسه يدلل فيها على العاطفة الأبوية الحميمة التي كانت تدفع الشيخ في التجاوب مع احتياجات طلابه وذلك بالاسراع في تكوين هيئة العلماء إذ كان الطلاب آنذاك يقضون جُلَّ يومهم يتسارعون في هجير الشمس من حلقة درس إلى أخرى من الشيخ الجزولي في الأربعين إلى الشيخ محمد الأمين الضرير في بيت المال إلى الشيخ محمد عبدالماجد في أبي روف في الهجرة إلى الشيخ العاقب في ودنوباوي إلى الشيخ محي الدين دوليب في الركابية غرب زريبة الكاشف إلى الشيخ أحمد المجذوب شمال ود البنا، وما كان من الشيخ أبوالقاسم إلا أن جمع كل أولئك العلماء

---

(١) الشيخ حامد عمر الإمام: هو مقرىء القرآن والمتخصص في العلوم العربية والإسلامية، إمام جامع أم درمان العتيق.

في هيئة واحدة ما عدا الشيخ محمد عبدالماجد الذي آثر عدم الانضمام إليها، وكان المسجد وقتها (رواكيب) فابتدع الشيخ فكرة رسوم الماشية في زريبة البهائم ودعا التجار للتبرع لبناء المسجد الكبير، كما أدخل فكرة نظام الأوقاف لدعم التعليم في المعهد – ومن هنا يتضح ما لعبه الشيخ أبوالقاسم في تأسيس المعهد العلمي هيكلياً في بناء المسجد الكبير كمقر له رسمياً ومؤسسياً في تكوين نظمه ولوائحه.

إن المكانة العلمية الإسلامية السامقة التي كان يحتلها الأزهر الشريف في نفس الشيخ والتي حدت به إلى إرسال أبنائه الكبار لطلب العلم في أروقته كانت وراء سيره في تطوير المعهد على نمطه ولقد كانت علاقات الشيخ الحميمة مع شيوخ الأزهر (الشيخ محمد شاكر والشيخ محمد مصطفى المراغي) تشكل حلقات وصل وظيفية هامة في بناء العلاقات الأفقية بين المؤسستين مما جعل المعهد العلمي بمراحله ومناهجه المتطورة على غرار الأزهر الشريف يمكن أن يعتبر في حقيقته أول جامعة بالسودان. ولا أقل من أن يبرز المرء هنا ما أورده أستاذنا البروفيسور عبدالله الطيب في تقديمه لكتاب النفائس للمرحوم عبدالحميد (أبوالقاسم) أحد أبناء الشيخ وبعد أن انتهج أستاذنا الجليل المنهج العلمي التحليلي الدقيق في قراءة خطب وتقارير وفتاوى الشيخ الواردة في الكتاب

والتي استقل عددها مما ظن أن من الممكن جمعه: إذ يقول أستاذنا الجليل «ومع هذا فإن هذا القدر القليل عظيم الافصاح بقوة شخصية الشيخ (أبوالقاسم) وكبير الدلالة على أهمية العمل الذي كان يقوم به وعلى ما كان حباه الله من قدرة إدارية نادرة وذكاء تخطيطي فذ وبعد نظر شديد مع شعور ضخم بالمسئولية تجاه أسرته وأمته وبلاده جميعاً معاً في آن واحد بلا تكلف وبأعظم وضوح.. أما في الخطب فقد كان مذهبه الايجاز ويخلص مباشرة إلى الغرض ومن خير أمثلة ذلك، الخطبة التي دعا فيها أهالي أم درمان لبناء جامع» ويذهب أستاذنا الجليل ليورد في مكان آخر في مقدمته قائلاً: «ولا يخفى أنه رحمه الله كان قد اضطلع بمهمة جليلة جداً من تأسيسه المعهد على الأسلوب المدرسي.. وقد تولى بنفسه استئجار بيت ليجتمع فيه المدرسون حتى يسهل عليهم التوالي على جدول حصص ثابت ومن تحويل جراية الأرغفه إلى مرتبات نقدية.. ومن تدبير أمر الخريجين، وفي زمانه التحقوا بالقضاء وبالمحاكم وبالتدريس ومن تدريس المعلمين واعدادهم للمعهد نفسه بطريقة علمية فاختار أذكياء التلاميذ ليعينوا في تدريس صغارهم ثم ليكونوا من بعد معيدين» - وأشار أستاذنا الجليل إلى «انتفاع تاريخ التربية والتعليم أيما انتفاع بتفاصيل الدقة الواضحة من خطط الشيخ وتدبيراته» وأود أن أضيف مشيراً هنا

إلى فاعلية أسلوب الخطب الدورية في اشراك الجماهير في الاهتمام بقضايا التعليم، ولا يفوتنا هنا أن ننوه إلى دأب الشيخ على الاعتماد على المجهود الشعبي في بناء المؤسسات الدينية والتعليم الديني والنأي بها ما أمكن عن سيطرة المستعمر - مما كان له بالغ الأثر في ايقاد جذوة التعليم الأهلي في السودان ما أخذ يقضّ مضجع المستعمر بسبب الصحوة الوطنية الهائلة التي نبعت وبعدها صار الشيخ هدفاً هاماً للمستعمر يركز عليه وعلى مشاريعه.

وهنا يقودنا سياق الحديث إلى مواقف شيخنا ضد الاستعمار بيد أن هذا مجال فيه لبس كبير ولذلك فإن التحقق التاريخي الدقيق قبل اصدار الأحكام جزافاً للشيخ أو عليه يكون ضرورة أخلاقية، قبل أن يكون لازمة علمية - إذ كثير ما يسمع المرء أحكاماً متسرعة خطيرة وغير مؤسسة في حق الكثيرين من كبارنا تبثها أجهزة الاعلام المختلفة جزافاً ومن منطلقات بعيدة كل البعد عن الموضوعية مما يجعلها تبدو مغرضة لحد الشر. وأنا هنا لا أملك من الوقت ما يسمح لي بالايغال المسئول في كثير من تفاصيلها إلا أنني لابد أن أذكر بعض المواقف تبرئة لذمتي فيما أعرف. وما أقوله فيها خاضع للتحقق العلمي المسئول. وما أقول - طبعاً لا يشمل كل المواقف وإنما قد يصلح كمؤشرات فقط لمن أراد أن يتقصى الحقائق.

إن كثيرا من المتوافر من المعلومات عن الشيخ - مدونة أو غير مدونة - تشير إلى أنه لم يكن هيناً ولا ليناً في دينه ولا في وطنيته بل كان عصيا صعب المراس للمستعمرين وربما في الحدود التي لم تفقده تكتيكياً ضرورات الوصول إلى أهداف إسلامية ووطنية سامية تصغر في سبيلها المواقف البطولية الفردية العابرة التي قد تصيب استراتيجية الأهداف العظيمة بالبوار. وعلينا ألا ننسى هنا أنه كان يعمل في جو فيه الكثير من الدس والغرض والحسد كما تدلل عليه كتابات وأشعار من عددوا مآثره رثاءً وأود هنا أن أذكر واقعتين علهما تعطيان فكرة عما كان عليه شيخنا مع الاستعمار.

الأولى رحلة وفد في عام ١٩١٩م لتهنئة الامبراطورية البريطانية على نصرها في الحرب العالمية الأولى وما ترتب عليها من توقيع ما يسمى بسفر الولاء - وبدون تفصيل عن أسماء أعضاء ذلك الوفد الذي ضم كل أعيان السودان وقتها بمن فيهم رؤوس الطوائف والطرق الصوفية وكل نظار القبائل وشاغلي المناصب العليا في الحكومة وضمت سكرتاريته السيد / اسماعيل الأزهري(١) ومحمد الحاج الأمين وأحمد البشير الطيب كمترجمين فقد كان للشيخ موقف متفرد إذ لم يقصر صلاته في

---

(١) إسماعيل الازهري : هو الزعيم الوطني الذي رفع علم السودان وأول رئيس لحكومة وطنية بعد الاستقلال وكان مسانداً لمسيرة الجامعة الإسلامية.

تلك الرحلة الطويلة لاعتباره إياها أنها لم تكن رحلة شرعية في نظره ولم يوافق على تقلد صليب الامبراطورية ولم يوافق على مقابلة الملك في القصر حيث يستلزم البروتوكول انحناءً - وكان الوحيد الذي رفض التوقيع على سفر الولاء للتاج البريطاني في وقته إلا أن عمنا الشيخ بابكر بدري قد ذكر في كتابه (حياتي) أنه ولضغط أهلنا الكبار على عمنا الشيخ الطيب الذي كان مفتي الديار السودانية استطاعوا أن يحصلوا لاحقاً على توقيعه.

والثانية كانت تشجيعه أبناءه وشباب أسرته في الانضمام إلى ثورة عام ١٩٢٤م وأن يقفوا دائماً الموقف الذي يرضي الله والوطن وفيهم من سجن وفيهم من شرد وفيهم من نفى وأذكر منهم على سبيل المثال محمد الأمين أبوالقاسم وعثمان محمد أحمد هاشم ومحمد ابراهيم هاشم وغيرهم - وكذلك تأييد الشيخ لأبنائه في اضراب الطلبة الشهير في نوفمبر ١٩٣١م ودعوته لهم دائماً بحفظ الله ونصره ورعايته، وبما أن التاريخ لا يكتبه صانعوه وإنما يكتبه غيرهم فقد روى لي من أثق في أمانته وعلمه حضوره مناسبة رسمية حاول فيها أحد المسئولين تلميحاً تذكير الشيخ بضرورة انصياعهم للانجليز مستهلاً حديثه بالآية الكريمة ﴿ واطيعوا أولي الأمر منكم﴾ فنهض الشيخ من مقعده ثائراً فقال كفى يا فلان أعوذ بالله من النفاق... أولى الأمر منا ما الانجليز.

ولعل خطاب العالم الجليل الشيخ محمد المصطفى المراغي له عندما سمع بأمر إحالته للمعاش يقف شاهداً على صمود الشيخ ووقوفه كالطود الشامخ أمام العواصف التي كانت تواجهه في سبيل تحقيق أهدافه، إذ يقول الشيخ المراغي: «عزيزي وصديقي الشيخ أبوالقاسم وصلني خطابك وعلمت فيه أنك ستحال إلى المعاش في آخر هذا العام ان تم ذلك فسيكون من حقك أن تهنأ بما حققته للدين والعلم والعلماء من جهود نافعة وأعمال قيمة ستجني ثمارها وستؤتي أكلها شهياً بإذن ربها وثق تماماً بأن أصدقاءك مقدرون لك ما كنت تعانيه في سبيل عملك من ترويض الجامح وتذليل الصعاب وما كانت تنطوي عليه نفسك من اخلاص في العمل اخلاصا لا يقصد به إلا وجه الله تعالى – اخلاصاً كان يجر عليك في بعض الأحيان متاعب ويحرمك من ثمرات تروق أهل الطمع ومن بهم شره إلى أغراض الحياة الفانية».

كان الشيخ يدرك معنى وأهمية السلام والأمن الاجتماعي في بلد كالسودان ومن هذا الادراك الواعي جاءت أسرته في تكوينها تمثل معلماً هاماً من معالم الوحدة الوطنية فهي لم تقم على عصبية ولا على قبلية ولا جهوية فأمهات أولاده من ظهره (بنين وبنات) أتين من كل أنحاء السودان بل أن أصول بعضهن من خارج السودان (من مصر وأثيوبيا وموريتانيا). وبالرغم من

ضخامة عدد أولاده (بنيه وبناته) إلا أن ذلك لم يشغله عن الاهتمام ببقية أهله وذويه مما جعل التكافل وما زال سمة بارزة في سلوكيات الأسرة الكبيرة الاجتماعية. ولعل الخلطات العرقية المتشابكة في تكوين عائلة الهاشماب بفضل تعدد وانفتاح مصاهرات أبناء هاشم قاطبة قد أسهمت في إظهار مزايا الهجين والتي جاء التعبير عنها مقدرات ومعارف ومهارات في صفوف أبناء وبنات الأسرة، فقد كانت اسهاماتهم في العلوم والآداب والفنون وكل صنوف الابداع والمعرفة المتخصصة مما جعل مشاركة بعض من أفرادها في كل مرحلة من مراحل تطور هذا البلد عنصراً ملازماً - هذا بالاضافة إلى أن حوش الشيخ كان قبلة لطلاب العلم يأوون إليه من كل حدب وصوب حتى تستقر بهم الأحوال.

وقبل أن أنهي هذا الحديث لابد أن ألمح إلى الشيخ أبي القاسم الأديب الشاعر المرهف الحس الذي يجيد الغزل في غير ما تبذل ويجيد المدح في غير ما تذلل، ويجيد الفخر في غير تكبر ولعل ما كتبه عنه المرحوم محمد أحمد المحجوب[١] في (الفجر) ونقله في كتابه (نحو الغد) يكون شاهداً على ذلك، بل أن العودة إلى ما كتب عن شيخنا العظيم في هذا الصدد من قبل أبنائه في مجلدات (الفجر) وفي مراثي أبنائه التيجاني يوسف بشير ومحمد

---

(١) محمد أحمد المحجوب : أديب لغوي شاعر ومتخصص في الهندسة والقانون، شغل منصب وزير الخارجية أكثر من مرة ومنصب رئيس الوزراء مرة.

عبالوهاب القاضي والشيخ عباس العبيد وعبدالله محمد عمر البنا[١] على سبيل المثال ما يشفي غليل من يريد الاستزادة في هذا الصدد ومن المهم التنويه هنا إلى أن الدرس الذي ينبغي استخلاصه من كل هذه المعالجات الأدبية المتعددة هو أن التعصب الديني لم يكن ليجد إلى شيخنا سبيلا إذ لا يقل من أن نذكر حمايته للتيجاني يوسف بشير عندما وصفه بعض المتعصبين بالزندقة — فوصفه شيخنا بالتعمق والتفكير في الذات العلية وحماه من تقولهم – فكان أن عكس التيجاني ذلك في شعره عرفاناً.

وفي الختام أرجو أن أتقدم نيابة عن أسرة الشيخ أبي القاسم أحمد هاشم للقائمين على أمر هذا التكريم بالشكر والعرفان وأن أنقل إليهم استعدادهم لتبني أي مشروع باسمه من شأنه أن يدعم مسيرة جامعة أم درمان الإسلامية نحو تحقيق أهدافها على أن يكون أفراد الأسرة رأس الرمح في أية حركة يستلزمها ذلك المشروع.

وعلى الله قصد السبيل وبه التوفيق وهو المستعان.. والسلام.

---

(١) هؤلاء من كبار شعراء السودان والعروبة المتخرجين من جامعة أم درمان الإسلامية في مراحلها الأولى.

المطلب الخامس : كلمات وخواطر

مدامع ومجامر للشاعر التجاني يوسف بشير*
في رثاء فقيد البلاد الشيخ أبي القاسم أحمد هاشم
ألقاها الشاعر صديق المجتبى **

من لنواحة الدجى بأخ يملي عليها الشجى من ايحائهْ
يخلص الآهة العميقة من أنبل أنفاسه وأزكى دمائهْ
قل لها صوَّح الرجاءُ وغاضتْ بسمات الوجود بعد انقضائهْ
علِّموها كيف الدموع لتستنزف ماء العيون من جرّائهْ
واملأوا صدرها أغاريد للمو ت على شدوها يدٌ من ورائهْ
ويد الموت تنشر القصد الحرَّ ى جراثيم في مواضع دائهْ
فوَّقتْ سهمها فلم تخطيء الشيخ ولكن تعجلتْ في انتهائهْ
شهدتْ مصرع الفضيلة عينا ي ومهوى الصريع من عليائهْ
ورأى ناظري شهيداً يكاد الد م يجري على جزين ردائهْ
وتبينتُ ما يريعُ وأبصر تُ فتى مقبلاً على آبائهْ
فانظروا حوله ملائكة الخلد يطوِّفن في جميل احتفائهْ
مَلَك من جناحه يهب الور د وينشو النعيم من أعضائهْ

★ التجاني يوسف بشير: شاعر سوداني من خريجي المعهد العلمي، توفى في ريعان شبابه، له ديوان شعر (إشراقه). من تلاميذ الشيخ أبي القاسم أحمد هاشم.

★★ صديق المجتبى : شاعر وأديب سوداني.

ورحـــيمٌ من الملائكة الغـــرُ يمدُّ الظليل من افـــيـــائهْ
كـللي بالورود ايتـــهـــا الأمـــلاك أو ظـلـلي كـــريم فنائـهْ
واحفلي مااستطعت بالواحد الفـــرد: وصوني عليـه بعض روائهْ
كم تحرقتُ في مجامر اذكـا ها بجنبيَّ طائفٌ من رثائـهْ
إن في لوعتي بياناً وفي عينيَّ من وجـــده ومن بُرَحـــائـهْ
مدمعاً يلهب الأسيَّة أو يطفيء فيَّ المسـيلُ وقـد رجـائـهْ
يا قضاءً رمى فأقصد قلب الد هر في قـدسـه وفي كـبريائـهْ
للمـسجَّي بثوبه من بقـايا رسل الخير أو صدى أنبيـائهْ
قلتُ سيروا بنعشه في هوادي الريح وامشوا به على نكبائهْ
واستفيضوا واستأذنوا في ســمــاء الله يأذن إليكمُ في سمائهْ
وأدخلوها فمنكم خاشعُ الطر ف ومنكم مسترسلٌ في بكائهْ
وانفروا في السماء فالتمسوا الفـجـر وصوغواضريحه من ضيائهْ

*****

يا ذماءً من الفضيلة كل الـنـبـل في سرِّه وفي احـشـائهْ
غاض في نبعه الرجاءُ وجف الأ ملُ الحلو في قـرارة مـائـهْ
وانطوى خـافقٌ أغـرُّ من الـفـكـرُعـزيزٌ عليَّ بعـد انطوائهْ
عوجلتْ أُمةٌ عليه وفي أنفـسـهـا حـاجـةٌ إلى استبـقـائهْ
فاجهشي للبكاء أيتها الأنـفـس أو أجـمـلي على لأوائهْ

وتعـالي نسـتلهم الموت مـا يرفع عن لغـزه سـمـيك غطائهْ
أهو الموتُ هذه الهـدأة الكبرى على وهـدة الثـرى أو عـرائهْ
أهـو المـوت هـذه الخـطـوة الأولى إلى منقـذ الورى من عنائهْ
أهـو المـوت ذلـك الأبـد المـطـويُّ في نفسـه على سيـمـائهْ
هـذه بيننـا المظاهر والسـرُّ دفين هناك في «مـومـيـائه»
فأجْلِهِ ان أردتَ لا من خيوط الفـجـران شئتَـه ولا من ذُكـائهْ
أفتستلهم الوجود معاني المـوت أم تستـمـدها من هوائهْ
تلك مخبوءة القرون فلا مـطـمـع في كنهـهـا الى استـجـلائهْ
يا أبا القـاسم المطل على العـالم من لحـده ومن عليـائهْ
لك عندي كُبرى يدٍ نبَّهتْ ذكـرى واستنفـرته من إغـفـائهْ
لكِ في عـاتقي مـواثيقُ مـا أجـدرها ان تزيد من أعـبـائهْ
كنتَ في رفقة من الناس موتي فـانتـهـجتَ الردى إلى نزلائهْ
آمـلاً أن ترى هنالك أحـيـاء فـحيٌ الرغـام في احـيـائهْ
بعض من في القبـور موتى وبـعـضٌ كان في فقدانه سبيل بقائهْ
بعض من في القـبـور أوفر حظاً بنعـيم الحـيـاة واسـتـيـفـائهْ
ربِّ هبْ من لدنك روح أبي القـاسم مـا لم تهب الى نظرائهْ
هب له رحـمـة السـمـاء وبارك فـي ذراريـه وفـي أبـنـائـهْ

كلمة البروفيسور عون الشريف قاسم *

الحمدلله الذي كرَّم ابن آدم بالعلم ورفع الذين أوتوا العلم درجات وقرنهم باسمه وملائكته في قوله الكريم ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ﴾ والصلاة والسلام على نبي الرحمة ورسول الهدي سيدنا ونبينا محمد الذي فضل مداد العلماء على دماء الشهداء وقال « العلماء ورثة الأنبياء ».

أيها الجمع الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،، الشكر في البدء موصول لجامعة أم درمان الإسلامية على هذا الصنيع المجيد الذي استنته تكريماً لعلماء الإسلام في هذه البلاد وعلى رأسهم أولئك الأعلام الذين كان لهم الفضل في الريادة في نشأة هذه المؤسسة الشامخة وتطويرها فلاخوتنا في جامعة أم درمان الإسلامية منا الثناء ومن الله حسن الثواب على هذه اللفتة الكريمة التي ترد

---

* بروفيسور عون الشريف قاسم : هو العالم الشامل صاحب التصانيف في الأدب واللغة والتراث والتاريخ. وقد تولى الوزارة أكثر من مرة، كما تولى رئاسة مجلس جامعة أم درمان الإسلامية في السبعينات.

الفضل إلى أهله وتحفظ لعلماء الرجال أقدارهم السامية في موازين الانجاز والعطاء التي نالوها بالجهد والجهاد وعظيم التضحيات في سبيل رفعة الدين والوطن ولا يعرف الفضل إلا أولو الفضل.

سادتي الأعزاء

بالأمس القريب كرمت الجامعة ذكرى شيخ الإسلام محمد البدوي رائد التعليم الديني في عصرنا الحديث ويجيء اليوم تكريم ذكرى شيخ الإسلام (أبوالقاسم) أحمد هاشم الذي استلم راية الجهاد من شيخه الراحل محمد البدوي في مطلع عام ١٩١٢م وسار بها لمدى عشرين عاماً خاض فيها لظى حرب ضروس استهدفت أصالة الأمة ورمت إلى بتر المسلمين عن دينهم وقرآنهم باقتراح نظام تربوي جديد غايته وصل أبناء المسلمين بثقافة الغرب وحضارته بدل ارساء النظام التربوي الجديد على الموروث من النظام الإسلامي المرتكز على الخلوة وحلقات العلم في المساجد. ولكن علماء الإسلام لم يقفوا مكتوفي الأيدي حيال هذه السياسة بل تصدوا لها وأجبروا المستعمر على الاعتراف بالتعليم الإسلامي فكان المعهد العلمي بجامع أم درمان الكبير مركزاً للتعليم الديني في مواجهة كلية غردون التذكارية التي أقامها الانجليز عام ١٩٠٢م وقد عين الحاكم العام عام ١٩٠١م لجنة من عشرة علماء يرأسها الشيخ محمد البدوي للاشراف على هذا المعهد وتقديم التوصية

للحكومة فيما يتعلق بتعيين العلماء بالجامع وتدريس الشريعة الغراء. ولم تكن الدراسة آنذاك نظامية بل كان لكل شيخ من العلماء حلقته في منزله أو في مسجده أو خلوته وكان الطلاب يترددون في غير نظام أو تخطيط على هؤلاء الأساتذة وكان من حظ الإسلام والمسلمين في السودان أن قيض الله لقيادة المسيرة في تلك الظروف الضاغطة شيخنا الجليل أبا القاسم أحمد هاشم الذي كان بجانب علمه الغزير وثقافته العالية رجل دولة من الطراز الأول عاصر في صباه أواخر الحكم التركي وعاش في شبابه وكهولته كل أحداث المهدية وكان منها في مقام الصدارة كاتباً للدولة للمهدي وخليفته وحافظاً لأسرارهما وجاء إلى المعهد مطلع ١٩١٢م ووراءه تاريخ مجيد في سلك القضاء وكان حيثما حل يحث المسلمين على بناء المساجد وتعليم أبناء المسلمين فيها وكان له الفضل في بناء مسجد واد مدني الكبير وفي بناء جامع أم درمان الكبير وغيرهما من الجوامع وقد أقض نشاطه الإسلامي وعلاقاته الواسعة بالبيوتات الدينية مضاجع المستعمرين ووصل خبره إلى الجهات العليا في الخرطوم وتكلم بعض كبار الإنجليز مع أخيه الشيخ الطيب الذي كان قد تعين مفتياً للديار السودانية فقال لهم الشيخ في لباقة إنه مولع بالدرس والتحصيل فلماذا لا يعينونه شيخاً للعلماء في مكان المغفور له الشيخ البدوي.وكان قد انتقل إلى

جوار ربه ونقلوه للخرطوم فوافق الإنجليز وما كادوا يفعلون. وكان للشيخ أبي القاسم فضل التخطيط والتنفيذ لنظام تعليمي إسلامي حديث يقف في مواجهة التعليم العلماني الحديث الذي وضعه الإنجليز لتعليم أبناء السودان. فلم يعد التعليم الديني بطريقته التقليدية التي انتهى إليها حتى أواخر عام ١٩١١م صالحاً لمواجهة تحديات المرحلة الجديدة التي أصبحت الدولة هي المخدم للمتعلمين ولا مكان فيها لمن لا يتخرج من مدارسها وكان على الشيخ أن يواجه هذا الموقف وينتزع لمن يتخرجون في المعاهد الإسلامية حقهم المبخوس في مناصب الدولة ولا يتم ذلك إلا بالتخطيط العلمي السليم والقدرة على الاقناع ووضع الانجليز في موقف يصعب عليهم فيه الاستمرار في تجاهل علماء الشرع وبخسهم حقوقهم وما اتخذه الشيخ من خطوات في هذا الاتجاه معلوم ومرصود فبدأ أولاً بتجميع الأساتذة المتفرقين في المناطق المختلفة في مكان واحد هو جامع أم درمان القديم واقنع الدولة بصرف جزيات ثم مرتبات للأساتذة والطلاب ليضمن استقرارهم ومواصلتهم للدرس طوال اليوم ثم وضع لائحة جديدة للمعهد العلمي وبرامج جديدة استعان فيها بالنظام الأزهري واستطاع في مدى اثنتي عشرة سنة أن يخرج أول دفعة من حملة الشهادة العالمية عام ١٩٢٤م وما انتهت مدة شياخته للمعهد عام ١٩٣٢م إلا وكان

تلاميذه خريجو المعهد من مستوياته الثلاثة قد انتشروا في كل بقاع السودان يعلمون العلم النافع ويرشدون الناس في القرى والمدن والفيافي والقفار ويحتلون مواقعهم في سلك القضاء الشرعي وفي التدريس ومصالح الدولة الأخرى بل وسمح لبعضهم في دخول المنافسة لمدرسة المآمير والادارة.. وكان ذلك يتم في وجه مقاومة شرسة من الانجليز ومن أعوانهم ممن أعمتهم الأغراض وغرهم عرض الدنيا الفانية فناصبوا الشيخ العداء وانكروا عليه ما حققه من نجاح اعترف به الأعداء فاغروا به المستعمرين وما كانوا في حاجة لاغراء وما كاد الشيخ يتنحى عن القيادة عام ١٩٣٢م حتى واجه المعهد العلمي شتى المؤامرات وأغلقت في وجهه كثير من الأبواب التي فتحها الشيخ بجهده وجهاده وأوصدت أمام خريجيه كثير من مناصب القضاء والتعليم وغيرها مما كان ميسوراً للخريجين من قبل وبدأ العد التنازلي بتقليص الميزانيات ومحاربة التعليم الديني بدعوى محاربة الثنائية واستحال المعهد مع الأيام إلى مدرسة ثانوية ولكن الجهد العظيم الذي بذل من أجل ارساء دعائم التعليم الديني في السودان والذي قام به الشيخ أبوالقاسم والعلماء الذين وقفوا معه لا يذهب هدراً والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه وقد خرَّجت هذه الجامعة نبتاً طيباً من ذلك البذر الطيب وإذا هي شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها.

إن التعليم الديني في السودان مدين للشيخ أبي القاسم أحمد هاشم بالكثير الكثير وإذا كان الشيخ محمد البدوي هو راعي هذا التعليم والحفيظ عليه حتى مشارف العصر الحديث فإن الشيخ أبا القاسم أحمد هاشم هو مهندسه الذي أعاد تخطيطه وصياغته لمواجهة تحديات هذا العصر الحديث. وحق لجامعة أم درمان الإسلامية أن تحتفل بذكرى شيخيها الجليلين اللذين وضعا لبناتها الأولى وحفظا للأمة دينها وتراثها. رحم الله شيخينا وأجزل لهما الثواب بقدر ما قدما لهذا الدين من نصرة ولهذا الوطن من تضحية ورعى الله جهد الذين ترسموا خُطاهما من أبناء هذه الجامعة وعلمائها الذين أتاحوا لنا شرف هذا اللقاء الكريم الذي يعبق بذكرى هؤلاء الصالحين من سلف هذه الأمة ومجاهديها، لهم جميعاً من الله حسن الثواب ومنا سالف الشكر وعظيم التقدير والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

كلمة الأستاذ مصطفى طيب الأسماء *

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

فإن الشيخ أبا القاسم كتاب مليء بكل شيء لذلك فسيكون حديثي مقتطفات.

أول ما ابدأ حديثي هذه الأسرة وكثيراً ما كنت أفكر في هذه الأسرة الكبيرة ومنها أسرة الهاشماب فإن الله سبحانه وتعالى خص أسراً معينة بما لم يخصه لغيرها فإنك عندما تنظر إليها تجد نفسك وسط بحر من العلوم ووسط كتاب تقرأه أمامك علم وتجربة وخبرة.

فخص الله الهاشماب بهذه الخصائص وكنت أوصي اخواني أنه لابد من دراسة هذه البيوت التي خصت بخصائص تميزت بها.

بالنسبة للشيخ (أبوالقاسم) فجمعية الثقافة التي كونها نبع منها الأدب والشعر والصحافة، منهم التيجاني يوسف بشير، وعدد من الكتاب وعدد كبير من الشعراء تخرجوا في هذا المعهد

---

* مصطفى طيب الأسماء، ولد عام ١٩٢٤م في قرية أبي شنيبة الروصيرص، تخرج في كلية دار العلوم جامعة القاهرة، يعمل أستاذاً بكلية التربية جامعة الخرطوم، له عدة دواوين شعرية والعديد من المؤلفات الأدبية والثقافية والاجتماعية.

الذي هو الجامعة وكان المعهد العلمي جامعة وهذا ما تمسك به الدكتور طه حسين عندما خاطب السربون بأن تعتمد شهادة الدكتور ياجي من المعهد بأنها عالمية.

وكثير من الناس يسألون ماذا قدم المعهد العلمي للوطن؟ قدم أبا الصحف أحمد يوسف هاشم وقدم كتابا ونقادا وشعراء وحتى الذين لم يدرسوا في المعهد درسوا كتب المعهد فاكسبوا وكسبوا.

ثم الشيخ أبوالقاسم كما علمت من الأخ خالد آدم (ابن الخياط) وهو تلميذ عاصر الشيخ علمت منه - أنه اختار بعض تلاميذه الخُلص ليكونوا جمعية سرية سياسية وكان من بينهم أستاذنا عبدالرحمن حماد وخالد آدم ووصل الخبر للانجليز وتجاهل الشيخ أبوالقاسم الانجليز وقاومهم فسجنوه عند علمهم بهذه الجمعية ولكنهم لم يستطيعوا أن يثبتوا عليه شيئاً من ثورته عليهم.

نقاط أخرى تتصل بالشيخ أبي القاسم :

فهو كما ذكر الشيخ عثمان كان أبا للطلاب في قضية التيجاني حاول أن يخرجه من المحاكمة إلا أن الشيوخ رفضوا ذلك وقد ذكر التيجاني هذا.

الشيخ أبوالقاسم شخصية عامة ولذلك رثاه القوم وكتبوا عنه أمثال محمد عشري الصديق وامتدحه الشعراء بأعمال كثيرة

ورثاه وبكوا عليه.

الناس هنا تسيطر عليهم الطرق والتصوف لذلك الشيخ أبوالقاسم يصدر تعليمات ألا يصلي بالناس إلاّ ود[١] شيخ.

التسجيل بالنسبة للمعهد العلمي نظاميون وغير نظاميين ونحن وجدنا أناساً أكبر مننا كثيراً يقرأون معنا في فصل واحد ويدرسون الفقه والتوحيد وهم غير نظاميين وإذا أراد واحد منهم أن يدرج مع النظاميين كان له ذلك.

انتشار الثقافة في الأقاليم ووسط الأحياء كان له الأثر العظيم في التوعية وحمل راية العلم. فكان الطلبة يدرسون العلوم في المساجد ويتصلون بالناس.

أقول هذا من غرس الشيخ وغرسه عظيم ولكننا نترحم عليه وجعله الله فعلاً من المقربين نسأل الله أن يجعل الخير في ذريته فهي ذرية طيبة وصالحة عاصرناهم وعرفناهم ولا نقول فيهم إلا صدقاً ويقينا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) ود في السودان تعني (ولد).

كلمة الدكتور عبدالحليم محمد *

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا أردت أن أتحدث عن الشيخ فالحديث طويل وشيق وقبل أن أتحدث عنه أود أن أشكر الجامعة الإسلامية لما قامت به من إحياء لذكرى الذين وضعوا أساسها الشيخ البدوي والشيخ أبي القاسم أحمد هاشم.

عندما سمعت في المذياع أن الجامعة الإسلامية ستقيم هذه الليلة حفلاً لتوثيق ذكرى الراحل المقيم أخذت أتذكر. والأشياء التي ذُكرت كلها معلومة لدينا جميعاً ولكن أردت أن اتذكر بعض الأشياء التي قالها لي شخصياً وهو رجل علم وواسع الأفق قال لي « كان لي شيخ يسكن ويعيش في منزل حاج سيد بالخرطوم وكنت أتدارس معه فقال لي في يوم من الأيام يا أبا القاسم إذا قابلت المهدي فأوصيك بمنزل حاج سيد » ويقول « في ذلك الوقت لم افكر في لقاء المهدي حتى لاقيته ودخلت الخرطوم مع الداخلين ولما علمنا بوفاة غردون تذكرت ما قاله لي أستاذي فعدت أعدو للمنزل لأحرسه حتى لا يهجم عليه أحد من الأنصار فجاء من جاء

---

* الدكتور عبدالحليم محمد، تقلد العديد من المناصب السياسية الرفيعة، له اهتمامات في كرة القدم مما مكنه من رئاسة الاتحاد الافريقي لكرة القدم، له مشاركات واسعة داخل وخارج السودان.

وابعدت من أبعدت وكانت النتيجة ان تزوجت حبوبتك زينب بت سعيد.

ثانياً: كان شيخنا رقيق العواطف إلى حد بعيد يظنه كثيرون أنه جاف الطبع وأنه شيخ مخيف ولكنه كان طيب القلب عطوفاً ففي يوم من الأيام قلت له أنت حضرت المهدي والخليفة لماذا لا تكتب التاريخ قال «لو كتبت التاريخ لما استطاع كثيرون المشي في الشوارع» قلت لماذا قال: «لا أدري» وجدي الشيخ كان رجلاً فناناً وفي شعره كان من المحدثين لأن القصيدة المتكاملة التي كان يتحدث عنها المحدثون كان يكتبها.

وأذكر أيضاً أن أحد الأشخاص كتب في الصحيفة أن الشيخ أبا القاسم طرد التيجاني يوسف بشير ورأيت أن استدل بكرف وقابلته وسألته عن الشيخ أبي القاسم الذي ينشد الحرية وهو لم يطرد التجاني وما يذكر المعهد إلاّ وتذكر الأعمال الكثيرة التي قام بها الشيخ أبوالقاسم أحمد هاشم.

النقطة الأخيرة صديق مدثر كان في القاهرة وفي احتفال هناك كتب قصيدة عظيمة يلوم فيها المصريين الذين كانوا يعتقدون أن الطلاب السودانيين جاءوا ليستجدوا، وسأله شيخ الأزهر من أين أنت فقال له: أنا ابن الشيخ أبي القاسم أحمد هاشم فقال له: لك حق أن تقول أكثر من هذا لأن والدك هو الشيخ العالم

أبوالقاسم أحمد هاشم.

وعندما مرض الشيخ ألحوا عليه بالذهاب للعلاج في مصر. وكان يردد :

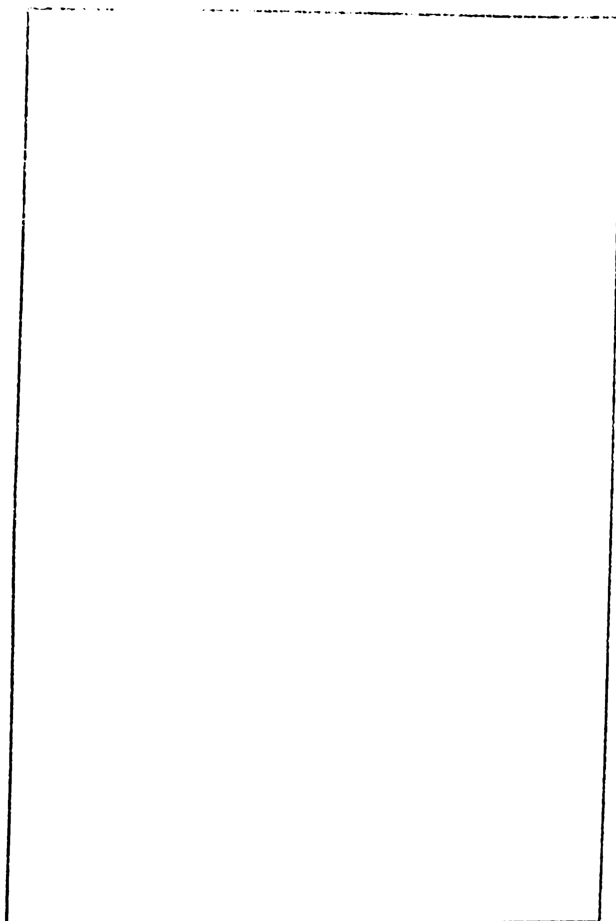
مشيناها خطى كتبت علينا ** ومن كتبت عليه خطى مشاها

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الفصل السابع

الشيخ النذير خالد الماحي

١٨٤٠ - ١٩٣٠م



الشيخ / النذير خالد الماحى

القسم الأول :

التعريف بالشيخ

المطلب الأول : اسمه ونسبه وأسرته.

المطلب الثاني : نشأته وبيئته.

المطلب الثالث : تعلمه.

المطلب الرابع : جهوده العلمية وتلاميذه.

المطلب الخامس:نشاطاته العامةوأعماله الأخرى.

المطلب السادس : وفاته.

المطلب الأول : اسمه ونسبه وأسرته :

هو النذير ابن الفكي خالد بن الماحي بن جاد الله (أبوشرا)[١] الولي المشهور الوارد اسمه في (طبقات ود ضيف الله) باسم (حوار ود أم مريوم) .

ولد الشيخ النذير عام ١٨٤٠م في ضاحية الخرطوم جنوب ببلدة أجداده القدماء (الكلاكلة) وانحدر من سلالة كلها تحفظ القرآن .

تزوج بعدة نساء من قبائل عدة في أنحاء السودان حتى أن من نسائه من لم نقف على اسمائهن والمحفوظ منهن :

١ . قناوة بنت أحمد الرئيس – من الحسانية .

٢ . العازة أحمد فضل المولى – من القماراب .

٣ . حليمة ابراهيم الخليفة – (من بيت الخليفة عبدالله) .

وتزوج من قبيلة الجعليين من جزيرة (أم أرضه) وتزوج من الفتيحاب وتزوج أخيراً (العازة حاج علي عجيب) من زعماء الكلاكلة .

رزق عدداً من الأبناء والبنات فابناؤه هم :

١ / الخليفة جاد الله أكبر ابنائه .

---

(١) لقب يطلق على الرجل القوي الواصل لغيره . والشرا في عامية أهل السودان تعني أجساماً صغيرة وناعمة تكون مع حبيبات الذرة والبامية وغيرها من النبات إذا اتصلت بجسم الإنسان تسبب له حكة .

٢ / الطاهر وهو من علماء المعهد وأشهر أبنائه المرحوم الدكتور جاد الله الطاهر النذير.

٣ / الشيخ أحمد / من العلماء.

٤ / الشيخ علي / وعمره الآن يناهز التسعين عاماً.

٥ / محمد / أصغر ابنائه والآن يناهز الخامسة والسبعين.

أما ذريته من البنات فهن :

١ . فاطمة – كبرى بناته.

٢ . بتول (حفظت نصف القرآن على أبيها).

٣ . آمنه ٤ . زينب ٥ . عائشه ٦ . أم الحسن ٧ . فاطمه

٨ . أم الحسن ولقبها (بنت العازه).

ويلاحظ أن الشيخ النذير كان يعيد تسمية بناته الصغار باسماء الكبار بعد وفاتهن فقد سمى (أم الحسن) لبنتين وكذلك (فاطمه).

المطلب الثاني : نشأته وبيئته :

نشأ الشيخ النذير بمنطقة (الكلاكلة القبة) الواقعة على ضفاف النيل الأبيض وهي ضاحية من ضواحي الخرطوم الناحية الشرقية الجنوبية من النيل وكان صباه في عهد حكم الأتراك للسودان أو ما يعرف عند السودانيين بعهد (التركية السابقة) وقد كانت تلك المنطقة معروفة باسم جده (جاد الله أبو شرا) الولي المشهور وبعد أن اشتهر الشيخ النذير سميت الحلة باسمه فعرفت باسم (حلة الشيخ النذير) .

كذلك عاصر الثورة المهدية في حياة الإمام المهدي وعاش فترة الخليفة عبدالله كذلك شهد فترة الاستعمار الانجليزي للسودان .

تربى في بيئة حافلة بالعلم والعلماء والحفظة فقد كانت قريته تعج بحفظة القرآن الكريم حتى أنه أطلق عليها (حفيرة العلماء(١)) لما تذخر به من رجال أغلبهم علماء، فحفظ القرآن الكريم ميراث في أسرته فما بين الشيخ (جادالله أبوشرا) « حوار ود أم مريوم » المذكور في الطبقات وهو الجد الرابع للشيخ النذير، و (الفكي خالد) والد النذير كلهم حفظة للقرآن الكريم .

وجده الرابع قام بتحفيظ أولاده وبناته الاثنتي عشرة بنتاً

---

(١) الحفير : مكان تجمع الماء .

القرآن الكريم وبذلك يكون الشيخ (جادالله) أول من أدخل تعليم البنات بشكل جماعي في السودان .

في هذه البيئة الطيبة الخصبة نشأ وترعرع فكان حرياً به أن يكون حامل للواء ومشعل العلم والنور، فحفظه للقرآن في سن مبكرة وتربيته في وسط قرآني كان له أثر كبير في بناء شخصيته الصارمة الجادة المحبة للعلم المهابة من الكل، وكان لحفظه للقرآن في هذه السن أثر في تفتق ذهنه وصفائه وحدة ذكائه التي اشتهر بها فيما بعد .

المطلب الثالث : تعلمه :

ما كاد الشيخ النذير خالد الماحي يشب عن الطوق ويحفظ القرآن الكريم حتى أخذ في دراسة العلوم الشرعية والعقلية واللغوية، وكان أول علم يدرسه هو علم الفقه ثم الميراث والتوحيد والنحو في حلقات على يدي الشيخ الأمين الضرير.

بعد ذلك توجه إلى الجزيرة اسلانج (شمال أم درمان) طلباً للعلم ومن ثم رحل طالباً للعلم إلى مدينة (بربر شمال السودان) حيث توجد (خلاوى الغبش) المشهورة في ذلك الزمان، وقد كانت رحلته إلى مدينة بربر رحلة طويلة فيها عناء ومشقة شديدة حيث إنه لم تكن هناك وسيلة للمواصلات سوى الدواب .

وبعد رحلة شاقة وصل إلى مدينة بربر ومكث بها ردحاً من الزمن وقد صحبه في هذه الدراسة زملاء كثيرون وقد تخرج في نفس الخلوة التي درس بها الإمام المهدي ثم درس بعد ذلك على شيخه الشيخ حسين ود الزهراء وأخيراً درس على شيخه الشيخ حسين مجدي قاضي قضاة السودان في عهد التركية السابقة ودرس عليه علم المنطق الذي لم يكن مشتهراً بين الناس في ذلك الزمان، كما درس عليه جميع العلوم العقلية وكذلك العلوم النقلية وقد أجازه هؤلاء المشايخ وشهدوا له بالعبقرية والعلم ولكن

للأسف لم نجد من هذه الشهادات غير إجازة واحدة هي إجازة الشيخ حسين مجدي المصري الذي قال فيها :

« وجدت في السودان الشيخ النذير خالد الماحي هو كالجوهر الفرد والجزء الذي لا يتجزأ في العلوم له قصب الرهان ولا عيب فيه غير أن العين لا تقع على مثله » .

ومن أبرز تلاميذه الشيخ عبدالله الترابي والشيخ إبراهيم أبوالنور والشيخ ابراهيم الإمام والشيخ ابراهيم ياجي والشيخ الأمين الضرير والشيخ مدثر الحجاز والشيخ هاشم أبوالقاسم .

المطلب الرابع : جهوده العلمية وتلاميذه :

بذل الشيخ النذير جهوداً عظيمة في مجال التعليم فعندما أصدر حاكم عام السودان أمره بتأسيس اللجنة الرئيسية لجماعة العلماء في جامع أم درمان ليكون من اختصاصها مباشرة تدريس العلم الشريف بجامع أم درمان الكبير والنظر في تقدير من يصلح بالتدريس في هذا الجامع وفي شئون الطلبة كان الشيخ النذير عضواً بارزاً بهذه اللجنة وقد أشار لذلك الشيخ يوسف ابراهيم النور في مقاله (تطور المعهد العلمي من الناحية الفنية) وأشار أنه بناء على خطاب النائب العام عام ١٩٠١م تكونت اللجنة المذكورة برئاسة الشيخ المرحوم محمد البدوي ومن أعضائها الشيخ النذير خالد . إذن فقد كانت فكرة المعهد العلمي وليدة عام ١٩٠١م وكان الشيخ النذير عضواً في تأسيس هذا المعهد . فلما كان عام ١٩١٢م تكونت لجنة جديدة برئاسة المرحوم الشيخ أبي القاسم أحمد هاشم ونتج عنها جمع العلماء في صعيد واحد وتنظيم الكفاءات وتنظيم الجدول الدراسي وكان الشيخ النذير من أبرز العلماء في هذه اللجنة وكان وكيلاً لشيخ العلماء الشيخ أبي القاسم أحمد هاشم شيخ المعهد ، وعلى هذا فإن هذا المعهد قد تطور تطوراً أساسياً على يد شيخ العلماء أبي القاسم ووكيله الشيخ النذير وبقية اخوانه الأجلاء .

ومن جهوده أيضاً أنه وفي اطار سعيه لاصلاح العلوم

الدينية والعربية وتأسيس معهد متكامل اتصل الشيخ أبوالقاسم بجمع من العلماء وطلب منهم أن يتركوا التدريس بمنازلهم ويرحلوا إلى أم درمان ليكونوا هيئة علماء متضامنة وكان أول من فعل ذلك صديقه منذ عهد المهدية الشيخ النذير فرحل بطلابه من الكلاكلة إلى أم درمان حيث المعهد العلمي وتأسيسه على نظام الهيئة المتضامنة التي تسمى بهيئة التدريس.

ومما يدل على مكانة الشيخ النذير فقد قدَّمه العلماء نيابة عنهم في النقاش العلمي الذي دار بينه وبين الإمام محمد عبده عند قدومه للخرطوم في علم المنطق فيما يختص بالصحيح من الأقوال واعترف الإمام بالشيخ النذير وتفوقه في علم المنطق وهذه الرواية التاريخية شهد على صحتها ورواها الشيخ الفاتح قريب الله كذلك المؤرخ الكبير المعمر الشيخ الشريف محمد أحمد عبدالله والشيخ علي أدهم ومما يذكر في هذه المقابلة العلمية بين الشيخ النذير والإمام أن الإمام اعترف له بالعلم وبعد ذلك دعاه إلى زيارته بمنزله ببيت السكرتير القضائي واحترمه غاية الاحترام وسأله عن بلده الكلاكلة فضحك الشيخ وقال بعد خروجه منه «الليلة الكلاكلة طلعت ليها ذكرى».

المطلب الخامس : نشاطاته العامة وأعماله الأخرى :

أول ما لمع اسم الشيخ النذير بوضوح كان في دولة المهدية حينما تولى منصب القضاء وقد استطاع تخطي جميع العقبات وأصبح موضع ثقة الخليفة فعينه في منصب قاضي القضاة واستمر في منصبه هذا زماناً طويلاً من غير أن تعصف به العواصف القوية إلى آخر يوم من أيام دولة المهدية وبعد أن غابت شمس المهدية عاد إلى بلده الكلاكلة.

أما الجوانب السياسية فلم يكن متعلقاً بها وكان من قادة الكلاكلة وشيخاً لهذه القبيلة والظاهر أن الخليفة عبدالله التعايشي ولاه قاضي القضاة لعلمه ولهذه المكانة الاجتماعية التي يتميز بها.

أما من الناحية الاجتماعية فقد هيأت له مكانته العلمية مكانة اجتماعية عظمى في نفوس جميع السودانيين فكان يشار إليه بالبنان إذا سار في الأسواق وإذا جلس بين القوم وإذا حضر إلى مكاتب الحكومة.

وكانت له مكانة خاصة في نفوس جميع الصوفية بالسودان أمثال الشريف الهندي والخليفة حسب الرسول ود بدر والشيخ عبدالباقي أزرق طيبه والشيخ الإمام قيدولي وكانت له صداقات حميمة مع الشيخ عبدالمحمود ود نور الدائم والشيخ قريب الله أبا صالح.

وكان الشيخ النذير من قبيلة الكلاكلة وقبيلة (الكواهلة)

على وجه العموم زعيمها المطاع وبطلها العظيم وفارسها المغوار الذي لا يشق له غبار فقد قادها في أحلك الظروف والمشاكل المعقدة وكان النصر دائماً حليفه واشتهر بأنه (رجل ضُرس) وقد أظهر في كل المعارك التي خاضها من أجل قبيلته من الدهاء والمكر بالإعداد والجرأة وقوة المعارضة ووضوح الحجة ما أدهش الحكام والخصوم معاً. ومن أقوى المعارك التي خاضها معركة اغتصاب أراضي الكلاكلة التي ادعاها المرضى في ذلك الحين والبالغة مساحتها ٥٠ كلم كانت لمزارعهم ومراعيهم ومساكنهم فطردهم عنها، فتصدى له الشيخ النذير وخاصمه وأناب المرضي خصمهم في دعواه أول محامي في حكومة السودان يسمى (نسيم) من أصل قبطي وطلب أهل الكلاكلة من الشيخ النذير أن يُعيِّن محامياً فرفض وناب عنهم وقال: « مادام هو بشر أنا أغلبه ». وبعد ثلاث سنين كتب النصر للشيخ النذير المدافع عن أهل الكلاكلة وكان يوماً مشهوداً في تاريخ القبيلة سموه (يوم النصر)، ولما سُئل نسيم كيف هزمك الشيخ النذير؟ فقال: « باستعماله لعلم المنطق ». ولما سُئل الشيخ النذير كيف غلبت نسيم ؟ قال: « بالشريعة ». وعندما سُئل مرة أخرى كيف هزمته بالشريعة ؟ فقال: « لأن الشريعة فيها قانون ».

المطلب السادس : وفاته :

كان لوفاة الشيخ النذير خالد الماحي في نوفمبر من عام ١٩٣٠م عن عمر يناهز التاسعة والثمانين دوي هائل في البوادي والمدن فقد شيع جثمانه إلى مثواه الأخير جميع التجار في العاصمة المثلثة(١) ممن لهم صلة بالمساجد، كما حضر جميع زعماء القبائل المجاورة ومعهم قبائلهم ونحاساتهم، كما حضر الشيخ أبوالقاسم أحمد هاشم شيخ العلماء وصديقه بالمعهد العلمي ومعه جميع العلماء وجميع الطلاب وأغلق المعهد أبوابه في ذلك اليوم الرهيب وقد صلى عليه الشيخ أبوالقاسم ورثاه حين ووري جثمانه بقوله: «إنكم لم تدفنوا في هذا القبر جسماً وإنما دفنتم فيه العلم الواسع الغزير». وهذه العبارة تدل على اطلاع الشيخ أبي القاسم الواسع لأن هذه العبارة رويت عن الخليل بن أحمد الذي قال عند دفن رؤبه بن العجَّاج: «اليوم دفنا العلم والأدب».

---

(١) كان يطلق على عاصمة السودان العاصمة المثلثة لأنها تتكون من ثلاث مدن هي: الخرطوم، الخرطوم بحري، وأم درمان.

القسم الثاني

ليلة التوثيق

المطلب الأول : تقديم.

المطلب الثاني : برنامج الليلة.

المطلب الثالث : كلمة الجامعة.

المطلب الرابع : كلمة الأسرة.

المطلب الخامس: مقتطفات من الكلمات والخواطر التي ألقيت في الليلة.

المطلب الأول : تقديم :

في شتاء يوم الثامن عشر من رجب من عام خمسة عشر وأربعمائة وألف (١٨ رجب ١٤١٥هـ) الموافق الحادي والعشرين من ديسمبر من عام أربعة وتسعين وتسعمائة وألف من الميلاد ٢١ / ١٢ / ١٩٩٤م وبقاعة الإمام مالك بن أنس بمباني الجامعة بالعرضة، كانت الليلة الثالثة في سلسلة ليالي توثيق حياة علماء جامعة أم درمان الإسلامية للشيخ الجليل / النذير خالد الماحي.

وقد حضرها جمع غفير من المسئولين بالدولة، ومديري الجامعات، وشيوخ الطرق الصوفية، وأسرة الشيخ النذير خالد الماحي، وأساتذة وطلاب وطالبات وموظفي وموظفات جامعة أم درمان الإسلامية، وعدد كبير من المهتمين بتاريخ السودان، وعدد من مراسلي الصحف ووكالات الأنباء.

المطلب الثاني : برنامج الليلة :

١ . القرآن الكريم .

٢ . كلمة الجامعة – بروفيسورعلي أحمد محمد بابكر مديرالجامعة .

٣ . كلمة الأسرة – الأستاذ سعد الدين محمد أحمد .

٤ . كلمة الأستاذ / مُحمد الأمين الغبشاوي .

٥ . خاطرة الأستاذ / أحمد إبراهيم أبوالنور .

٦ . كلمة الشيخ الدكتور / حسن عبدالله الترابي

٧ . كلمة الأستاذ / حامد الماحي وقيع الله .

٨ . القرآن الكريم .

المطلب الثالث: كلمة الجامعة

ألقاها البروفيسور علي أحمد محمد بابكر مدير الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أكرم خلق الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

الاخوة الكرام مشايخ الطرق الصوفية..

الأسرة الكريمة أسرة الشيخ الجليل النذير خالد الماحي..

الاخوة الضيوف..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

نلتقي في هذه الأمسية المباركة لنتدارس سيرة رجل من رجال العلم والعمل، جاء في فترة دقيقة من تاريخ السودان فقاد مع أسرته مسيرة العلم والمحافظة على هوية هذا البلد وهوية الأمة المسلمة في السودان ذلكم هو الشيخ الجليل العامل بعلمه النذير خالد الماحي الذي توفى عام ١٩٣٠م.

وعندما تقدم الجامعة هذا الشيخ وتتكلم عن سيرته فإنها تقوم بواجب كان عليها أن تقوم به منذ زمان طويل. فالذي تقوم به هو التاريخ الحقيقي للبلاد. فقد ظللنا نقرأ تاريخاً كتبه غيرنا وظللنا ننسى تاريخنا الحقيقي ولا نعرف رجاله وما قدموه، ولا

نعرف عطاءهم. وكان يجب أن تقوم هذه المؤسسة والمؤسسات الأخرى بإعادة كتابة التاريخ الحقيقي لهذا البلد.

رأت الجامعة الإسلامية أن تقوم بهذا المشروع لتوضح للناس أن الاستعمار عندما تسلط على هذا البلد، فكر هؤلاء المشايخ في وسيلة فعالة، وهي أن يحافظوا على القرآن الكريم والسنة المطهرة والإيمان. وهذه هي الحكمة التي اتبعها المسلمون في بلدان إسلامية كثيرة اكتسحها خصوم الإسلام، فحافظوا على القرآن في صدور أبنائهم. وعندما انهارت تلك النظم أطل الإسلام قوياً مثلما حدث في البلدان التي اكتسحتها الشيوعية سابقاً. هؤلاء الرجال انحازوا للقرآن الكريم والسنة النبوية وللغة العربية، وتحملوا في ذلك الكثير، من هؤلاء الشيخ النذير خالد الماحي الذي جود العلم ووهبه لله. كان قدرة عقلية، وقلباً حافظاً، وكان من العلماء المبرزين. وعندما ظهرت الثورة المهدية انحاز لها الشيخ النذير، لأنها كانت رمزاً لمقاومة الدخيل، حتى أصبح قاضياً للقضاة. ثم كونت لجنة كبار العلماء فكان واحداً منها، كان محركاً وقوياً، وكان رفيقاً للشيخ محمد البدوي. فبدآ يقدمان ما يمكن تقديمه، حتى توفى الشيخ محمد البدوي عام ١٩١١م وعين أبوالقاسم أحمد هاشم، فعين الشيخ النذير وكيلاً له فكان رفيقاً له في الدرب إلى عام ١٩٣٠م عندما اختاره الله تعالى إلى جواره.

كان الشيخ النذير ركناً من أركان العلوم، ولو انتبه تلاميذه لدونوا ما يقول. كان الشيخ النذير وصحبه يحفظون العلم ولا يميلون إلى الكتابة. وما نراه اليوم في الذين يحملون هذا التراث هو من آثار أولئك العلماء، ومنهم الشيخ النذير خالد الماحي الذي رافق كبار العلماء وعمل معهم لتخرج هذه الأجيال، فأسسوا هذه المؤسسة تحت اسم المعهد العلمي، وصبروا على كل أذى ليبقوا على هذا التراث. وظلت هذه الجامعة ترث هذا الصراع الذي قاده الأوائل وأصبحت الجامعة تعاني من المضايقات طوال فترة الانجليز وما بعدهم، ولكنها ازدهرت اليوم برغم كل تلك المصاعب. أصبحت هذه الجامعة لا تبالي بالضربات، لأنها نشأت على التقوى لذلك ستصيبها الضربات وتواصل مسيرتها وكأنها تتمثل بقول المتنبيء :

وصرت إذا أصابتني سهام

تكسرت النصال على النصال

وقدمت الجامعة الكثير ببركات هؤلاء المشايخ، وأنا اليوم انتابني شعور بأن هذه الليلة ببركاتهم أصبحت دافئة مع أننا في الشتاء وهذا إكرام من الله تعالى لهم.

ومن البشائر أننا عثرنا في وثائقنا على أول امتحان، خرج أول دفعة على نظام الجامعة الحديث عام ١٩٢٤م وقد أشرف عليه

الشيخ النذير الماحي مع الشيخ أبي القاسم أحمد هاشم. ووجدنا النتيجة مكتوبة بخطهما.

هذه مخطوطة من ذلك الزمان، أول شهادة جامعية نظامية تمنح من مؤسسة في السودان، وتعترف بها مصر قبل أن يعترف بها في السودان، وهي نتيجة خطها هؤلاء الرجال بخطهم. ستكون هذه الوثيقة جزءاً من الكتاب الذي سنقدمه عن الشيخ النذير خالد الماحي.

بالأمس زرنا معسكر الطلاب في جبل أولياء وتحدث إلينا قائد المنطقة قال: إننا نشاهد الاعلان عن أمسيات توثيق حياة علماء الجامعة ولكن لأننا لا نتمكن من الحضور فلابد أن تبثوا هذه اللقاءات في الاذاعة والتلفزيون، لأن هذه الليالي إذا بُثت في أجهزة الاعلام ستكون فائدتها كبيرة. وسنعمل على بث هذه الأمسيات في التلفزيون والاذاعة.

سأختصر على هذه الكلمات وأشكركم على جهدكم الذي بذلتموه لتشاركونا في هذه الأمسية، وندعو الله أن يتقبل أعمال الشيخ النذير وأن يوفقنا لنعمل كما عملوا، وأن يوفق الجميع لحفظ هذا الدين.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

المطلب الرابع : كلمة الأسرة :

ألقاها حفيده الأستاذ سعد الدين محمد أحمد ★

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ونصلي ونسلم على أشرف المرسلين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحابته أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد ،،

نتقدم لكل الحاضرين بالشكر الجزيل لتكرمهم بالمشاركة في إحياء ذكرى الشيخ النذير خالد الماحي عالم السودان المشهور ومن كبار مؤسسي المعهد العلمي بأم درمان، واسمحوا لي أن أرسل التحية وفاءً وعرفاناً بالجميل إلى أولئك الاعلام من مشايخ علماء السودان وهم بين طيات الثرى مبتدئاً بشيخ الإسلام محمد البدوي، فالمصلح العظيم الشيخ أبي القاسم أحمد هاشم شيخ المعهد العلمي بأم درمان والذي أسسه على تقوى من الله ورضوانه، فالشيخ النذير خالد الماحي عالم السودان المشهور وبقية الاعلام من علماء السودان الذين قاموا بتأسيس المعهد والذين

★ الأستاذ سعد الدين محمد احمد محمد عثمان من مواليد ١٩٢٤م (الكلاكلة القبة)، حفظ القرآن بخلوة الشيخ النذير خالد بالكلاكلة، ونال الشهادة الأهلية من معهد أم درمان العلمي عام ١٩٤٨م، له قصائد شعرية .

قـدمـوا لـهـذه الأمـة ذلك العـمـل الإسـلامي الضـخم وحـفظوا من الضيـاع ذلك التراث الإسلامي الأصيل فجزاهم الله خيراً في جنة عرضها السموات والأرض واللهم الحقنا بهم بالإيمان.

ثم إنها لفكرة عميقة حقاً هذه الفكرة المتمثلة في إحياء التراث الإسلامي والعربي تطلع بها الجامعة الإسلامية بالسودان ممثلة في علمائها الأفاضل بقيادة مديرها العلامة المفضال البروفسور علي أحمد محمد بابكر.

وإنها لظاهرة عجيبة تستحق التأمل والتفكير وهي مؤشر عظيم على ما تشهده هذه البلاد (السودان) في وقتها الحاضر من تحول هائل في مسيرتها الإسلامية والفكرية والوطنية، ألا جزى الله الجامعة الإسلامية خيراً وذلك برعايتها لتاريخنا وتمثيلها لأقطارنا الإسلامية مطهرة هذه التاريخ من شوائب الشرق والغرب، ألا جزاها وجزى كل من أحسن صنعاً، وجزى أسلافنا من علماء الإسلام وطابوا أصلا وفرعاً وأبقى فتية السودان للدفاع عن دولة الإسلام سلاحاً ودرعاً.

وبعد هذا نخلص إلى المحتفى به الشيخ النذير خالد الماحي عالم السودان المشهور في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلادي وأن ما نقوله هو حقائق لا مبالغة فيها ونشهد الله ثم التاريخ على صدق ما نقول.

وما عليّ إلا أن أروى التاريخ كما سمعته من مشايخي بالمعهد العلمي بأم درمان تلاميذ الشيخ النذير وأنا طالب بالمعهد في الفترة ما بين ١٩٤١ - ١٩٤٨م، لقد كنت أسمع وعلى الأقل أسبوعياً في حلقات العلم وهم يقصون علينا ما شاهدوه من العجائب والغرائب في شخصية الشيَخ في الذكاء الخارق وسعة الادراك ووفرة المحصول في كل علوم المعقول والمنقول كنا نسمع حتى أواخر الأربعينات عنه هذا ثم نسيه الناس وأسدل عليه ثوب النسيان حتى الآن. ومن حسنات الجامعة الإسلامية أنها تحيي ذكره الآن ولعل لموت تلاميذه من كبار العلماء أثراً واضحاً في ذلك.

وليت الشيخ عبدالله الترابي الابن البكر للشيخ النذير في علمه حيٌ ليقص على أسماعنا عن أستاذه الشيخ العجائب والغرائب لأنه أول من أخذ الشهادة العالمية من المعهد وكان أول دفعته وأول قاضي شرعي من المعهد وهو الوارث الأول لعلم الشيخ وكان الشيخ يحبه ويفخر به، وليت هيئة كبار العلماء بالمعهد الممثلة في الشيخ إبراهيم أبي النور والشيخ مجذوب مدثر والشيخ أحمد العاقب وغيرهم من كبار هيئة التدريس بالمعهد ليتهم كانوا معنا ليقصوا علينا عن شيخهم هذا العجيب الغريب، وليت الشيخ عبدالوهاب السراج الذي مات قريباً كان معنا الآن لنترك الكلام له ونستمع فقط، وطبعاً ليت لتمني المستحيل كما هو معروف.

يقول التاريخ :

ولد الشيخ النذير وترعرع في ضاحية الخرطوم الجنوبية ببلدة أجداده القدماء الكلاكلة، وانحدر من سلالة كلها حفظة للقرآن الكريم فأبوه وجده لأمه وعمه وخاله كلهم كانوا حفظة وقريته أغلبها من الحفظة وكانت تسمى في سالف العهود بحفيرة العلماء، ومما هو جدير بالذكر أن القرآن ولا زال يدرس ويحفَّظ بخلوة الشيخ النذير بالكلاكلة القبة حتى الآن، وفي كل فترة يتخرج منها حفظة ينشرون القرآن ببواديهم وقراهم، ومما هو جدير بالذكر أن حفظ القرآن ورثه في هذه الأسرة، فما بين جاد الله أبي شرا حوار (ود أم مريوم) المذكور في الطبقات وهو الجد الرابع للنذير والفكي خالد والد النذير كلهم حفظة وهذا الجد الرابع للنذير قام بتحفيظ بناته الاثنتي عشرة القرآن شكلة وآية في ذلك العصر السحيق وبذلك يكون جاد الله هذا أول من أدخل تعليم البنت بشكل جماعي في السودان بخلاف فاطمة بنت جابر فإنها واحدة بين أخوانها الأربعة الكبار.

في هذه البيئة نشأ الشيخ مشبعاً بحب العلم والعلماء وما كاد يشب عن الطوق ويحفظ القرآن حتى أخذ في دراسة العلم بشقيه الدين واللغة وأول شيوخه شيخ الإسلام الأمين الضرير فالشيخ الأمين ود أم حقين بالجزيرة اسلانج ثم شد الرحال إلى بربر

فدرس في خلاوى الغبش على شيخه الشيخ محمد الخير وتخرج في نفس الخلوة التي تخرج منها الإمام محمد أحمد المهدي ثم درس على شيخه الشيخ حسين (ود الزهره) ثم درس أخيراً على شيخه الشيخ حسين مجدي قاضي قضاة السودان في آخر عهد الدولة التركية بالسودان درس عليه علم المنطق بالذات وقد كان نادراً بالسودان كما درس عليه جميع العلوم العقلية الأخرى النادرة وكذلك العلوم النقلية وقد أجازه هؤلاء العلماء كلهم وشهدوا له بالعبقرية والعلم الغزير ومما ورد في شهادة الشيخ حسين مجدي له ما يأتي قال : « لما هبطت من بلاد مصر إلى السودان كهبوط آدم من الجنة وجدت بلاد السودان كلها ملاعب جنّه إلا الشيخ النذير خالد الماحي الذي زكا به صبوحي وراحي » ويقول فيها « هو كالجوهر الفرد والجزء الذي لا يتجزأ » ويقول فيها « أبعدت له غاية السبق فحاز قصب الرهان، ولا عيب فيه غير أن العين لا تقع على مثله » .

وقد شهد له كل علماء زمانه بالتفوق والامتياز وقد شهد له من خارج البلاد من المعاصرين له الشيخ الفا هاشم عالم الحديث والتفسير بتشاد عندما التقى به في أم درمان كما شهد له الشيخ الإمام محمد عبده شيخ الأزهر واعترف له بالعلم .

الشيخ النذير قاضي القضاة بالمهدية :

أول ما لمع اسم الشيخ النذير بوضوح كان في دولة المهدية حيث تولى منصب القضاء وأظهر فيه من العلم والبراعة والحصافة والذكاء الخارق والعبقرية في التصرفات والدهاء النادر المثالي ما دفع عنه كيد الكائدين وحسد الحاسدين لأنه أشبه (بمنصب سياسي) وقد تخطى جميع العقبات وأصبح موضع ثقة الخليفة فعينه في منصب قاضي القضاة واستمر في منصبه هذا زمناً طويلاً من غير أن تعصف به العواصف القوية إلى آخر يوم من أيام دولة المهدية وبعد زوالها رجع إلى بلده الكلاكلة.

الشيخ النذير وتأسيس المعهد العلمي بأم درمان :

مرة أخرى لمع اسم الشيخ النذير بوضوح أكثر عند تأسيس المعهد العلمي بأم درمان، فقد كان من كبار مؤسسي المعهد العلمي منذ أن كان فكرة حيث إن الحاكم العام في سنة ١٩٠١م عين لجنة من اختصاصها تعيين المعلمين لتدريس العلم الشريف بجامع أم درمان وكان رئيسها ود البدوي ومقررها شيخ محمد الأمين الضرير ومن أبرز أعضائها الشيخ النذير وفي سنة ١٩١٢م اسندت رئاسة اللجنة آنفة الذكر والتي سميت فيما بعد باسم مشيخة علماء السودان إلى المصلح العظيم الشيخ أبوالقاسم هاشم فأخذ في تكوين المعهد على وضعه المعروف للجميع.

كان الشيخ النذير والشيخ أبوالقاسم صديقين لا يفترقان

منذ عصر المهدية حتى فرق بينهما الموت وكان الشيخ أبوالقاسم يعرف علم الشيخ النذير حق المعرفة فعينه وكيلاً له على العلماء وعهد إليه بتدريس أمهات الكتب وجعله مرجعاً هاماً يرجع إليه في معضلات الكتب وعويص المسائل، وعندما أراد الشيخ أبوالقاسم تنظيم الجدول الدراسي وتوزيع المواد الدراسية على العلماء طلب من كل عالم الفن الذي يريد تدريسه وكتب النذير له هذه العبارة (أنا رضيع كل فن) يعني أي علم العلوم الاثنتي عشرة المقررة بالمعهد اسنده لي وأنا أقوم بتدريسه بجدارة، ومن هنا لمعت شخصية الشيخ وظهر امتيازه. وكانت هذه العبارة تشير إلى شخصيته طيلة حياته في جميع أنحاء السودان وبخاصة بعد مناظرته للإمام محمد عبده ورجحان كفته عليه.

الشيخ النذير والإمام محمد عبده :

حضر الإمام محمد عبده للسودان ونزل ببيت السكرتير القضائي لحكومة السودان وبعد حضوره حصل اجتماع بمباني المحكمة الشرعية بين الإمام وعلماء السودان فقدَّم الشيخ أبوالقاسم الشيخ النذير بصفته كبير العلماء بالسودان ولكن الإمام لم يهتم به وظهر عليه الاستخفاف به لأن في نظره لا يوجد علماء بالسودان حتى يكون لهم كبير، وذلك بالطبع لم يرض العلماء، بعدها أثار له الشيخ عدة مسائل من خلال تفسير بعض الآيات وكتب أم البراهين في علم التوحيد وكان لتلك المسائل تعلق بعلم المنطق،

وذلك في شكل استفسار ومراجعة فأسهب الامام في علم المنطق اليوناني القديم والمشار إليه الآن بعلم الكليات والجزئيات والشيخ بحر لا ساحل له في هذا العلم درسه على أستاذه الشيخ حسين مجدي وكان الأمر في أوله في شكل نقاش ثم أخذ شكل المناظرة، رجحت فيها كفة الشيخ النذير بشهادة علماء مصر والسودان الحاضرين وأقرَّ الإمام نفسه بعلم الشيخ النذير وإعترف له بالعلم، وبعد ذلك دعاه إلى زيارته بمنزله ببيت السكرتير واحترمه غاية الاحترام وسأله عن بلده الكلاكلة فضحك الشيخ وقال بعد خروجه منه « الليلة الكلاكلة طلعت ليها ذكرى »، وقد سمعت هذه الرواية بالذات من شيخنا المغفور له الشيخ علي أدهم وهو من تلامذة ود البدوي الخلص ولم يدرس على النذير، وسمعت عموم الرواية من عدد كبير من مشايخي بالمعهد العلمي بأم درمان وسمعتها من المؤرخ الكبير الشيخ محمد أحمد عبدالله المعّمر كما سمعتها أو جزءاً منها من الشيخ الفاتح قريب الله (رحمه الله) وقد سارت هذه القصة وجرت مجرى الأمثال في جميع أنحاء السودان في ذلك العهد وحتى أواخر الأربعينات حين أسدل الستار على حياة الشيخ. ومن هنا نقول إن الشيخ النذير أظهر شخصية السودان في دنيا العلوم والمعارف أمام الشيخ محمد عبده شيخ الأزهر وأثبت أن السودان في علم اللغة والدين ليس من الدرجة الثانية أو الثالثة كما كان يظن المصريون وقد يقول الجيل الحاضر هذه قصة مبالغ

فيها لأن محمد عبده مفكر إسلامي عالمي صحح مفاهيم الإسلام في الشرق والشيخ النذير مجاله الكتب الأزهرية فقط وهذا صحيح لكن المناظرة كانت في الكتب الأزهرية القديمة وفي علم المنطق بالذات وهو من العلوم التي تدرس بالأزهر ولا يفوت علينا أن الإمام كان شيخاً للأزهر.

ملحوظة : (هذه القصة ارتبطت بحياة الشيخ النذير ولم ينكرها أحد في حياته أو بعد مماته إلى عهد الأربعينات وشاعت في القرى والبوادي وتناقلتها الألسن وصدقتها العقول لأنها واقعة تاريخية معروفة ولا داعي للتردد فيها).

مكانته الاجتماعية :

هيأت له شهرته في العالم على مستوى السودان مكانة اجتماعية عظمى في نفوس جميع السودانيين فكان يشار إليه بالبنان إذا مشى في الأسواق وإذا جلس بين القوم وإذا حضر إلى مكاتب الحكومة هب لمصافحته كل حاكم ولو كان من كبار الانجليز وقضى له غرضه على جناح السرعة، وكانت له مكانة خاصة في نفوس جميع الصوفية بالسودان أمثال الشريف الهندي والخليفة حسب الرسول ود بدر والشيخ عبدالباقي أزرق طيبه والشيخ الامام القيدولي وكانت له صداقة حميمة مع الشيخ عبدالمحمود ود نورالدائم والشيخ قريب الله أبا صالح.

وكان في قبيلته الكلاكلة زعيمها المطاع وبطلها العظيم

وفارسها المغوار الذي لا يشق له غبار، قادها في أحلك الظروف وفي كل المعارك الضارية والمشاكل المعقدة وكان النصر له دائماً ولم يهزم قط في حياته واشتهر بين جميع القبائل المجاورة لقبيلته بأنه (رجل ضرس) تهابه وتتحاشاه في كل المشاكل القبلية زعماؤها وقد أظهر في كل المعارك التي خاضها من أجل قبيلته من الدهاء والمكر بالأعداء والجرأة وقوة المعارضة والحجة ما أدهش الحكام والخصوم معاً. ومن أقوى المعارك التي خاضها في حياته معركة اغتصاب أراضي الكلاكلة والتي ادعاها المرضي في ذلك الحين والبالغ قدرها ٥٠ كلم كانت لمزارعهم ومراعيهم ومساكنهم فطردهم عنها فتصدى له الشيخ النذير وخاصمه وأناب المرضي عنه في دعواه أول محامي في حكومة السودان يسمى (نسيم) من أصل قبطي وطلب منه أهله بالكلاكلة أن يتخذوا محامياً فأبى وقال لهم « ما دام هو بشر أنا أغلبه ». وبعد ثلاث من السنين كُتب النصر للشيخ النذير المدافع عن أهله بالكلاكلة وكان يوماً مشهوداً في تاريخ القبيلة سموه (يوم النصر) وقد أرَّخ أهل الكلاكلة لمواليدهم وموتاهم بسنة (حجُه المرضي)، ولما سُئل نسيم كيف هزمك الشيخ النذير قال: باستعماله علم المنطق. ولما سُئل الشيخ كيف غلبت نسيم قال: بالشريعة. ولما سُئل مرة أخرى كيف هزمته بالشريعة قال لأن الشريعة فيها قانون.

موت الشيخ النذير في شهر ١١ / ١٩٣٠م :

كان لموت.الشيخ النذير دوي هائل في البوادي والمدن فقد شيع جثمانه إلى مثواه الأخير جميع التجار بالعاصمة المثلثة ممن لهم صلة بالمساجد كما حضر جميع زعماء القبائل المجاورة ومعهم قبائلهم بالنحاس كما حضر الشيخ أبوالقاسم أحمد هاشم شيخ علماء المعهد وصديقه الأوحد ومعه جميع العلماء وجميع الطلاب وأغلق المعهد أبوابه في ذلك اليوم الرهيب وصلى عليه الشيخ أبوالقاسم ورثاه حين ووری جثمانه الثرى بقوله: «إنكم لم تدفنوا في هذا القبر جسماً وإنما دفنتم فيه العلم الواسع الغزير».

وبكته إحدى قريباته وهي (الجافله العوضابية) بقصيدة شعبية طويلة جاء منها :

يبكنك بناتا كلهن كاشفات

المـوت مو شمت قبالك محمد مات

يبكنك بناتا حتّن الروبه

المـوت مو شمت والمن الله مكتوبه

ولم ينته أثر الشيخ النذير في حياته الثقافية والإسلامية بموته ولكنه خلف وراءه اعلام الثقافة الإسلامية والعربية الممثلين في مشايخ معهد أم درمان العلمي والذين كانوا الأساس لتدريس اللغة والدين بجميع مدارس السودان المتوسطة والثانوية بواسطة أبنائهم

وتلاميذهم من خريجي المعهد العلمي بأم درمان.

ألا جزى الله الشيخ النذير خالد واخوانه من كبار العلماء وتلامذته من مشايخنا بمعهد أم درمان خيراً على ما قدموه لهذه الأمة من حفظ التراث العربي والإسلامي ونشره بين ربوع السودان.

المطلب الخامس: كلمات وخواطر

كلمة الأستاذ / محمد الأمين الغبشاوي ★

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الصادق الأمين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الجمع الكريم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

ونحن نلتقي في هذه الأمسية الطيبة من هذا الشهر المبارك، وفي رحاب هذه القاعة التي تحمل اسم إمام دار الهجرة النبوية الشريفة، وشيخ المذهب سيدنا (مالك بن أنس) – رضي الله عنه – يسعدني حقاً، ويشرفني كثيراً أن اشترك بهذه الفذلكة التاريخية القصيرة في هذه الندوة التي تقيمها – مشكورة – جامعة أم درمان الإسلامية تقديراً وعرفاناً بفضل عالم من أجلٍّ علمائنا، وشيخ من أنبغ شيوخنا، ورجل من أصدق الصادقين بقولة الحق في ديارنا ذلكم هو الأستاذ الكبير، والعالم الجليل، والشيخ الوقور النذير خالد الماحي – طيب الله ثراه – وجعل الجنة متقلبه ومثواه. والشكر موصول مني للاخوان الكرام من أحفاد الشيخ الذين شرفوني بالدعوة للحديث، وان كانوا لم يتركوا مجالاً للمزيد.

★ من مواليد بربر ١٩٢٣م، عمل بالتدريس في عطبره والدامر وكبوشيه، ثم رئيساً لهيئة مجلس الشعب الإقليمي بالاقليم الشمالي، أصدر أربعة كتيبات عن دار النشر التربوي هي: تاريخ بربر، والصبر طيب، والأبطال الثلاثة والحسن بن علي.

أيها الأفاضل :

إن أمة لا تقدر علماءها، ولا تحفل بذكراهم هي أمة جاحدة ناكرة للجميل، ولقد أحسنت جامعة أم درمان الإسلامية صنعاً أن سنت هذه السنة الحسنة باحياء ذكرى الرجال الذين يعدون بحق اللبنات الأولى في هذا الصرح القوي المتين. وعمدت كذلك إلى توثيق تواريخهم خدمة للأجيال الحاضرة والقادمة خشية التزييف والتزوير والتلفيق فجزى الله الجامعة خيراً على هذا الصنيع الجميل.

أيها العلماء الأجلاء :

في النصف الأول من القرن العاشر الهجري أسس الأستاذ القطب الشيخ (عبدالله الأغبش) خلاويه الشهيرة المباركة بحلة الغبش غربي مدينة بربر وكان ذلك في عهد ازدهار (دولة الفنج) وكان يقصدها الطلبة من داخل القطر وخارجه بغية حفظ القرآن الكريم وتجويده بالرواية التي كانت سائدة في ذلك الوقت في الكثير من جهات السودان وهي رواية (أبي عمر الدوري) عن يحيى اليزيدي. كما كانوا يجدون فيها طلبهم من علوم الدين والعربية.

أعقب ذلك الحكم التركي الأول من عام ١٨٢١م وهي الحقبة التي نسميها (التركية السابقة)، والتي سبقت ظهور الدولة

المهدية. وقد كانت (خلاوى الغبش) مزدهرة في تلك الفترة، وكذلك المعهد الديني - وللحقيقة والتاريخ - فقد كانت حكومة (الخديوي إسماعيل باشا) في مصر توليها عناية مقدرة. وكان يقوم بالتدريس فيهما أعنى (الخلاوى والمعهد) فقيهان كبيران، وعالمان جليلان من الغبش هما الفقيه الشيخ (الأمين محمد خوجلي المتوفي عام ١٣٠٥هـ) الخليفة التاسع في سلسلة خلفاء سجادة الغبش، إذ كان يتولى بنفسه تعليم القرآن. والشيخ محمد الخير عبدالله خوجلي في جانب تدريس العلوم الإسلامية، والمتوفي عام ١٣٠٧هـ.

وقد وفد على (الغبش) ما لا يحصره العد من الطلبة ينشدون العلم والمعرفة، ويريدون أن يرتووا من فيضه العذب، ونبعه الثر في تلك القرية البسيطة المظهر، الكبيرة المخبر حيث يجدون المأوى، والرعاية والرغد، والضالة المنشودة، كل بحسب استعداده الفطري، وما هيأه وأعده الله له من القسمة والكرامة.

وكان من بين الوافدين شاب قدم من الكلاكلة من ضواحي (الخرطوم) تبدو عليه امارات الذكاء والنجابة وصدق الرغبة في التحصيل، ومضاء العزيمة في الانتساب إلى سلك وركب الخير والفضيلة ذلكم هو موضوع حديثنا الليلة الشيخ (النذير خالد) والذي صار فيما بعد من أكبر علماء السودان، وجهابذته،

ومشايخه، وقادة الرأى فيه ورجاله المبرزين فيه بل كان في عام ١٩١٥م أحد ثلاثة أعضاء كبار من العلماء الذين تكون منهم مجلس ادارة معهد أم درمان العلمي.

ويحدثنا من أدركنا من أهلنا الغبش الذين عاشوا في تلك الحقبة الذهبية، والذين لم يردُّوا إلى أرذل العمر أن ذلك الشاب (الكاهلي الكلاكلي) الوافد كان أثناء مقامه في (الغبش) متفرغاً تماماً للغرض الذي جاء من أجله، وقطع كل تلك المسافات الطويلة الشاسعة، لا يشغله شاغل، ولا يلهيه لاه، ولا يصرفه عن غايته صارف، ولا عجب ولا غرابة أن حظي بعناية خاصة من شيخه.

وكانت الدواب، والمراكب الشراعية، و (التكرنه[١]) أي السير على الأقدام هي وسيلة المواصلات الوحيدة في ذلك الوقت، ولم يذكر لنا التاريخ أية وسيلة من تلك الوسائل الثلاث سلكها ذلك الشاب الطموح في الوصول إلى (الغبش) وثلاثتها كانت عسيرة، ومرهقة، وشاقة، ومحفوفة بالمخاطر. فإذا وضعنا في اعتبارنا كل تلك الحقائق أدركنا بما لا يدع مجالاً للشك أن الشيخ (النذير) وأضرابه، وزملاءه من الطلبة ما حصلوا على ما حصلوا عليه، وانتفعوا ونفعوا به من علم إلا بمزيد كدٍّ، ومشقة، ومرارة، وغربة، وجهد، ومسغبة، ومبيت على الطوى. فلم يجدوا الطريق

---

(١) نسبة إلى التكارين أو التكارير وهي قبائل مسلمة من غرب أفريقيا كانت تأتي عبر السودان مشياً قاصدة الحج إلى بيت الله الحرام.

أمامهم معبداً ولا وجدوا ذلك العلم لقمة سائغة، أو شربة هنيئة باردة فليدرك وليع هذه الحقيقة جيداً أبناء هذا الجيل. ولعل حفيد الشيخ (النذير) الأخ الأستاذ (سعدالدين محمد أحمد) المتحدث قبلي كان قد اقتدى بجده في علو الهمة فقد ذكر لي أكثر من مرة أنه عندما كان طالباً بمعهد أم درمان العلمي في الأربعينات كان كثيراً ما يأتي من (الكلاكلة) إلى جامع أم درمان الكبير حيث مقر المعهد – سيراً على الأقدام ذلك لأنه كان لا يملك القرشين قيمة تذكرة (الترام) في تلك الأيام. ولقد صدق الشاعر حين قال :

وإذا كانت النفوس كباراً

تعبت في مرادها الأجسام

أيها السادة :

ولقد عاصر الشيخ (النذير خالد) أثناء فترة دراسته (بالغبش) العديد من زملائه النجباء البهاليل الذين أطلوا فيما بعد أقماراً منيرة في سماء السودان والعالم الإسلامي نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر هذه الكوكبة من الأعلام الفرسان : (الإمام محمد أحمد المهدي، الشيخ أبا القاسم أحمد هاشم، أخويه الشيخين الكبيرين الطيب ويوسف، والشيخ المدثر ابراهيم الحجاز، والشيخ أحمد حميده طنطاوي الأحمدي الادريسي والد

فضيلة الأستاذ المرحوم الشيخ أبشر أحمد حميده قاضي القضاة الأسبق، ونذكر الأمير العالم عبدالماجد حاج محمد الغبشاوي أحد كبار قواد جيش الشيخ (محمد الخير) الذي فتح به مديريتي (بربر ودنقلا) وأضافهما لدولة المهدية، ونذكر كذلك الشيخ زين العابدين أبا صالح شقيق الأستاذ الشيخ (قريب الله)، والشيخ أبا زيد حاج حمد شقيق الشيخ أحمد الجعلي الكبير. والقائمة طويلة وللتوثيق أرجو الرجوع لهذه المصادر :

١) طبقات الفقيه ود ضيف الله.

٢) كتاب تاريخ التعليم في السودان للمرحوم الدكتور عبدالعزيز أمين عبدالمجيد.

٣) كتاب (بربر) للمرحوم الأستاذ باشري عبدالرحمن.

٤) الإسلام في السودان - سلسلة اقرأ للمرحوم الأستاذ محجوب زيادة حمور.

٥) الشيخ أبو القاسم هاشم، تأليف الأستاذ محمد أحمد قاسم.

٦) تاريخ بربر للمتشرف بالحديث إليكم.

٧) ميسور الترميم، للأستاذ المرحوم مجذوب مدثر الحجاز.

٨) دور الغبش في نشر التعليم الديني في السودان، لصاحب الكلمة.

٩) مجلة معهد أم درمان العلمي.

وهناك الكثير أيضاً من المصادر المتعددة. وكانت هذه النخبة المباركة كثيراً ما تلتقي في الأمسيات خارج حجرات الدراسة في باحة المسجد قريباً من (مزروب الحفظة[١]) يرتلون القرآن ترتيلا، ويذاكرون دروسهم ويراجعونها ويتبادلون الخبرات كما يقولون بلغة العصر.

ولقد مكث الشيخ (النذير) في معهد الشيخ (محمد الخير) بالغبش ما شاء الله له أن يمكث فيه، وعب ونهل من صافي معينه ثم غادر إلى حيث يلتقي بشيخ آخر يتلقى عليه شأنه في ذلك شأن غيره من طلبة العلم في ذلك العهد.

أيها السادة :

و (خلاوى الغبش) الآن والتي تشهد نهضة مباركة بتوفيق من الله تعيد لها - إن شاء الله سيرتها الأولى - تضم متحفاً للتراث به عدد من المصاحف الخطية القديمة، وعدد من مؤلفات الغبش، وبعض تلاميذهم، وعدد من المنشورات التاريخية، وتضم كذلك عدداً من صور الفرمانات الخديوية، إلى جانب لوحات فنية متعددة تحمل تعريفات موجزة لبعض مشاهير الرجال الذين تخرجوا في هذا المكان المبارك في العهدين (السناري والتركي) ومن بين تلك اللوحات لوحة خاصة بالشيخ (النذير خالد) رجل

---

(١) المزروب : هو المكان المحاط بشيء من الحصير أو الأغصان (كالزريبة)، ويعني هنا المكان المحدد لحفظة القرآن في الخلوة.

الكلاكلة المشهور، وقد عرضت تلك اللوحات في معرض (الذكر والذاكرين) والذي كان قد أقيم بقصر الشباب والأطفال بأم درمان خلال شهر يوليو المنصرم من هذا العام ١٩٩٤م.

كما أن طلبة كلية الدراسات الإسلامية ببربر، وطلبة كلية التربة بعطبره، وتلاميذ وتلميذات المدارس الثانوية، والمراحل الأساسية، والمعاهد العلمية وطلبة الخلاوى في المناطق المجاورة، والمواطنين والزوار القادمين يؤمون ذلك المتحف ويشهدون بين ما يشهدون فيه اللوحة الخاصة (بالشيخ النذير).

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم
ان التشبه بالرجال فلاح

ألا رحم الله الشيخ النذير خالد العالم العلامة والحبر الفهامة والشكر نزجيه ثانية لأولئك النفر الكرام الذين نفضوا الغبار عن (تاريخ ما أهمله التاريخ) ونهدي لهم هذه الأبيات من الشعر من نظم أحد أبناء الغبش فلله دزه حيث قال :

يا رحاب العتيق من مسجد (الغبش)
الذي كان في الزمان عجيبا
خبِّري الناس باليقين من القول
وبوحي بالسر يعبق طيبا
خبريهم عمن بنوا لك هذا المجد
في غابر الزمان رحيبا

أسســـوه علـــى هــدىً وبتقـوى
وبصدق ما كان فيهم غريبا
وأقــامـــوا للعـــاكفين الـزوايـا
وأنــاروا للمـدلجين الدروبا
لم ينالــوا مـــن الحيـــاة منـــالا
« غيرهذا » ومأصابوا نصيبـا
واكتفوا في حياتهم بحياة الذكر
بالـذكـر حـوثقـاً مضـروبـا
وتواصـوا بالحـق فـــي طاعـة
الله ومرضاتـه شبابا وشيبا
خبــريهــم بمـــا بثثت قـــديمـا
مـن علوم ومن تجلت نجيبا

ولقد زدت على تلك الأبيات الرائعة بيتاً من عندي :

إن هـذا (النـذير) قد ظل فينـا
خـالـداً اسمـه ذكيا أديبـا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

خاطرة الأستاذ أحمد ابراهيم أبوالنور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله بجميع محامده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه وبعد ،،

فإن غرضي من هذه المذكرة الموجزة أن أثبت بما تلقيته من والدي الشيخ ابراهيم أبي النور عن فضل وعلم أستاذه الشيخ النذير خالد، حيث كان من طلابه الخاصين الملازمين لحلقة درسه والتلقي عليه مدة حياته الدراسية حتى الحصول على الشهادة العالمية سنة ١٩٢٤م.

وكان والدي يحدثني عن تمكن شيخه النذير خالد وتحقيقه في العلوم العقلية من منطق وعقائد وأصول فقد درسوا عليه في علم المنطق وفي علم الكلام «الشمسية» و «العقائد النسفية» وغيرها من العلوم الفعلية كالمنقولات وآداب البحث والمناظرة ودرسوا عليه «جمع الجوامع» في أصول الفقه، وحدثني والدي عن مدى الفائدة العظيمة التي استفادها منه مما جعله – أي والدي – متخصصاً في المواد التي درسها على شيخه الجليل ومتميزاً فيها حتى خلفه في تدريس هذه المواد بالمعهد. هذا

بجانب حفظ الشيخ النذير الوافر في علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وآداب وحكمة هذا ومما لا شك فيه أن الشيخ النذير كان عالماً محققاً وثبتاً مدققاً، وكان مع كماله وغزارة علمه وفضله وشرفه أشد الناس تواضعاً وأخفضهم جناحاً. فجزاه الله خيراً.

كلمة الشيخ الدكتور حسن عبدالله الترابي *

بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمدلله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الاخوة الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

قدر لي من قبل أن أكون ابناً لأول الدفعة الأولى للمعهد وكان كما تليت عليكم شهادة تخريجه من ذلك المعهد كان تلميذاً للشيخ النذير خالد الماحي وكنت أراقب آثار شيوخه عليه ومهما اكتنفني بالعلم كنت اتعلم كما تعلمون في نواحٍ أخرى أقبل عليه وأنا ناظر أراقب، استطيع أن أقدِّر من أين تأتي فطرته ومن أين يأتيه ما تلقى من العلم من شيوخه وكان الشيخ عبدالله الترابي يتصل بالشيخ حمد الترابي وهو مجاهد حتى دخل السجن هنا وفي مكة ولكني تلقيت منه الخبر عن شيخه النذير وإن لم أكن حفيداً للشيخ النذير بالنسب فأنا حفيده بالتراث، وكانت تبلغني رواية الشيخ النذير فما كان يذكر أحد شيوخه إلاّ هذا الشيخ وكنت ألاحظ على اشارات تعليقه على الحواشي ملاحظات منقولة عن هذا الشيخ وكان حريصاً أن يمضي في العلم يأخذ

* هو الدكتور حسن عبدالله الترابي عميد كلية القانون سابقاً. وقد تولى وزارة العدل والنائب العام، ومستشار رئيس الجمهورية ورئيس المجلس الوطني. وهو السياسي الإسلامي المعروف. له عدد من المؤلفات والأبحاث.

ويتلقى في بيئة المعهد وكان لا يتلقى أجراً بل يكسب رزقه فإذا حصد أتى ليزرع العلم ولدي حصاده العلمي ولكن شيخاً آخر كما تعلمون كان هو شيخ المعهد الشيخ أبوالقاسم رحمه الله هو الذي دفعه للقضاء، فحدثني هو أنه كان زاهداً في القضاء، فقد كان في نفسه شيء لا أن يمارس القضاء بل أن يتلقى أجراً من حكومة الانجليز في أية مهنة.

ويلاحظ أن تلاميذ الشيخ أبي القاسم ساروا كلهم نحو القضاء وكان عسيراً إذا كلف أحدهم بالسير في السلك القضائي أن يبتعد عنه.

والشيخ النذير كان قاضياً في نظام إسلامي فلما رفعت الشريعة ووضعت في الأرض آثر أن يبقى في معهد في خلوة يحفظ فيها تراث العلم حتى لا يضيع، لكني وجدت من أخلاق الوالد غير تلك الروايات وصولاً من أخلاق العلماء الذين تشربوا بالعلم منها الزهد والتجرد والتواضع وتلك سمات شاهدتها في أصدقاء الوالد الذين درسوا على الشيخ النذير وكنت ألاحظ فيهم أنهم ما من حفاظ العلم الذين يتلقونه ويلقنونه فحسب بل كان يتشرب به. والجرأة في الحق والتي حدثتكم عنها اليوم لذلك كان يظهر على المفتش والمدير الذي يحكم حكماً مطلقاً تلك الأيام، وأدى ذلك لأن يصبح قاضياً خارجاً بعض الشيء عن نظام الانجليز،

لذلك كان يتنقل في أرجاء السودان المختلفة.. وكانت قضيته صراعاً مع ادارة بريطانية. والشيخ النذير خرج يحمل روح الجهاد من المهدية وروحه كانت في العلم الذي شرَّبه للوالد وكان والدي يناظر وكان معتداً بعلمه لا يتعصب لطائفة وذلك يعود لآثاره والشيوخ كلهم مواكب من الطريق المستقيم للمولى عز وجلَّ.

لذلك تلقيت من مجالسه الواسعة غالب أذكار الطرق الصوفية في السودان وما زلت إلى اليوم ممتناً لها بذلك الأثر الذي تلقيته من الوالد.

والوالد كذلك كان مثل أستاذه النذير لا يتخصص في شعبة من شعب العلم مثل فقه الميراث دون سائر أحكام الله لذلك تلقيت منه سائر العلم وكأني طالب مباشر لهذا الشيخ من أبي.

المنطق واللغة كلها بحواشيها إلى الصرف من الظواهر التي تدرَّس الآن والبلاغة والعروض والقوافى والمعلقات وأصول الفقه عند المالكية والشريعة والقراءات والتجويد ولذلك ما تيسر لى أن أعود للخلوة كرهاً فتيسر لي أن أحفظ القرآن بالقراءات الثلاث.

حاولت أن أتلقى عن أبي كل الأخلاق العلمية التي تلقاها من شيخه فلئن درست القانون فلم يتوفق الغربيون الذين حاولوا أن يبعدوا الشريعة، ما تأثرت بل صرت ازداد إيماناً كلما تلقيت منهم على الوضعية القانونية لذلك خرجت من الجامعة ولا أريد أن أكون

قاضياً وضعياً ولا أريد أن أكون محامياً وتحيرت ماذا يجري لي وأساتذة القانون ما كانوا يريدونني أستاذاً لأعلمهم فساد القانون الغربي وصلاح الشريعة وأراد الله تعالى أن أدخل الجامعة ودخلتها حيناً من الدهر وما أردت أن أكون متخصصاً في القانون.

وعندما كنا طلاباً في الجامعة كنا نجد المكايدات بين طلاب الشعب المختلفة.. وان كان أولئك يريدون حفظ العلم بعد أن ضيعه الاستعمار وأولياء الاستعمار من العرب كان أولئك يريدون حفظ بقية الدين وما كانوا يريدون أن يضيع أبداً، لذلك أسسوا المعهد العلمي ليحفظوا هذا العلم وهي سنة الله سبحانه وتعالى دائماً أن يكون الدين محفوظاً وإن شاء الله يحفظه. وغالب الذين يحفظون الكتاب هم مسجلات بشرية متحركة وهذا دليل أن الله تعالى جعل لهذا الدين من يحفظه قبل اكتشاف آلة التسجيل وحفظه في أمة أمية ما كانت تقرأ وتكتب والآثار تحفظ بآثارها والهجاء لم يكن آنذاك قد استقر، أين توضع الهمزة؟ وهكذا حفظ الله وحفظ هؤلاء كل تراث العلم الذي جدده المسلمون.

وإذا انتقل القضاء إلى الشيخ أيام المهدية قدر الله تعالى أن ينتقل الدين اليوم من علم محفوظ إلى قضاء، وإلى تطبيق، إلى واقع.. وأن تجديد الدين فهو من تراث ذلك التراث.

أولئك يعود إليهم وتعود إلى أصولهم بركات أن يبقى هذا

الدين محفوظاً حتى يتحول إلى عقائد وإلى واقع.

أذكر أن الوالد كان يدرسنا اللغة العربية، أنا كنت قانونياً وأخي الآخر كان مهندساً لكنه اليوم يرأس جماعة تعريب العلوم لأن أباه كان قد درسه أصول اللغة العربية لذلك كان أسرع الناس في هذا الشأن.

إن شاء الله هنا غداً في الجامعة الإسلامية تتعرب أسماء العلماء فيصبح شيخها نحريراً أو شيخاً بدلاً عن بروفيسور.

والشيخ دفع الله الترابي أول من عرَّب العلوم العربية في كلية الهندسة وتجرأت أنا ودرست القانون باللغة العربية وعرَّبت اللغة الانجليزية والشكاوى ذهبت لمدير الجامعة! وقلت لهم لم أجد في لوائح الجامعة ما يلزمني بالتدريس باللغة الانجليزية وما دام القانون لا يلزمني فأنا لا التزم. لذلك قهرت كل المجموعات الانجليزية والحمد لله أخيراً ودائماً بدأ الدين غريباً وبعد قليل يخرج كما خرج يوسف متمكناً في بعض الحكم، وهكذا فالعلم حفظه الله ويوماً يقدِّر الله أن تهب رياح وأن يتنزَّل غيث الرحمة فيسقي الأرض.

والانجليز عندما دخلوا السودان طردوا الدين ولم يوجد إلاّ في الخلاوى والحمد لله خرج الذكر والشريعة زويت في زاوية وبقيت حتى خرجت الآن واتسعت في الأرض؛

لو كان الشيخ النذير درس عند الغبش البديرية ودرس بيديه الشيخ الترابي اليوم برز ما نسميه نحن «صدفة» فاليوم كان يجلس إلى جنبي الآن حفيد للشيخ النذير أصبح اليوم والياً على الخرطوم مع بديري آخر أصبح والياً على السودان اسمه عمر. فالناس يلتقون في معالم الطريق إلى الله سبحانه وتعالى.

لاشك أن أسلافنا من بعدنا يرون تراث هؤلاء العلماء ويقدرون هذا التراث فنسأل الله سبحانه وتعالى في بعض الأجور التي كتبها له تعالى عالماً في المهدية ويجادل بعلمه في سبيل الله ونسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء.

أولئك العلماء كذلك انتشروا في الأرض نشروا بذرة هذا العلم التي نبتت شجرة مباركة كما يقول الاخوة الكرام اليوم.

ونسأل الله أن يجزي أسرة جامعة أم درمان الإسلامية نسأل الله أن يجزيهم على أن يحفظوا العلم ابتغاء أجر الله تعالى.. ويوم أن تحول المعهد إلى جامعة، أتينا لقراءة الرواتب وكله في سبيل الله سبحانه وتعالى.

نسأل الله أن يجزي أولئكَ للبناء الذي وضعوا أساسه والجامعة اليوم تنتشر وتبني صروحها صرحاً بعد صرح مؤسسة على هذا الأصل وما كان يخطر بالبال أن تقوم جامعة تسمى بالإسلامية هنا ونسأل الله أن يجزيهم على هذه البذرة التي بذروها واليوم الجامعة تعود إلى هذا الأصل.

ونحمد الله أن بقيت لنا بقية ونعلم أن البريطانيين كانوا يريدون طمس كل شيء وغمروا كل شيء ونسى الناس التاريخ القديم كأم دبيكرات مثلاً نسوها تماماً.. أين خبر الأوائل اليوم ؟ هل نرجع لكتاب الطبقات فقط؟ كان يمكن أن نلتقط هذه الآثار لو تمَّ تدوينها لكن المجاهدين كلهم ضاعت أسماؤهم .

الآن هذه الجامعة بجانب من جوانبها الذين هم أقرب إليها بدأت تذكرهم واحداً واحداً وغداً التاريخ في هذه الجامعة يكون أقرب إلى الدين.. هذه الجامعة كل جوانب الدراسة فيها تحيى تعاليم الإسلام أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزي الجامعة خير الجزاء وأن تقوم بتوثيق كل التاريخ الديني وهي قد بدأت بأقرب الناس إليها، وكل تاريخ البلد الإسلامي تقوم باحيائه جامعة أم درمان الإسلامية.

نريد بالكلام أن نجدد التاريخ والحمد لله أن اجتمعنا في سبيل الله كما اجتمع أجدادنا في سبيل الله وبهذه الطريقة نعود لتجديد ما ورثناه ويجزي الله خلفهم في الجامعة خير الجزاء. وقدر الله أن يمضي خلفهم على ذات الطريق وتمضي الجامعة وتجدد ذكرى العلماء وربنا سبحانه وتعالى تعلمون أن الملائكة كانت تنكر كيف خلق مخلوقاً يفسد في الأرض ولم يروا حكمة الله. والله سبحانه وتعالى علمه الأسماء كلها وفضله على الكل لأنه عن طريق العلم يدرك عظمة الله سبحانه وتعالى.

والجامعة أمس كانت تأخذ جانب العلم فقط والآن اتسعت . .آيات الله كلها تدرس فيها . . والآيت التي نزَّلها الله قدراً ومقدورا على الأشياء كالطب والهندسة.

والجامعة الإسلامية اليوم توسعت ببركة الذين أسسوها من قبل.

وربنا سبحانه وتعالى يجزيكم أن شهدتم أيام هؤلاء ونحن في الدين دائماً نتذكر السلف الصالح لأننا نجدِّد ديننا ونحتفل بالهجرة وقد يحتفل بعض الناس بميلاده.

السلام على هؤلاء العلماء وصلاته ورحماته على هؤلاء العلماء يوم ولدوا، وصلاته وسلامه عليهم يوم مضوا . . حتى يوم ماتوا وصلاة من الله ورضوان إلى أن يبعثوا يوم القيامة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة الأستاذ حامد الماحي وقيع الله *

بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمدلله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون.. هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون.

وصلى الله على سيدنا محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ونور الأبصار وضيائها ورضى الله على أصحابه الذين آزروه، الخادمين لجنابو ووقروه الماتوا منو بعاد والجاوروه والشاورن في الدين والشاوروه ومن سار على نهجهم الحميد واتبع طريقهم الرشيد.

وبعد فإن من دواعي قبطتي وابتهاجي وحسن طالع سعدي أن أتيحت لي الفرصة النادرة للمشاركة في هذه المهرجانات الرائعة والأعياد السعيدة بتكريم العلماء رواد الأمة الذين لا يكذبون.. يستعذبون المشقات لينعم الآخرون ويسهرون لينام غيرهم ملء أعينهم في جزل يحملون لواء التقدم والرقي كلما قطعوا مرحلة، قد أسهم هذا النجاح الذي حققوه والفوز الذي سجلوه لمواصلة السير الذي لا يتطرق إليه الكلال وهم المثل الرائع والقدوة الممتازة

---

* مدرس سابق بمعهد أم درمان العلمي.

في أقوالهم السديدة وأفعالهم الرشيدة ولسان حالهم يقول :

فلا هطلت على ولا بأرضي ٭٭٭ سحائب ليس تنتظم البلادا

ديدنهم الايثار، أما الآثرة فنبذوها وراء ظهرهم نبذ النواة واضعين نصب أعينهم سامي أغراضهم (غرسوا فأكلنا ونغرس فيأكلون) زادهم في هذا الطريق ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ .

من أولئك المصطفين الأخيار أسرة جامعة أم درمان الإسلامية التي تقيم هذه الاحتفالات الممتازة والأعياد الرائعة لخيرة العلماء وصفوة المحققين اعترافاً بفضلهم الكبير ومجهودهم الذي لا يمحوه كد الجديدين ولا تعاقب الملوين. تصنع ذلك جامعتنا العملاقة لتقيم البراهين الساطعة على أنها عميقة الجذور (كمثل شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها (ولا يعرف الفضل من الناس إلا ذووه) .

في حين أن بعض الناس يزعم - زوراً وبهتاناً - أن ما حققه من طموحات وما ناله من عالي الدرجات إنما هو ابتكاراته وطارف مجده منكراً لسلفه الصالح وما وضعه من لبنات صلبة وما ألقاه من طيب البذور فهو الآن يجني من ثمارها وينتشي من أريج أزهارها .

فأسرة جامعة أم درمان الإسلامية من أصول كريمة وطراز

فريد، فاستوجبوا عاطر الثناء وحسن الأحدوثة كيف لا وهم يكرمون من سجل الله رفيع مقامهم في كتابه الذي يتلى آناء الليل وأطراف النهار ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ ومن ذكر الرسول (ﷺ) أنهم ممن (من أراد الله به خيراً يفقهه في الدين) أمثال شيخ الإسلام العالم العلامة والحبر والبحر الفهامة الشيخ محمد البدوي وشيخ الإسلام بحر العلوم الزاخرة الشيخ أبي القاسم أحمد هاشم، اسبغ الله عليهما أثواب رحمته، وأجزل لهما المثوبة في دار كرامته.

ومن خيرة العلماء وصفوة المحققين المكرمين في هذه الأمسية المشرقة صاحب الفضيلة مولانا النذير خالد، الذي اشتهر بعلمه الغزير وسعة اطلاعه في شتى فروع المعرفة لا سيما العربية من نحو وصرف ومنطق وعلوم بلاغة من معان وبيان وبديع، يحدثك في اعجاب عن موفور علمه وواسع اطلاعه وحضور بديهته — رصفاؤه في التدريس ومن سعدوا بالجلوس إليه والاغتراف من بحار علمه العميقة. ونالوا الحظوة بالتقاط درره الفريدة ولعلك تعجب وتطرب إذا علمت من أحد تلاميذه أن ممن يحرصون على حضور دروسه في أدب جم الشيخ أمين قراعة قاضي قضاة السودان — من أخوتنا المصريين — حيث يجلس في درس شيخنا النذير في اصغاء تام خالعاً طربوشه. ويروى أحد تلاميذ الشيخ — أيضاً — وهو

الشيخ عبدالوهاب السراج عليه رحمة الله والذي كان مديراً لمعهد الخرطوم العلمي – يروي عن الشيخ قراءة هذا أنه قال « حواشي المصريين هذه لا يقدر عليها إلا الشيخ النذير » ومما يؤكد نظرة الشيخ قراءة في صعوبة هذه الحواشي ما كان يقوله أستاذنا العظيم طيب الذكر المرحوم الشيخ أحمد العاقب حيث كان يدرسنا ألفية ابن مالك في النحو بمعهد أم درمان العلمي القديم بعد أن يوضح المسألة متناً وشرحاً – ويريد الدخول في الحاشية – يقدم لها في دعابة لطيفة بقوله « للتين قوم وللجميز أقوام »!!! حفزاً للهمم أن يتبارى في الوصول لحل المشكلات بحضور ذهني وبذل خارق الاجتهاد (لا تحسب المجد تمراً أنت آكله . . لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا) . ومقدار تفضيل شيخ مشايخنا الشيخ النذير موضع إجماع، فقد قال أحدهم ممن يجلون العلماء كافة ويؤلمه ألا يشاركه الجمهور في هذا الشعور العالي، حيث يقول في لهجته الغرباوية المعهودة « كرموا الألماء هو البكرِّم الألماء هسع منو؟ النذير ود خالد بىْ « المودي يركب الترماي » – الترجمة على الشريط كما يقولون .

فيجب من منظوره أن يكون العالم متميزاً دائماً حتى في العاديات، كعقلية من نعى عليهم القرآن نظرتهم الضيقة (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟؟؟!) ولكن شيخ

مشايخنا الشيخ النذير كان شعبياً بمعنى الكلمة علمٌ يزينه تواضع رائع!! وأنه لا يلقي بالاً للشكليات.

وليت هذا القائل حي بيننا اليوم ليرى مدى تكريم العلماء من جامعة أم درمان الإسلامية لتقر عينه ويبتهج فؤاده وينشد :

إذا ما راية رفعت لمجد ** تلقاها عرابة باليمين

ويعتقد تمام الاعتقاد وهو محق في ذلك أن هذا القول ينطبق تمام الانطباق على جُامعة أم درمان الإسلامية التي ضربت الرقم القياسي في الوفاء.

ومن تواضع شيخنا النذير وتنزله لمستوى العامة أحياناً لينقلهم إلى حظائر العلم الوارفة الظلال في لغة سهلة مبسطة ما قصَّه علينا أحد تلاميذه البررة وهو الشيخ محمد عبدالله العمرابي المدرس بمعهد أم درمان سابقاً – طيَّب الله ثراه – قال: كان موضوع الدرس في التوحيد (أقسام الحكم العقلي) والتي يقول فيها صاحب المتن

(أقسام الحكم العقلي تنحصر في ثلاثة – الوجوب ثم الاستحالة والجواز أو كما يقول الآمر: «أقسام حكم العقل لا محالة هي الوجوب ثم الاستحالة».

ثم الجواز ثالث الأقسام *** فافهم منحت لذة الأفهام

كان شيخنا النذير يقول في تفسير (ينعصر) أي ينضبط

ويتحاشى ويمسك في ثلاثة؟؟؟! كل ذلك ليوصل المعنى بلغة يفهمها كل سامع!!

وهكذا تتجلى البلاغة في (رعاية مقتضى الحال) كما يقول علماء هذا الفن. من ذلك ما روى أن أحد الشعراء الفحول عرف عنه هذا الشعر :

ربابة ربة البيت *** تصب الخل في الزيت

لها تسع دجاجات *** وديك حسن الصوت

فصوبت له سهام النقد من بعضهم قائلين « أي روعة في هذا التعبير؟ وأين تكمن فيه دقة التصوير؟ وأين نجد فيه الخيال الشعري؟ إلى آخر المعايير التي يتحسسها النقاد في الشعر.

فقال شاعرنا الفحل في رد مفخم: « إن هذا الشعر قيل في جاريته البسيطة وهو ما يناسبها كل التناسب ويتفق وادراكها كل الاتفاق وتراه في نظرها أبلغ من (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) .

وهكذا البلاغة في رعاية مقتضى الحال كما قدمنا والحق أقول - أيها السادة الأعزاء - إني لم أسهم في هذه الأعياد الكبيرة إلا بجهد المقل، بضع كلمات

لا خيل عندك تهديهاولا مال** فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

وحتى في معرض الحديث فإن بضاعتي مزجاة بالنسبة لتلك القمم

الشوامخ ولي عظيم الأمل في كريم خلقكم، العفو ان عقني البيان ولم أجد معيناً من فصيح اللسان وشفيعي في ذلك :

كيف الوصول إلى سعاد ودونها*** قمم الجبال وبينهن حتوف

وختاماً نستمطر من الله طيب رضوانه ووابل غفرانه لعلمائنا الأجلاء ولهم رفيع الدرجات في جنات تجري من تحتها الأنهار لا يمسهم فيها نصب ولا يمسهم فيها لغوب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،

الفصل الثامن

الشيخ أحمد محمد أبودقن

١٨٧٧ - ١٩٤٠م



الشيخ / أحمد محمد أبو دقن

القسم الأول :

التعريف بالشيخ

المطلب الأول : اسمه ونسبه وأسرته.

المطلب الثاني : نشأته وبيئته.

المطلب الثالث : تعلمه.

المطلب الرابع : جهوده العلمية وتلاميذه.

المطلب الخامس:نشاطاته العامةوأعماله الأخرى.

المطلب السادس : وفاته.

المطلب الأول : اسمه ونسبه وأسرته :

هو أحمد بن محمد بن أحمد المكنى (أبودقن) ابن ابراهيم الملقب بـ (الكاسر) ابن عبدالله بن حماد بن حمد ابن وديدي بن ادريس ابن الشيخ عبدالله القاسمي (جماع).

ولد الشيخ أحمد محمد أبودقن بقرية (الباوقة) شمال مدينة عطبرة (غرب محطة العبيدية) في حوالي عام ١٨٧٧م. وهو من قبيلة العبدلأب، فقد استطاع الشيخ عبدالله جماع شيخ عرب القواسمة أن يلم شتات المجموعات العربية التي انتشرت في مملكة علوة، وأن يقضي على تلك المملكة المسيحية وينشيء على أنقاضها دولة عربية إسلامية بزعامة العبدلاب اتحدت فيما بعد مع الفونج وتألفت من ثم سلطنة الفونج ومشيخة العبدلاب التي حكمت السودان بالشريعة الإسلامية (١٥٠٥ - ١٨٢١م) مدة تزيد على الثلاثمائة عام.

هذا وإذا رجعنا إلى أسرة الشيخ (أبودقن) فإن والدته تلتقي مع أبيه في النسب فهي زينبية بنت محمد حمزه ابراهيم (الكاسر)، وقد تزوج ثلاث مرات: تزوج أولاً (كنينة ابراهيم حمزه ورزق منها بنتاً واحدة هي « الزهراء »). ثم تزوج (عيشه الأمين وأنجب منها « محمد أحمد أبودقن » والحسن من الذكور، « وفاطمه » و « زينب » و « نفيسه » و « أم الحسين » من الإناث. كما

تزوج أخيراً (فاطمه غلام الله « أبودكة »، أنجب منها « سيده » و « ست البنات » و « آمنه » و « سعاد ». ومن الذكور « محمد الفاتح ».

معنى ذلك أن ذرية الشيخ أحمد كانت تتألف من تسع من الإناث وثلاثة من الذكور.

المطلب الثاني : نشأته وبيئته :

نشأ الشيخ (أبودقن) بقرية الباوقة بالقرب من عطبره في كنف أسرته التي اشتهرت بالتدين في تلك المنطقة حيث حفظ القرآن الكريم بخلاوى المنطقة وختمه عدة مرات، ومن ثم انتقلت أسرته لمدينة « أم درمان » بعد هجوم جيش الخليفة التعايشي بقيادة محمود ود أحمد على المتمة وغيرها من القرى المجاورة بمدينة « شندي » فكانت قرية « الباوقة » إحدى القرى التي تم اخلاؤها لمواجهة الجيش الغازي. وكان الشيخ في تلك الفترة في مراحل صباه حيث عاصر دولة التركية السابقة.

لازم الشيخ أبودقن خاله السيد ابراهيم في مدينة أم درمان وقام بخدمته حيث سمح له الخليفة عبدالله بذلك وكان خاله معتقلاً من قبل الخليفة الذي كان يظن أن له دوراً في هروب سلاطين[١] باشا من أسر الخليفة بأم درمان. وقد عاش الشيخ أبودقن مع خاله في بيئة إسلامية لازم خلالها دروس الشيخ محمد البدوي المشهور بمدينة أم درمان.

عاصر الشيخ ثلاث حقب في السودان، ففي طفولته شهد الاستعمار التركي المصري للسودان وهي فترة عصيبة رزح السودان

---

(١) سلاطين باشا : ضابط نمساوي عيَّنه غردون باشا حاكماً على دارفور سنة ١٨٨٤م، أسرته قوات المهدية، وفر سنة ١٨٩٥م، وعاد إلى السودان مرة أخرى في فترة الحكم الثنائي، وعاش بين ١٩٠٠ – ١٩١٤م، ثم رجع إلى بلاده. له كتاب (السيف والنار) عن حياته في السودان.

تحت نيرانها إلى أن جاءت الثورة المهدية فشهد شيخنا مرحلة تأسيس الدولة الإسلامية على يد الإمام المهدي، ثم فترة الخليفة عبدالله (١٢٩٨ - ١٣١٥هـ / ١٨٨١ - ١٨٩٨م) وما صحبها من أحداث عصيبة، ثم أخيراً عاصر فترة الاستعمار الانجليزي (١٨٩٩ - ١٩٥٦م) الذي حكم السودان لفترة طويلة وكان الشيخ فيها قد تخطى مرحلة الشباب حيث تولى مشيخة علماء السودان، وقبلها تولى القضاء، وتدرج في سلكه، وعاصر مجموعة من الأحداث كان له دور بارز فيها إذ صنع بعض هذه الأحداث وشارك في بعضها الآخر.

المطلب الثالث : تعلمه :

التحق الشيخ أبودقن أيام طفولته (بخلوة الباوقة) إذ لم يكن في ذلك الزمان غير الخلاوى في القرى. وحفظ القرآن الكريم وختمه عدة مرات، شأنه في ذلك شأن أغلب أبناء القرى في مختلف أنحاء السودان.

واصل بعد ذلك تعلمه في صباه بعد أن استقر بمدينة أم درمان مع خاله، وسمع بالمرحوم الشيخ البدوي وقد كان يدرس العلوم الإسلامية، فلازم حلقاته اليومية التي كانت تبدأ بعد صلاة العصر فتستمر حتى ساعات متأخرة من الليل، نهل من هذه العلوم فكانت المعين الثر والأساس الذي كون عقليته العلمية الإسلامية الشرعية، وأظهر في هذه الحلقات شغفاً للمعرفة وحباً وارادة قوية في التعلم حتى أن الشيخ (البدوي) علم فيه هذه الخصال فقربه إليه وصار ذا مكانة عنده.

انتظم بعد ذلك في أول دراسة منتظمة من نوعها في السودان، فقد احتاج المستعمر في تلك الأيام إلى موظفين سودانيين لشغل بعض المناصب الصغيرة في دواوين الحكومة ففتح بكلية غردون قسماً لدراسة القضاء الشرعي، وفي أول دفعة تقبلها الكلية

في هذا القسم تقدم الشيخ أبودقن لهذا القسم، وكان نظامه أن يعقد امتحانا للمتقدمين فنجح الشيخ بتفوق والتحق بقسم القضاء الشرعي بكلية غردون وتخرج فيه عام ١٩٠٥م.

المطلب الرابع : جهوده العلمية وتلاميذه :

أ/ جهوده العلمية :

تولى الشيخ أحمد محمد أبودقن منصب شيخ علماء السودان في عام ١٩٣٢م خلفاً للشيخ أبي القاسم أحمد هاشم وكان المعهد العلمي عندما تولى مشيخته ثلاث مراحل تعليمية وهي : القسم الابتدائي، القسم الثانوي، والقسم العالي . وكان لكل قسم شهادة منفصلة تمنح للطالب . فالشهادة الابتدائية تمنح للذين اكملوا المرحلة الابتدائية، ثم الشهادة الأهلية للثانويين، والشهادة العالمية للقسم العالي .

لاحظ الشيخ في عام ١٩٣٤م، أي بعد عامين من توليه المشيخة أن كبار الطلاب لا يستمرون في الدراسة، بل يكتفون بتلقي الدراسة الابتدائية أو الثانوية ولا يلتحقون بالقسم العالي، ومن ثم يلتحقون بوظائف دنيا أو يعملون على نشر العلم في قراهم ومدنهم . فرأى الشيخ أحمد أبودقن أنه لا يمكن محاربة هذه الظاهرة إلا بادخال نظام الدراسة بالانتساب حتى يتسنى لهؤلاء مواصلة عملهم بجانب تلقيهم العلم والاستزادة من المعرفة بدخولهم القسم العالي فأدخل نظام الدراسة بالانتساب وهو بهذا يكون أول من أدخل هذه الطريقة في مؤسسات التعليم العالي في السودان .

كـذلك سن نظامـا اتبع الآن بمؤسـسـات التـعليم العـالي بالسـودان وهو أنه أنشأ للمعهد فروعاً في أقاليـم السـودان المختلفة، فكتـب إلى القـضـاة الشرعـيين في مراكـزهم ليسـاعـدوا على انشـاء المعاهد في مقر محاكمهم لتكون فروعاً للمعهـد الكبير بأم درمان، وقد عمل أكثر القضاة على تنفيذ هذه الفكرة ونقلوا مقار المعاهد من المحـاكم إلى المسـاجـد، وقـد سـاعـدت هذه الفكرة كـثـيـر من الطلاب على نهل العلم. وبناءً عليـهـا فـقـد منح المعـهـد الكبـيـر شهادات نقل من السنة التاسعة حتى الثانية عشرة للطلاب الذين درسوا حتى التـاسع في الأقـاليم. وقد كـان لقـرار قبـول الطلاب عن طريق الانتساب وقـرار الدراسة بالأقاليم صدى كبير عند كثير من الطلاب الذين آثروا الدراسـة والاتجـاه للتـدريس في المعـاهد سـواءً أكان ذلك عن رغبة في نشر العلم أو اضطراراً تحت ضـغط ظروف المعيشة وتحسين ظروفهم المعيشية. ففتح هذا القرار المجال واسعاً أمام عدد كبير من الطلاب في المدن البعيدة ممن لم يتيسر لهـم الالتحاق بالمعهد العلمي بأم درمان. وكان ايواء الطلاب الوافدين من الأقاليم مشكلة يعاني منها المعهد خاصة بعد تزايد اعداد الطلاب فيه في فترة الشيخ أحمد، على أن قيام هذه المعاهد رغم ما تعانيه من قلة اعتمادات وشح في مواردها المالية، هيأ لهؤلاء الفرصة لاتخاذ منابر المساجد وحلقات الدروس مجالا لنشر العلم والدين في أوساط

الطلاب والعامة والذين تأثروا لهذا النشاط بشكل كبير.

وثمة ظاهرة أخرى بدأت أكثر وضوحاً على عهده وهي ظهور بوادر السياسة التي وضعها الانجليز لتحجيم تعيين الطلاب المتخرجين في المعهد في الوظائف الحكومية. وقد عمل الشيخ على مناهضة هذه السياسة التي كانت خفية وظهرت بجلاء في عهده.

وطوال فترة تدريسه بالمعهد تلقى على يديه مجموعة كبيرة من العلماء والشيوخ العلوم النافعة.

ب/ تلاميذه:

تلقى العلم على يديه جمع لا يمكن حصره من الأساتذة والعلماء الأجلاء، نذكر منهم في هذه العجالة السادة المشايخ والأساتذة:

١. الطيب الدوش، صاحب مدارس الدوش.

٢. كامل السيدالباقر، العَلم المعروف وأستاذ الأجيال ومدير الشئون الدينية لسنوات عديدة وأول مدير لجامعة أم درمان الإسلامية في صورتها الحديثة.

٣. الفاتح الشيخ قريب الله، شيخ الطريقة السمانية.

٤. محمد محمد علي الأديب والشاعر والناقد المعروف.

٥. أحمد الحسين أبودقن، الآن محاضر بكلية التربية جامعة الخرطوم.

٦ . الفاضل التقلاوي، عالم كبير في الفقه والحديث، له مسجد باسمه في أم درمان.

٧ . الهادي آدم، الشاعر المعروف.

٨ . الأمين الضرير، وكان وكيلا للمعهد.

٩ . مصطفى طيب الأسماء.

١٠ . محمد الخليفة الهادي.

١١ . محمد أحمد ياجي.

١٢ . محمد العبيد وقيع الله.

١٣ . يوسف الخليفة عبدالرحمن.

١٤ . محمد عبدالقادر كرف.

المطلب الخامس : نشاطاته العامة وأعماله الأخرى :

كان الشيخ أحمد محمد أبودقن ضمن أول دفعة تخرجت في كلية غردونْ قسم القضاء الشرعي، تولى منصب شيخ علماء السودان سنة ١٩٣٢م خلفاً للشيخ أبي القاسم أحمد هاشم. كان المعهد العلمي أول ما تولاه الشيخ أبودقن به - كما أوردنا - ثلاث مراحل تعليمية.

في سنة ١٩٣٤م أي بعد عامين من تولي الشيخ منصب شيخ علماء السودان رأى أن يدخل نظام الانتساب للقسم العالي من المعهد حتى يتسنى لهؤلاء مواصلة تعليمهم العالي وسمي التقديم لنيل الشهادة العالمية من الخارج، وبهذا يكون الشيخ أبودقن أول من سنَّ نظام الانتساب في مؤسسات التعليم العالي بالسودان.

كذلك سنَّ الشيخ أحمد محمد أبودقن نظاماً اتبع الآن في مؤسسات التعليم العالي بالسودان وهو أنه أنشأ فروعاً للمعهد في أقاليم السودان المختلفة فكتب إلى القضة الشرعيين في مراكزهم ليساعدوا على انشاء المعاهد في مقر محاكمهم لتكون فروعاً للمعهد العلمي الكبير تمده بالطلبة وليعمل فيها خريجو المعهد وفعلاً عمل أكثر القضاة على تنفيذ الفكرة استجابة لنداء الشيخ أحمد محمد أبودقن شيخ علماء السودان، وقد ساعدوا على قيام

تلك المعاهد بالمساجد التي يديرونها والصرف عليها من وقف المساجد، كما كونوا لجان لجمع الاكتتاب لهذا الغرض، وقد قام كثير من تلك المعاهد بهذه الطريقة، وقد أدت رسالتها في هذا الشأن وأمّها كثيرا من خريجي المعهد العلمي الكبير الذين اكتفوا بالقليل من المرتبات، وبعد تنفيذ الفكرة أعطت المشيخة شهادات النقل من فصل إلى فصل من السنة التاسعة إلى السنة الثانية عشر، وكذلك شهادة العالمية إلى جميع من يمضون امتحانا في مقررات تلك السنين، ومما لا شك فيه أن هذا النظام كان الغرض منه نشر الثقافة الإسلامية في قرى ومدن السودان.

لقد تميزت فترة الشيخ (أبودقن) والتي تولى فيها رئاسة المعهد بظاهرتين :

الأولى: انشاء المعاهد الابتدائية في الأقاليم، والسماح لطلبة القسم الأهلي بالمعهد بالتدريس فيها.

الثانية : سمح أن يتقدم الطلاب للقسم العالي عن طريق الانتساب.

ولقد كان لهذا القرار صدى كبير عند كثير من الطلبة الذين آثروا ترك الدراسة والاتجاه للتدريس في هذه المعاهد سواء أكان ذلك عن رغبة في نشر الرغبة أو اضطراراً تحت ضغط ظروف المعيشة، ولقد فتح هذا القرار المجال واسعاً أمام عدد كبير من الطلبة في المدن البعيدة ممن لم يتيسر لهم الالتحاق بالمعهد في أم درمان،

وكان ايواء الطلبة الغرباء مشكلة يعاني منها المعهد؛ على أن قيام معاهد الأقاليم رغم ما تعانيه من قلة الاعتمادات هيأ لهؤلاء الفرصة لاتخاذ منابر المساجد وحلقات الدروس مجالا لنشر العلم والدين في أوساط الطلبة والعامة الذين تأثروا بهذا النشاط بشكل كبير. والظاهرة الثانية التي تميزت بها فترة الشيخ أبودقن ظهور بوادر السياسة التي وضعها الانجليز لتحجيم تعيين الطلاب في الوظائف والتي سوف نتناولها في جهده في السياسة.

المطلب السادس : وفاته :

بعد إحالته إلى المعاش عام ١٩٣٨م استقر بمنزله بأم درمان حتى وافته المنية بعد ذلك بسنتين بعد حياة عامرة بالجهاد والكفاح عن ٦٣ عاماً لخدمة الإسلام والمسلمين.

القسم الثاني

ليلة التوثيق

ويشتمل على المطالب الآتية :

المطلب الأول : تقديم.

المطلب الثاني : برنامج الليلة.

المطلب الثالث : كلمة الجامعة.

المطلب الرابع : كلمة أسرة الشيخ.

المطلب الخامس:كلمات وخواطر ألقيت في الليلة

المطلب الأول : تقديم :

في اليوم الثامن والعشرين من شهر شعبان عام أربعة عشر وأربعمائة وألف للهجرة (٢٨ شعبان ١٤١٥هـ) الموافق لليوم الثامن من يناير من عام خمسة وتسعين وتسعمائة وألف للميلاد ٢٨ / ١ / ١٩٩٥م وبقاعة الإمام مالك بن أنس بمبانيها الجامعة بالعرضة، كانت الليلة الخامسة في سلسلة ليالي توثيق حياة علماء جامعة أم درمان الإسلامية وهي لتوثيق حياة الشيخ أحمد محمد (أبودقن).

وقد حضرها جمع غفير من المسئولين بالدولة، ومديري الجامعات، وشيوخ الطرق الصوفية، وأسرة الشيخ أحمد محمد (أبودقن)، وأساتذة وطلاب وطالبات وموظفي وموظفات جامعة أم درمان الإسلامية، وعدد كبير من المهتمين بتاريخ السودان، وعدد من مراسلي الصحف ووكالات الأنباء.

وقد شارك في هذه الأمسية عدد من العلماء والأدباء ومعارف الشيخ وطلابه ومحبيه والمهتمين بشئون العلم والسودان، وقد كان لمشاركتهم الأثر الطيب في إنجاح الأمسية وفي امتاع وإفادة الحضور وفي اضفاء البهجة والمسرة في نفوسهم وقد تدارست اللجنة أمر تضمين هذا الكتاب جميع المساهمات ولكن لاعتبارات فنية اختصرنا على جزء منها في مقدمتها كلمة الجامعة وكلمة الأسرة. واستفدنا من بقية المساهمات في تلخيصنا للمعلومات التي أوردناها في القسم الأول عن هذا الشيخ.

المطلب الثاني : برنامج الليلة :

١ . القرآن الكريم .

٢ . كلمة الجامعة – بروفيسور علي أحمد محمد بابكر .

٣ . كلمة أسرة الشيخ – ألقاها الأستاذ الفاتح أحمد محمد أبودقن .

٤ . كلمة الدكتور يوسف حسن سعيد .

٥ . كلمة الأستاذ أحمد محمد الحسين (أبو دقن) .

٦ . كلمة الشيخ الفاضل التقلاوي .

٧ . كلمة الشيخ أحمد محمد الصادق الكاروري .

٨ . خاطرة الدكتور بابكر البدوي دشين .

٩ . خاطرة الدكتور يوسف شبيكة .

١٠ . قصيدة في رثاء الشيخ، ألقاها حفيده الطفل يوسف .

١١ . قصيدة رثاء ألقاها الدكتور يوسف سليمان الطاهر .

١٢ . كلمة البروفيسور عون الشريف قاسم .

١٣ . القرآن الكريم .

المطلب الثالث : كلمة الجامعة :

ألقاها البروفيسور علي أحمد محمد بابكر مدير الجامعة الإسلامية في أمسية توثيق حياة الشيخ (أبودقن) .

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

اخوتي الكرام.. ضيوفنا الذين شرفونا وأسعدونا في هذه الليلة المباركة.. اخوتي واخواتي من أسرة الشيخ الجليل أبودقن، الاخوة والاخوات من أسرة الجامعة، الاخوة والاخوات الضيوف عموماً.. السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ،،

هذه اللقاءات لقاءات مباركة ندعو الله أن يتقبلها وأن يجعلها لوجهه تعالى، وهي لقاءات تعطر ساحات هذه الجامعة العريقة وكلما دعونا للقاء نوثق فيه لحياة أحد من علماء هذه الجامعة العريقة يأتينا كرام الناس ويشاركوننا هذه الساعات التي ستكون أساسا لتوثيق حياة علماء خدموا الجامعة والسودان وقبلها خدموا الأمة من خلال أعمال عامة خارج هذه الجامعة.

اليوم نلتقي لنتحدث قليلا عن هذا الشيخ وساختصر حديثي كثيرا وسيأتي من بعدي ممثلون للأسرة وبعض تلاميذه من أمثال البروفيسور كامل الباقر والشيخ أحمد محمد الصادق الكاروري، وستكون هناك خواطر أخرى تكمل هذه الصور.

بدأت قيادة الشيخ أحمد محمد (أبودقن) للجامعة عام ١٩٣٢م بعد وفاة الشيخ أبي القاسم أحمد هاشم، امتدت فترته إلى ١٩٣٨م (ست سنوات) كانت حافلة في هذه المؤسسة الجامعة. وسأعطي لمحات عن حياة الشيخ بعد أن حفظ الشيخ القرآن صغيراً، درس على رموز العلم أمثال الشيخ محمد البدوي الذي بدأنا به هذه اللقاءات حتى بلغ مبلغا من العلم جعله من رموز علماء السودان وقاد حياة علمية حافلة حتى تبوأ مقعد رئيس هذه الجامعة الذي كان يسمى (شيخ المعهد) في التاريخ الذي أشرنا إليه. وبعد أن تقاعد عن قيادة هذه الجامعة لم يبق على قيد الحياة أكثر من عامين، ثم انتقل إلى جوار ربه راضيا مرضيا.

كانت وفاته سنة ١٩٤٠م وكان عمره حين توفى ٦٣ عاماً وهو العمر الذي قضاه الرسول (ﷺ) وبعض أصحابه في هذه الدنيا. وهذه موافقة لطيفة، ومعنى هذا أنه انتقل إلى جوار ربه وهو في عنفوانه وقوته.

هذه الفترة التي قضاها في قيادة جامعة أم درمان الإسلامية كانت فترة ملئية بالمصاعب. وهي الفترة التي ظهرت فيها أزمة اقتصادية عالمية ما بين (١٩٢٨ إلى ١٩٣٨م). وقد كانت فترة صعبة في السودان والعالم كله، فانسحب ذلك على كل حياة الناس. كانت هذه الفترة التي قضاها هي ما بين ثورة ١٩٢٤م وقيام مؤتمر الخريجين. فكانت فترة الرقابة الدقيقة من الانجليز على المعهد

الذي كان يواجه المضايقات خاصة في السنة الأخيرة من فترة قيادة الشيخ للجامعة.

وذلك بعد أن كتب السيد اسماعيل الأزهري للسكرتير الاداري الانجليزي أن مؤتمر الخريجين قام ليرعى مصالح الناس. فبدأت المضايقات بعد ذلك. وفي هذه الفترة قاد الشيخ المعهد وأدى فيه دورا كبيرا. وكان معتزاً بدينه لا يرضى الدنية فيه. وقضى فترته وهو يغرس في الأجيال قيم الإسلام والعلم والوطنية.

هذا التاريخ الناصع العلمي لم يثبت في كتب تاريخ السودان. فاقمنا هذه اللقاءات لنعيد التاريخ الحقيقي للسودان، لأنه مجهول. وهناك أشياء كثيرة يجب أن نتوقف عندها لاعادة كتابة تاريخ هذا البلد.

كان الشيخ أحمد محمد أبودقن معتزاً بدينه وكان مجتهدا في معالجة قضايا الناس وحل مشاكلهم. كان يمشي في سد حاجات اخوته دائماً.

كان يتبع اليسر في الأمور ما أمكنه ذلك لذا ابتدع وسيلة للطلاب لنيل الشهادات العليا. وابتدع نظام الانتساب لطلاب الشهادة الأهلية. وهذه السنة ظلت في جامعة أم درمان الإسلامية دون غيرها من سائر الجامعات.

وهو الذي بدأ فكرة انشاء المعاهد في الأقاليم، ثم أكملها الشيخ أبوشامه عبدالمحمود من بعده، وبفضل جهوده وجهود اخوته

الذين سبقوه والذين أتوا من بعده بقيت هذه المؤسسة لا تهزها الأعاصير لأنها كانت قائمة على النوايا الطيبة وعلى التقوى.

ابنة الشيخ سعاد وهي – زوجة الدكتور يوسف شبيكة – طلبت من الجامعة انشاء جائزة سنوية باسم الشيخ أحمد محمد أبودقن. وقررت أن تمول هذه الجائزة سنوياً. وقدمت شيكاً بمبلغ مائة ألف جنيه كتبرع أولي. وبإذن الله ستنشأ هذه الجائزة وسنسميها باسم الشيخ (أبودقن)، وستبتدع الجامعة وسائل عديدة لتخليد هؤلاء العلماء. وقد وجهنا الاخوة عمداء الكليات بتسمية بعض القاعات باسماء هؤلاء الشيوخ الأجلاء.

أقول هذه الكلمات وأشكركم وأدعو الله أن يتقبل الأعمال، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

المطلب الرابع : كلمة الأسرة :

ألقاها الأستاذ الفاتح أحمد محمد أبودقن★

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ،،

واجهني موقف صعب حين فكرت في اختصار سيرة رجل قضى ٦٣ سنة في جهاد في سبيل الإسلام ومقاومة الاستعمار الانجليزي، ولكن الموقف لا يحتمل غير الاختصار.

كان الشيخ أبو دقن عالما محباً للعلم والعطاء، ومحباً للقراءة. أديباً فذاً، يستخدم الأدب في خدمة العلم. وكان أسلوبه هو السهل الممتنع. وقد كتب في أغلب الجرائد السودانية في تلك الفترة.

كان يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالمواظبة على العبادة، وكان عالماً بأمور الدين والدنيا.

كان على رأس اللجنة التي أشرفت على بناء جامع جوبا، وقد ذهب مع الوفد لافتتاحه أيام الانجليز، وكان حدثاً فريدا وتاريخياً. وكان ينتقل بين الجنوبيين ويحدثهم عن الإسلام وسماحته ينشر الإسلام بينهم وقد حضر بعضهم معه إلى الشمال وأسلموا على يديه.

★ التحق بوزارة المالية ١٩٤٨م، كان عضواً للندوة الأدبية للمرحوم عبدالله حامد الأمين، متزوج وهو نجل الشيخ أبو دقن.

وأود أن أسجل شكر وعرفان الأسرة لجامعة أم درمان الإسلامية ممثلة في قيادتها على تكريم والدنا الشيخ أحمد محمد أبود قن واحياء ذكراه وتوثيق حياته، وهو عمل جليل يقدره كل الناس.

المطلب الخامس : كلمات وخواطر

كلمة الأستاذ/ أحمد محمد الحسين أبو دقن★

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد ،،

إن المحتفى به هو خالي شقيق والدتي وعمي ابن عم أبي، وليست هذه هي العلاقة أو الصلة التي اعتز بها فهناك علاقة وصلة أسمى عندي وأرفع قدراً هي التي اتشرف بها وأحب أن انتسب إليها تلك هي الابوة الروحية التي نعمت بها في ظلال رعايته وتغذى بها دمي ولحمي وتشربتها روحي، فقد كان حقيقة وأقول حقيقة مرات أنه كان بالنسبة لي الأب الروحي بمعنى ما تعنيه وتحمله الابوة الروحية من معانٍ سامية نبيلة، فقد توفى والدي وأنا ابن سبع أو نحو ذلك فاحتضنني وكفلني ورباني وعلمني وتخرجت في رحاب رعايته من معهد أم درمان العلمي بالشهادة العالمية، ولهذا قصة فقد قبلت في امتحان الترفيع للمرحلة الابتدائية (الوسطى) بمدرسة أم درمان الأميرية، وبعد نصف عام

★ أحمد محمد الحسين أبو دقن من مواليد ١٩٢٧م، التحق بالتدريس بوزارة التربية والتعليم حيث عمل بمدرسة خور طقت الثانوية (سابقاً).

من دخولي الابتدائي قال لي عليه رحمته «إن خَيْرتَك أن تتعلم تعليماً دينياً فأخرجت من المدرسة وأدخلت المعهد رغم أن قبولي باللجنة كان بالمجان». فقد كان عليه رحمة الله ورضوانه لا يقدم على شيء ذي بال إلا بعد أن يستخير الله فيه، وكنت مفضلا عنده دون الآخرين، اقرأ له الصحف وخاصة مجلتي الرسالة والثقافة لأحمد حسن الزيات، ويملي عليَّ واكتب له ما يشاء أن يكتبه، وما كان يرسل به للصحف من مقالات دينية واجتماعية فقد نشرت له جريدة النيل ومجلتا النهضة والفجر قدراً من ذلك، وكنت أصحبه في أسفاره فقد صحبته حين ذهب بتكليف من هيئات قومية ليفتح جامع جوبا وقد منح عليه نيشان النيل من الدرجة الرابعة، وأني لا أنسى ولا يغيب عن ناظرتي تلك الحشود التي استقبلته على رصيف مربط الباخرة بجوبا وقد حملته على الأكتاف وهي تكبر وتهلل، ومرة أخرى لا أنسى تلك الجموع التي ملأت ساحات المسجد من الداخل والخارج ومن بينها تلك الوجوه من الجنوبيين وقد جاءت تتدافع لدخول المسجد مع المصلين ولا تغيب عن ذاكرتي مقالته ـ رحمه الله ـ عندما حاول أن يدفعها عن دخول المسجد (خلوهم ديل علينا أن نؤلف قلوبهم)، ولا أنسى تلك الخطبة الضافية التي ارتجلها يحث فيها الشماليين هناك بأن يأخذوا أخوانهم بالجنوب بالرفق واللين وأن يعاملوهم بالحسنى وأن يعملوا لتأليف قلوبهم ما وجدوا إلى ذلك سبيلا.

وصحبته في رحلته لمصيف أركويت فقد وجه له الحاكم العام الدعوة للاقامة في الاستراحة، ثم سافر إلى مصر للعلاج وهذه السفرية الوحيدة التي لم أصحبه فيها فقد خلفني من ورائه على الأسرة، وكان علاجه بمستشفى المواساة بتكريم من الأمير عمر طوسون باشا راعي الجمعية الزراعية الملكية بمصر، فقد كانت بينه وبين هذا الأمير علاقات حميمة متواصلة خاصة في مناسبات الأعياد الدينية والقومية هنا وهناك وبهذه المناسبة أذكر أن وفداً من أعضاء تلك الجمعية على رأسهم علي ماهر باشا وفؤاد أباظة باشا وصالح دياب باشا وزير الدفاع المصري آنذاك جاء إلى السودان في زيارة لا تحضرني مناسبتها والذي أذكره أن هذا الوفد قد زار المرحوم بمنزله عرض عليه أن يرسل ابنه (محمد) وكان طالباً بالمدارس العليا للالتحاق بالكلية الحربية المصرية وهي لم تكن من الميسور ولا من المقبول أن يلحق بها غير أبناء الأسرة الكبيرة من المصريين وفعلاً تم ذلك.

وحادثة أخرى أحب أن أشير إليها بما لها من دلالة معينة: كان المرحوم يلازم ابنه محمد الفاتح بمستشفى أم درمان وقد أجريت له عملية زائدة وقد خصصت له غرفة منفردة به وابنه المريض وكان الطعام يأتيه من المنزل وذات مرة مر بغرفته من يدعو مستر مستر هوفل ولعله كان مدير المستشفى فأبعد أواني الطعام واستقذرها وأبدى منها تقززاً وكان معه بعض الأطباء السودانيين

وبعربية ملكونة تفوه بعبارات جارحة فما كان من المرحوم إلا أن همَّ بصفعه لولا أن وقف بينهما من كان معه: وفي ذات المساء أذاعت محطتا روما وألمانيا الحادث وعلقتا عليه بنشرتيهما الاخباريتين.

وقد أرسل الحاكم العام للشيخ يعتذر عما حدث، أما الخواجة فلم يمض على هذا الوقت إلا وقد أرجع إلى بلده.

تلك نماذج وصور من تكريم الشيخ بحياته وما كان له من مكانة مرموقة ومقدرة من تكريم واعتبار لمكانته الدينية الاجتماعية، ويعد هذا أعلى درجات التكريم، وفيه قول القائل «لقد كانت في حياتك لي عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا».

أما أعماله بالمعهد واصلاحاته وما لقيه في ذلك من عنت ومعاناة وخصومات مقابل مساعيه للاصلاح والتوفيق والتقريب بين الطوائف الدينية والحزبية لتلتقي كلمتها على مساندة المعهد والارتقاء به عن ذلك – فهو ما لا أريد أن أتعرض للحديث عنه والحديث عنه يطول ويطول، وأن أمره لله وجزاءه عليه عند الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة الأستاذ/ الفاضل التقلاوي *

بسم الله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأنصاره وعلى التابعين وتابعي التابعين ومن تبعهم باحسان أما بعد ،،

فإني اتشرف أن أتحدث بين يدي علماء الأمة السودانية الأجلاء وأي شرف أعظم منها، وأتشرف أن أتحدث باختصار عن أستاذي المربي الكبير وشيخي العالم المحقق وأبي الروحي المرشد العظيم.

أيضاً أن أنوب عن أسرة شيخي الجليل الأسرة الكريمة الرفيعة قدراً ونسباً وأخلاقاً ومكانة مرموقة بين قبائل الشمال التي تميزت بالعزة والشجاعة والأنفة والكرم والمروءة وقوة الشخصية.

شعوب لا مكان بها لمتخاذل وليس لغافل فيها ثواب.

سيدي صاحب الفضيلة مدير الجامعة الإسلامية..

سادتي أصحاب الفضيلة العلماء الموقرين بالجامعة الإسلامية..

سادتي الحضور الأجلاء - الموقرين..

سادتي أسرة الشيخ الجليل أحمد محمد (أبو دقن).

---

* الأستاذ الفاضل التقلاوي من مواليد أم درمان ١٩١٦م، دخل معهد أم درمان العلمي عام ١٩٣٤م، عمل مدرساً بالمدارس الأولية، له عدة مؤلفات من أهمها كتبه عن أركان الإسلام وكتابه عن الماسونية.

أرفع إليكم التحية المقرونة بالاجلال والاحترام والتقدير وأتقدم محباً مخلصاً لمدير الجامعة الإسلامية ولهيئة التدريس فيها نيابة عن أسرة الشيخ الجليل (أبو دقن) بالشكر المقرون بالاحترام والمحبة والاعتراف الصادق بالابداع الذي لم يسبقوا عليه في احياء ذكرى الخالدين ولا يعلم الفضل من الناس إلا ذووه . .

إن عملكم هذا حرَّك مشاعرنا ولمس شغاف قلوبنا وهز وجداننا وتذكرت في هذا الموقف قول العالم الجليل محمد نور الحسن – رحمه الله – حيث قال « السودان مقبرة العلماء » . لم يقل هذه المقالة إلا عندما ألح عليه الفضلاء المخلصون أن يرجع إلى وطنه فهو أحق به وهو محتاج إلى علمه ولما عجز عن اقناعهم بترك مصر – رحمه الله – اني أهب مكتبتي لأبناء وطني دليل على محبتي لهم ولكني باقٍ في مصر لأن السودان مقبرة العلماء .

وعندما استمعت لمدير الجامعة الإسلامية ومن معه أنهم قرروا تكريم العلماء طربت وانتابت قلبي نشوة هزت كياني وصحت جهرة ليت روح شيخنا العلامة محمد نور الحسن تطل اليوم على المجتمع السوداني لتشهد هذا التقدير الكبير، ومن سوى العلماء يعرف قدر العلماء ولم يعد السودان اليوم مقبرة للعلماء فلتطمئن روحك السامية في عالم الأرواح يا شيخ العلماء . . وأمة بلا علماء هي جسم بلا روح لقد مضى عهد الجهل والخرافة وأشرق

عهد العلم والمعرفة فليهنأ السودان بأبنائه العلماء المخلصين.

مولاي صاحب الفضيلة مدير الجامعة المحترم ..

أرجو أن تسمح لي أن أتحدث باختصار شديد عن شيخي أبي دقن وهو في سجل الخالدين ولقد تكرمتم باحياء ذكراه مع نخبة مختارة من رجال العلم والاصلاح الذين أثروا في نهضة بلادنا تأثيرا محسوساً.

ولد شيخنا أبو دقن في قرية الباوقة في شمال السودان مهد الرجال ومعدن الرجال الخالدين ومنار التاريخ الذي تفخر به الأجيال.

والباوقة قرية جميلة بديعة تجثم على ضفاف النيل تهفو إليها الطيور مختلفة الأشكال والألوان.

هذه القرية المتميزة بالشجاعة وعزة النفس والحرية والتقوي ومحبة العلم، وفي هذه القرية حفظ القرآن وأخذ مباديء العلم وخرج منها في طلب العلم وفاق أقرانه وتخرج من قسم القضاء الشرعي وعمل في القضاء حتى وصل أعلى منصب يصل إليه سوداني في هذا المضمار ثم خلف الشيخ الجليل أبا القاسم أحمد هاشم مؤسس المعهد رحمه الله.

وكان شيخنا أحمد أبو دقن قد التقى بالشيخ عبدالرحمن الشنقيطي في النهود عندما كان قاضياً بها وتأثر بالدعوة السلفية وكان يرفض التحزب والتبعية والتقليد الأعمى وقد عرف بذلك

منذ نشأته ووجدت الدعوة السلفية هوىً في نفسه ووجد فيها دعوة للعلم المبني على البرهان والحجة بعيداً عن تأثير الأشخاص ويقول الحق لا يعرف بالأشخاص فكان راعي السلفية المعتدلة والمبنية على العلم البعيدة عن الدجل والزيلية الرخيصة وعندما تسلم رسالة المعهد العلمي أضاف كثير من المواد العلمية في المعهد. وكان هناك اختلافاً فكرياً بينه وبين السيد علي الميرغني حتى وصل مرحلة بعيدة المدى. راح الشيخ أبو دقن يوجه الناس ويتعهدهم برعايته ويتعهدني شخصياً ويوجهني، ولما رأى كثرة أخطائي طلب مني أن أحضر إليه كل خميس. وقد ألزم نفسه بتفسير القرآن كل يوم من صلاة المغرب حتى صلاة العشاء ويقبل على الدرس كثير من المثقفين والتجار. ولاحظ أن الجمعية الأدبية بالمعهد كسيحة مشلولة فانكب عليها وأخذ بيدها ودفعها للأمام.

وفي عهده نبغ الشعراء والخطباء والدعاة الذين كان لهم الأثر في حياة الأمة السودانية وفي عهده أرسل المتفوقين إلى دار العلوم بمصر العزيزة وهم الذين قامت على أكتافهم النهضة العلمية في السودان وبفضلهم تحكم الدين الإسلامي في الأمة جمعاء وكان من أبرز البعثات التي أرسلها إلى مصر الدكتور كامل الباقر الذي صار فيما بعد مديراً لجامعة أم درمان الإسلامية(١) - حفظه الله وشفاه - فقد كان مصدر فخر لنا بمعهد أم درمان العلمي.

وانتبه الاستعمار لاصلاحات الشيخ أبي دقن الخطرة عليه

---

(١) رحمه الله توفى فيما بعد.

فعزله وقاموا بنزع المعهد العلمي من مسجد أم درمان الكبير الذي كان مقراً للمعهد العلمي وقد بحت أصوات المصلين في اعادة المعهد القديم.

وقد سعى الشيخ في احداث ما خربه الخلاف بين العديد من الناس وكبار القوم وكان له دور كبير في جمع الزعامات السودانية وتوحدها من أجل محاربة الاستعمار الانجليزي له صداقات واسعة من العلماء وأصحاب الطرق.

وكان الشيخ أبو دقن رؤوفاً يمتليء قلبه بالحب والحنان رغم ثورته وشجاعته.. له مكانة كبرى في قلوب الجماهير عامة، فهو زعامة سودانية من صنع الشعب السوداني.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الشيخ / أحمد محمد الصادق الكاروري*

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد ،، أيها الاخوة الكرام.. أسرة شيخنا ومعلمنا ومربينا ومثلنا القوي الموجه الشيخ أحمد محمد (أبو دقن).

أعذروني إذا لم أتحدث كما تريدون لظروف صحتي وأذكر أني اجتمعت بالشيخ في المعهد عام ١٩٣٣م ومكثت معه أربع سنوات وكنت أحد أعضاء رابطة الثقافة وفيها المناظرة ودراسات الأدب وكنت مسئولاً عنها.. وكان من عادة المعهد أن يقدم جائزة في أول العام الهجري الجديد والانجليز وأعوانهم ضربوا حصاراً شديداً على المعهد.. لكن الله سبحانه وتعالى أعان العلماء فجاهدوا وصبروا وصابروا وكما ذكر الابن البروفيسير علي بابكر فإن المعهد كان محارباً من الإنجليز الذين لم يعترفوا بالشهادة العالمية وكانوا ينفرون الناس من الدراسة العربية والإسلامية ولكن رجال المعهد وطلبة المعهد لم يتركوا الأمر حتى اعترف بها الانجليز

* الشيخ أحمد محمد صادق الكاروري من علماء السودان وهو صاحب فضل وعلم، وقد انشأ المعهد العلمي بنوري وخرج أجيالاً. وأصبح رئيساً لهيئة علماء السودان، ألف عدداً من الكتب آخرها كتاب (من تاريخ التعليم الديني في السودان).

بأنها شهادة عالمية(١).

في سنة ١٩٤٩م طلبنا الاعتراف بالشهادة العالمية وحصل صدام لأن الانجليز لم يعترفوا بالشهادة وبعد ثورة الفريق ابراهيم عبود حُلَّت الاتحادات وحاولنا الاتصال بهم ولكن دون جدوى وبعد مجهودات من شيوخ المعهد وتلاميذه تم الاعتراف رسمياً بالشهادة العالمية للمعهد كما ذكرت كنت مسئولاً عن جمعية الثقافة إبان فترة الشيخ (أبو دقن).

الشيخ أبو دقن كان رجلاً عظيماً وسبقته السمعة الحسنة قبل أن يجيء للمعهد.

أرجو أن تقبلوا مني هذه المشاركة البسيطة سائلين الله أن يجعل في أسرته الخير وأن يبارك لهم دائماً وأن يجعل الخير في أمته وجزاكم الله خيراً.

(١) عالمية (بكسر اللام): مشتقة من العلم وتعني أن صاحب هذه الشهادة أصبح عالماً.

خاطرة الدكتور بابكر البدوي دشين★

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ،،

الحقيقة لا أريد أن أطيل عليكم ونحن نعد من أحفاد الشيخ أبي دقن لأن الأساتذة الذين درسونا كانوا يحدثوننا عن موافقة وما ذكره البروفيسور مدير الجامعة الذي أتحفنا بهذه الملاحظة التاريخية بأن الاستعمار أهمل التعليم في المعاهد الدينية والخلاوى.

إهمال المعاهد الدينية كأنه شيء مدروس ومعد ومقصود لتحطيم هذه المعاهد وأضيف حادثة أخرى يذكرها الأستاذ يوسف حسن سعيد، كان هناك مؤتمر في الخمسينات في الخرطوم عن الثقافة وكان يحضره علماء من السودان وخارج السودان. ولما أقيم المؤتمر هنا في الخرطوم وقف أحد المتحدثين من خريجي غردون ليقدم ورقة عن الثقافة والمثقف قال إنني أُخرج من المثقفين خريجي المعاهد العلمية وخريجي الأزهر والذين قرأوا في الخلاوى.. هذا أمر الشهود ومعروف وهذا ظلم كبير.

★ الدكتور بابكر البدوي دشين هو أحد أبناء جامعة أم درمان الإسلامية وعميد كلية اللغة العربية وهو شاعر معروف، تخرج في معهد أم درمان العلمي ١٩٥٦م، عمل مع البروفيسور على أحمد محمد بابكر بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، له ديوان شعر تحت الطبع حين صدور هذا الكتاب.

وأختم قولي بأبيات شعر تمجد المعهد العلمي نواة جامعة أم درمان الإسلامية . .

وكان المعهد العلمي يسعى
وقد عضت سواعده القيود
أراد الإنجليز له ضياعا
فأحكمت المنافذ والسدود
ليصبح كالخرائب ليس يأوى
له إلا اخو الهم الشريد
وتلك قضية ما زال منها
مرائر في شغاف القلب سود

وأخيراً أنشدكم ما كان يقوله شيخنا المرحوم الشيخ أحمد العاقب . .

العلماء عيشهم كسادْ
وان دعوا لم يبلغوا مرادْ
ورزقهم فيما دعا سعادْ

وحيا الله السيدة (سعاد) بنت الشيخ أبي دقن على ما قدمت .

خاطرة الدكتور يوسف شبيكة ★

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الجمع الكريم أرى أن أبدأ بشكر رجال الجامعة الإسلامية على هذه اللفتة البارعة العظيمة وأشكر الحضور على حضورهم وعندي خواطر عن المرحوم الشيخ أحمد (أبو دقن) ولكني أرى أن الوقت قد أزف فسأذكر واحدة منها كنت حاضرها وهي صفة ذكرها كثير من المتحدثين وهي صفة الكرم فقد كان الشيخ أبو دقن كريماً جداً .. في يوم من الأيام جاءه خطاب من رجل لا يعرفه طلب منه مبلغاً من المال .. وكان معه طلابه فقال يجب أن تذهب إلى طليمات وتستدين منه المبلغ هذا حتى نحوله له .. فقال له « يا سيدي الشيخ أنت مديون! » وكان هذا المبلغ ثلاثة أمثال مرتبه ولكنه أصرَّ على أن يستدين هذا المبلغ ويحوله لصاحبه فيما بعد .

لا أريد أن أطيل عليكم وأكرر شكري وأطلب من الله للشيخ أحمد محمد أبي دقن الرحمة والجنة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

★ الدكتور يوسف شبيكه من مواليد أم درمان عام ١٩٢٠م وهو رئيس مجلس ادارة شركة شبيكه أخوان ورئيس مجلس ادارة الرينبو للبوهيات . وهو زوج السيدة سعاد ابنة الشيخ أحمد محمد أبودقن، وقد حضرت وتابعت خطوات هذا التوثيق .

الفصل التاسع

الشيخ أحمد الهاشم دفع الله

١٨٩٢ - ١٩٦٦م



الشيخ / أحمد الهاشم دفع الله

القسم الأول

التعريف بالشيخ

ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول : اسمه ونسبه واسرته.

المطلب الثانى : نشأته وبيئته.

المطلب الثالث : تعلمه.

المطلب الرابع : جهوده العلمية وتلاميذه.

المطلب الخامس:نشاطاته العامةواعماله الأخرى

المطلب السادس : وفاته.

المطلب الأول : اسمه ونسبه وأسرته :

هو أحمد الهاشم ابن الشيخ دفع الله الفكى أحمد الحاج، كان والده من أعيان الكلاكلة المشهورين فى بداية القرن التاسع عشر وكان من كبار علماء السودان وكان أميراً بالمهدية، وكذلك جده الفكى أحمد كان أميراً ومجاهداً ومقاتلاً فى سبيل الله أُستشهد فى معركة « القيامة بأثيوبيا » فى عهد الخليفة عبدالله التعايشى.

ولد فضيلة الشيخ أحمد الهاشم بقرية « الكلاكلة **قطعية** » جنوب الخرطوم فى عام ١٨٩٢م إبان فترة حكم الخليفة عبدالله للسودان.

تزوج مرتين، زوجته الأولى « خديجة بنت الفكى خالد » وله منها أولاد وبنات.

وزوجته الثانية « الجاز بت الفكى عثمان » ورزق منها بنين وبنات.

المطلب الثاني : نشأته وبيئته :

عاش الشيخ أحمد الهاشم جل حياته في مسقط رأسه « بالكلاكلة قطعية » حيث نشأ في بيئة متشبعة بالعلوم الشرعية والقرآن الكريم وعلومه، وقضى في فترته مرحلة طفولته ثم قضى أيام شبابه بعد أن حفظ القرآن الكريم بالمسيد الملحق بالمسجد الذى انشأه والده وكانت تلك الفترة هى فترة حكم الاستعمار الثنائى للسودان، كذلك عاصر فترة استقلال السودان وفترة الحكم الوطنى، وساهم فى كل تلك الفترات اسهامات سنستعرضها فى حينها، تنقل الشيخ بين أنحاء السودان فى فترات قليلة من حياته حيث اكسبته تلك الرحلات خبرة وحنكة وكان لها أثر فى تكوين شخصيته الفذة.

تربى فى كنف والده الشيخ دفع الله الفكى الحاج الذى كان يدرس العلوم الشرعية بمسجده فتلقى على يديه جل العلوم الشرعية وحفظ القرآن عليه فكانت هذه البيئة الخصبة مرتعاً لتكوين شخصيته الفذة الجامعة للشيخ فيما بعد.

ويعلم أهل السودان أن منطقة الكلاكلة اشتهرت فى ذلك الزمان ـ وإلى الآن ـ بأنها منطقة علم وإيمان وتقوى ونبراس نور وهداية. فى هذه البيئة وفى ذلك الزمان نشأ وعاش الشيخ أحمد الهاشم وصنع وشارك فى بعض الأحداث الضخمة التى شهدتها البلاد.

المطلب الثالث : تعلمه :

لم يختلف تلقى الشيخ أحمد الهاشم للعلم الأولى عن أقرانه من مشايخ المعهد العلمى حيث بدأ تعلمه «بالخلوة» فكانت خلوة والده الشيخ دفع الله التى أسسها فى عهد المهدية وكانت قبلة لطلاب العلوم الشرعية والقرآن الكريم وكان بها أول مسجد فى خط الخرطوم - جبل اولياء بعد مسجد الشيخ النذير خالد . تلقى الشيخ أحمد الهاشم علوم القرآن الكريم بعد أن حفظه والسيرة النبوية العطرة والفقه الإسلامى ونال قسطاً آخر من هذه العلوم بخلوة الشيخ النذير خالد الماحى وعلى يدى الشيخ النذير استزاد من هذه العلوم .

بعد أن تأهل بتلقيه تلك العلوم دخل كلية غردون بعد اجتيازه للامتحانات التى كانت تعقد للطلاب المتقدمين للكلية، فدخل قسم القضاء الشرعى عام ١٩١٠م وتخرج فيه بعد أن نال حظاً وافراً فى العلوم الشرعية عام ١٩١٤م .

المطلب الرابع : جهوده العلمية وتلاميذه :

حدثت بالمعهد متغيرات اقتضت أن يتولى مشيخته شخص قوى الشخصية غزير العلم راجح العقل مثل الشيخ أحمد الهاشم فقد أصبح المعهد مؤسسة متكاملة بها حركة دائبة من الأدب والثقافة اجتهدت جمعية الثقافة بالمعهد فى إظهاره .

كذلك تغير طالب المعهد فبعد أن كان طلاب المعهد من كبار السن صار طلابه من صغار السن من طلاب المدارس الابتدائية والحفظة من صغار وكبار السن وكذلك كان عدد الطلاب السابقين قبله فى المعهد قليلاً لا يتجاوز الستمائة طالب فصار العدد فى ذلك العهد أكبر حيث أمَّ المعهد حوالى ألف طالب .

كما حدث تغيير ثقافى آخر وهو وصول الصحف المصرية خاصة الأدبية إلى السودان وحصول أغلب طلاب المعهد العلمى عليها فكانت بالإضافة إلى الصحافة السودانية ذات أثر ثقافى بالغ فى تلك الفترة .

وسط هذه المتغيرات الجمة تولى الشيخ أحمد الهاشم مشيخة المعهد العلمى سنة ١٩٣٨م منتدباً من القضاء الشرعي حيث كان قاضياً بمحكمة شندي الشرعية . وكان يتمتع بكل المقومات التى ذكرناها لقيادة ذلك الصرح الشامخ فى تلك الفترة العصيبة من أيامه .

جمع الشيخ أحمد الهاشم إخوانه من العلماء عند توليه لأمر

المعهد وحثهم على ضرورة التكاتف والتعاضد في العمل حتى يصبح المعهد كما هو شامخاً وشدد على ضرورة احترام مواعيد العمل والحضور في مواعيده، وقد تميزت فترته بالضبط والانتظام.

كذلك عين في المعهد مراقباً ثانياً للطلاب نسبة لازدياد عدد الطلاب فكان المرحوم الشيخ محمد الهادى هو المراقب الثانى وذلك حتى يتمكن من ضبط حضور الطلاب وغيابهم، أما غياب وحضور العلماء فكان يشرف عليه هو شخصياً، فكان يحضر في تمام السابعة والنصف أى قبل مواعيد العمل بنصف ساعة ويتمكن من المرور على الحلقات الاثنتي عشرة ويجلس وسطها.

أثمرت في عهده جهود المعهد في تغذية المدارس الثانوية بمدرس اللغة العربية والتربية الإسلامية، فقد ظهرت مجموعات ممتازة من هؤلاء المدرسين وقد ساعد هذا على ارتفاع درجة استيعاب الطلاب فتنافسوا على تحصيل العلم فأكبوا على حفظ المتون والشروح وغاصوا في أعماق الحواشى فأصبح في المعهد طلاب في مصاف العلماء يشار إليهم بالبنان. كذلك امتازت فترة الشيخ بإزدهار الجمعية الثقافية الأدبية وهى مصدر هام من مصادر الأدب في السودان.

وقد تخرج على يد الشيخ في تلك الفترة الزاهية الزاهرة جيل من العلماء الأفذاذ.

وتلاميذه :

١ / البشير محمد نور بابكر.

٢ / حامد الماحى وقيع الله.

٣ / أحمد أبوبكر القاضى.

٤ / أحمد حنين أحمد سمساعة محمد.

٥ / ساتى محمد محمد عبدالقادر.

٦ / محمد مصطفى رملى.

٧ / إبراهيم زين العابدين.

٨ / محمد عثمان سوركتى.

المطلب الخامس : نشاطاته العامة وأعماله الأخرى :

كانت للشيخ أحمد الهاشم مكانة اجتماعية رفيعة، مرموقة وسط قومه بالكلاكلة، ورثها عن والده العالم الشيخ دفع الله وأجداده أولاد الحاج، ولكن اتسعت هذه المكانة وزادت فشملت جميع القبائل المجاورة والواقعة بين «الشجرة» شمالاً و«جبل أولياء» جنوباً فقد كانوا جميعاً يهرعونِ إليه كلما حزبهم أمر خطير يطلبون المشورة فيه فيجدون عنده سديد الرأى والمرضي من الحلول لجميع الأطراف، وقد تولى الشيخ نيابة رئيس مجلس ريفى الخرطوم لمدة تربو على الخمسة عشر عاماً ولمكانته الاجتماعية والعلمية اختير عضواً فى الجمعية التشريعية فساهم فى الموقعين بكل ما لديه من علم وخبرة.

بعد تخرجه من كلية غردون فى قسم القضاء الشرعى ـ قاضياً شرعياً وتدرج فى هذه الوظيفة إلى أن بلغ أعلى الرتب وقد عمل فى مختلف مدن السودان فى كادقلى والفاشر وأسس المحكمة الشرعية فى القطينة وأخيراً عمل بمدينة شندى حيث منها تولى مشيخة المعهد العلمى.

وبعد نهاية انتدابه فى المعهد رجع إلى مهنة القضاء. ويكاد يكون هو الشيخ الوحيد من الذين تولوا مشيخة المعهد حتى انتهت فترتهم وعاد مرة أخرى لمهنته السابقة.

وقد عمل بعد عودته للقضاء بمحكمة الأبيض الشرعية ثم محكمة الخرطوم بحرى ومنها أُحيل للمعاش.

وبعد إحالته للمعاش لم ينقطع عطاؤه حيث عمل بالإدارة الأهلية بمحكمة «برى» كما كان رئيساً لخط الهُوى(١) والذى كان يضم الكلاكلات وجميع قرى منطقة جبل أولياء. وقد أسس محكمة الكلالكة قطعية عام ١٩٦٠م لإقامة العدل.

ومدة مشيخته للمعهد والتى امتدت منذ ٣٨ ـ ١٩٤٣م كانت بين حدثين كبيرين أحدهما حدث محلى «فى السودان» والآخر حدث عالمى، أما الحدث المحلى فقد كان تكوين اللجنة التنفيذية لمؤتمر «الخريجين» عام ١٩٣٨م، أما الحدث العالمى فهو اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م.

وقد ساند الشيخ شباب مؤتمر الخريجين ـ كدأب كل مشايخ المعهد ـ وبعد مذكرة المؤتمر الشهيرة فى ٣ / ٤ / ١٩٤٢م وبعد دخول السودان الحرب مناصراً لبريطانيا وقد رأى مؤتمر الخريجين أن دخول السودان لابد أن يكون بثمن هو استقلاله مما قوى شك الانجليز فى المؤتمر وردوا على مذكرته برفض جميع المطالب، وقد كانت رئاسة المعهد فى هذا الجو الملبد بالغيوم داخلياً وخارجياً أمراً ليس باليسير فقيادة المعهد تعنى الأخذ بيدْ أجيال من السودانيين

(١) الهُوى : بلهجة أهل السودان تعني الخلاء.

الذين حملوا التراث ليتم تأهيلهم لقيادة الأمة، والانجليز بالمرصاد يراقبون ويرصدون .

فى تلك الفترة ازداد الشعور الوطنى العام وقد تأثر طلاب المعهد بذلك وتقدموا بمذكرة للحكومة ضمنوها مطالب أخرى منها الاعتراف بالشهادة وأضربوا عن الدراسة وقد ناصر الشيخ أحمد الهاشم الطلاب فى قضيتهم واجتهد حتى يحصل الطلاب على مطالبهم العادلة فكان لدوره هذا الأثر المباشر فى عزله من المعهد فى عام ١٩٤٣م .

لطلب السادس : وفاته :

فجعت البلاد فى يوم ٢٥ /مايو/ ١٩٦٦م بوفاة الشيخ أحمد الهاشم دفع الله حيث فاضت روحه الطاهرة عن عمر يناهز الأربعة والسبعين عاماً قضاها فى طلب العلم ونشر المعرفة والمجاهدات التى نرجو الله أن يتقبلها منه .

القسم الثانى

ليلة التوثيق

ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول : تقديم.

المطلب الثانى : برنامج الليلة.

المطلب الثالث : كلمة الجامعة.

المطلب الرابع : كلمة أسرة الشيخ.

المطلب الخامس : بعض الكلمات والخواطر التى أُلقيت فى الليلة.

المطلب الأول : تقديم :

فى مساء يوم الثامن من ذي القعدة عام خمسة عشر وأربعمائة وألف للهجرة (٨ من ذي القعدة ١٤١٥هـ) الموافق الثامن من أبريل من عام خمسة وتسعين وتسعمائة وألف للميلاد (٨ / ٤ / ١٩٩٥م) وبقاعة الإمام مالك ابن أنس بمبانى الجامعة بالعرضة كانت الليلة السادسة فى سلسلة ليالى توثيق حياة علماء جامعة أم درمان الإسلامية وهي لتوثيق حياة الشيخ أحمد الهاشم دفع الله .

وقد حضرها جمع غفير من المسئولين بالدولة، ومديرى الجامعات وشيوخ الطرق الصوفية، وأسرة الشيخ أحمد الهاشم دفع الله وأساتذة وطلاب وطالبات وموظفى وموظفات جامعة أم درمان الإسلامية، وعدد كبير من المهتمين بتاريخ السودان، وعدد من مراسلى الصحف ووكالات الأنباء .

وقد شارك في هذه الأمسية عدد من العلماء والأدباء ومعارف الشيخ وطلابه ومحبيه والمهتمين بشئون العلم والسودان . وقد كان لمشاركتهم الأثر الطيب في إنجاح الأمسية وفي امتاع وافادة الحضور وفي اضفاء البهجة والمسرة في نفوسهم . وقد تدارست اللجنة أمر تضمين هذا الكتاب جميع المساهمات ولكن لاعتبارات فنية اختصرنا على جزء من هذه الكلمات في مقدمتها كلمة الجامعة وكلمة الأسرة . واستفدنا من بقية المساهمات في تلخيصنا للمعلومات التي أوردناها في القسم الأول عن هذا الشيخ .

المطلب الثاني : برنامج الليلة :

١ . القرآن الكريم الشيخ عبد الوهاب الشيخ دفع الله .

٢ . كلمة الجامعة بروفيسور على أحمد محمد بابكر.

٣ . كلمة الأسرة الأستاذ عبد المحمود أحمد الهاشم .

٤ . مدائح نبوية أولاد الشيخ الصائم .

٥ . كلمة منطقة الكلاكلات الأستاذ مصطفى نور الدائم .

٦ . كلمة الأستاذ سعد الدين محمد أحمد .

٧ . خاطرة الأستاذ سعد الدين أحمد محمد عثمان .

٨ . خاطرة الشيخ الطاهر خوجلى إبراهيم .

٩ . فقرة تكريم من منطقة الكلاكلات .

١٠ . مدائح نبوية .

١١ . تكريم من أسرة الشيخ ، الطفلة آلاء عبدالسلام .

١٢ . قصيدة رثاء .

١٣ . كلمة الشيخ عبدالجبار المبارك .

١٤ . القرآن الكريم .

المطلب الثالث: كلمة الجامعة :

ألقاها البروفيسور على أحمد محمد بابكر مدير جامعة أم درمان الإسلامية فى أمسية توثيق حياة الشيخ أحمد الهاشم دفع الله.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

أسرة الشيخ أحمد الهاشم دفع الله.

أسرة الجامعة الإسلامية.

الضيوف الكرام.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

هؤلاء العلماء حفظوا القرآن وجاهدوا فى حفظه وكتبوا ما كتب غير أهل السودان وأصبحت مصادر تاريخ السودان هى الكتب التى تهمل الحقيقة لأنها كانت تتجنب ذكر الإسلام وقد انتبه المخلصون من أهل البلد إلى تاريخهم المغمور وبدأوا يبحثونه وبذلوا الكثير برغم ظروفهم الصعبة وبرغم ما يحيط بهم من تآمر ضد الإسلام وأهل الإسلام.

نلتقى فى هذه الأمسيّة لنحيى ذكرى هذا الشيخ الجليل أحمد الهاشم دفع الله، كان والده من العلماء، وشقيقه عبد الرحمن كان أيضاً عالماً جليلاً درَّس فى هذه المؤسسة فى الستينات.

هذا هو اللقاء السادس وقد تأخر الاحتفال بالشيخ أحمد (أبودقن) والشيخ أحمد الهاشم دفع الله وكان السبب أننا لم نتمكن من جمع الوثائق الكافية ولكنا عدنا لترتيب التاريخ ومن هذه الأمسية سيتم ترتيب التاريخ.

وقد احتفلنا قبلهم بالشيخ محمد البدوى والشيخ (أبوالقاسم) أحمد هاشم والشيخ النذير خالد والشيخ (أبوشامة) والتقديم من التاريخ ليس مهماً فالمقام محفوظ للجميع.

فى مساء اليوم عقدت ندوة (ثقافة السلام(١))، وفى نفس اليوم نحتفل بالشيخ أحمد الهاشم لأنه كان ينادى بالسلام.

الفترة التى قضاها الشيخ تقارب ست سنوات وكان العام الذى تولى فيه هو عام ١٩٣٨م فقد سبقه قيام اللجنة التنفيذية للخريجين بالسودان عام ١٩٣٧م، وسبقه قيام الحرب العالمية الثانية وأصبح هناك إحساس من الانجليز بأن السودانيين يريدون الاستقلال وعندها وفى هذه المرحلة تولى الشيخ ومضى يقود هذه المؤسسة حتى تركها ولم تنته الحرب وبالطبع كان المستعمر يخشى علماء الإسلام أكثر من غيرهم وكان يقلل من شأنهم، ويحاربهم، وكانت عينه دائماً عليهم لذلك كانت فترته تتطلب الدقة والحكمة. وهو أهل لذلك وواجه كل الصعوبات والأعاصير وكانت قيادة المعهد فى ذلك الزمان ليست سهلة وكانت تحتاج لرجال أمثال الشيخ أحمد الهاشم دفع الله.

---

(١) أقيمت في القاعة الخضراء بمبنى المجلس الوطني بأم درمان.

الشيخ أحمد الهاشم دفع الله اسمه أحمد الهاشم وهو اسم واحد قضى نحو ٧٤ عاماً فى هذه الحياة ثم انتقل إلى بارئه راضياً مرضياً بإذنه تعالى.

أدى واجباً كبيراً فى هذه الحياة بجانب عمله فى جامعة أم درمان الإسلامية. بدأ حياته العملية بالقضاء وأنهاها به أيضاً. ترك لنا هذا الأثر وهذه الجامعة وطلاباً كثيرين ينتشرون فمضى أثره فى الزمن وفى الأجيال.

هذه كلمات مختصرة لتقديم هذه الأمسية ونحن نتشرف بالاحتفال بهؤلاء الرجال، وسنمضى قدماً في تقديمهم فى كتب وفى أشرطة تطبع .

ومن هذا المنبر أدعو اللجنة التى كونت لإعادة كتابة تاريخ السودان أن تأخذ هذا العمل فى الاعتبار.

الشكر لأسرة الشيخ وتلاميذه. ولكل من حضر لمشاركتنا هذه الليلة المباركة.

وندعو الله أن يكرم هؤلاء العلماء بجنات الفردوس مع الصديقين والشهداء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

المطلب الرابع : كلمة الأسرة

كتبها الأستاذ زكريا أحمدالهاشم / قدَّمها الأستاذعبدالمحمودأحمدالهاشم ★

بسم الله الرحمن الرحيم

البروفيسور علي أحمد محمد بابكر

الاخوة الأفاضل المشاركون في الحفل.

الضيوف الكرام.

أحييكم جميعاً بتحية الإسلام، وكان بودى حضور حفلكم الكريم هذا ومشاركتكم تكريمَ الوالد المرحوم الشيخ أحمد الهاشم دفع الله ضمن برنامج جامعة أم درمان الاسلامية لتكريم العلم والعلماء، ولكن تحول ارتباطات سابقة – يتعذر تأجيلها ـ دون ذلك. وقد استصوبت المساهمة معكم بتبيان بعض مآثر الفقيد وذكر بعض ما أعرفه عن تاريخه باعتبارى أكبر أبنائه الذكور. خدم الفقيد فى مجال القضاء الشرعى منذ تخرجه من قسم الشريعة بكلية غردون، وتدرج فى مناصبه المختلفة، وجاب ربوع السودان الحبيب وكان يقوم بتدريس علوم الشريعة الإسلامية فى المناطق التى خدم بها إلى جانب عمله فى القضاء. وانتدب لرئاسة مشيخة المعهد العلمى فى عام ١٩٣٨م، لما يتمتع به من غزارة علم وسمو خلق وحنكة ومقدرة ادارية، وأدار دفة المعهد باقتدار مشهود فى وقت تأججت فيه الروح الوطنية، وكان المعهد حيئنذ أحد منابر العلم والسياسة، فأضفى بحكمته حماية علىٰ الطلاب من تغول

★ هما ابنا الشيخ أحمد الهاشم دفع الله .

وتعسف الجهات الحاكمة آنذاك حتى انتهى انتدابه في عام ١٩٤٣م، فانخرط مرة أخرى في سلك القضاء الشرعي، وظل به حتى بلغ سن التقاعد عام ١٩٤٦م. وبدلاً من أن يجنح للراحة بعد خدمة قاربت الأربعين سنه قبل تولى رئاسة محكمة خط الهُوىْ(١)، وهى محكمة أهلية ذات اختصاص مدنى وجنائى تمتد منطقة اختصاصها من جنوب مدينة الخرطوم حتى حدود مديرية النيل الأزرق الجنوبية وقد تقلد هذا المنصب ليراعى مصالح مواطنيه فى منطقة الكلاكلة والمناطق الأخرى التى يشملها اختصاص تلك المحكمة، وقد أختير فى عام ١٩٤٨م ـ عند تأسيس الجمعية التشريعية ـ ليكون عضواً بها، وساهم بما لديه من علم وخبرة كما شارك مع الفئات التى كانت تدعو لاستقلال السودان فى دعم التوجه الاستقلالى. استمر الفقيد يؤدى ضريبة المواطنة بنزاهة واقتدار فى جميع مجالات العمل العام، إذ كان نائباً لرئيس مجلس ريفى الخرطوم لمدة تربو على الخمسة عشر عاماً – حتى وافته المنية في يوم ٢٥ / ٥ / ١٩٦٦م عن عمر بلغ السادسة والسبعين عاماً.

غادر الفقيد الحياة كما دخلها فقيراً إلا من عزة نفس وأمانة ونفس طيبة ومشاركة للناس والأهل فى مسراتهم ومآسيهم فى تواضع جم. ومع ذلك فقد كان قوياً فى قول الحق والانتصار للمظلوم لا يهدأ له بال حتى ينتصر له.

---

(١) سبق تعريفها ص ٢٥٧.

كـان الفـقـيـد يعـامل الناس برفق ويعطف عليـهـم ويقـضي حاجـاتهم ويبرُّهم ويجود بكل ما عنده لصاحب الحاجة، ولهذا فقد مات فقيراً، وجدنا بحسابه بعد الوفاة ٨٠ جنيهاً رغم أنه كان يتقاضى في ذلك الوقت مرتبين، المعاش ومكافأة رئاسة المحكمة.

وجدير بالذكر أن الفقيد سليل بيت علم، فوالده الشيخ دفع الله درَّس فى معهد أم درمان العلمى لمدة تربو على الأربعين سنة، وشيَّد داراً لحفظ القرآن وتدريس العلوم الدينية، وظل يؤدى واجبه نحو مواطنى منطقة الكلاكلة والمناطق المتاخمة لها فى هذه المجالات حتى توفاه الله فى عام ١٩٣٥م. وأخوه الشيخ عبدالرحمن دفع الله عالم جليل تشهد بعلمه أروقة جامع الخرطوم ثم معهد ام درمان العلمى الذى ظل يدرس به حتى اختاره الله إلى جواره عام ١٩٧٣م. ويسعدني أن أشير إلى أنني قمت بتدريس مادة قانون الأراضى بجامعتكم العريقة بصفة أستاذاً زائراً عندما كنت أعمل مستشاراً بديوان النائب العام.

ساهم الفقيد فى وضع اللبنات الأولى لجامعتكم الفتية إذ بدأت الأفكار لتأسيس جامعة دينية تتبلور فى السنوات الأخيرة لفترة رئاسته للمعهد.

ثم شارك مع نخبة من العلماء ورجال التربية – وهو بالمعاش – فى مداولات اللجنة التى وضعت الخطوط العريضة لتأسيس الجامعة فى مستهل الخمسينات.

هذه نبذة مقتضبة عن حياة الفقيد ومآثره، استصوبت المشاركة بها معكم، وقد حالت ظروف قاهرة دون حضوری حفلكم الكريم.

وفی الختام اسمحوا لی أن أحيی باسم أسرة الفقيد مدير ومجلس ادارة جامعة أم درمان الإسلامية وأساتذتها الأجلاء واللجنة التی أوكل إليها الإعداد لهذا الحفل علی هذه المبادرة الرائعة التی تدل علی حرصهم علی العلم ورعايتهم لمن ساهموا فی إعلاء شأنه. والله أدعو أن يرعی جامعتكم العريقة ويجعلها دائماً منارة اشعاع للفكر الإسلامی وتطويره. ولا يفوتنی فی هذا المقام أن أشكر السادة الحضور لمشاركتهم فی هذا الاحتفال الرائع، جزاهم الله عنا خير الجزاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المطلب الخامس: كلمات وخواطر: كلمة الشيخ مصطفى نورالدائم*

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد البروفيسور مدير الجامعة والسادة الأساتذة والعاملين بالجامعة

أسرة الشيخ أحمد الهاشم دفع الله. الضيوف الكرام.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

اسمحوا لى أن ابدأ حديثى بالذكريات وبعودة لعام ١٩٧٤م وهو العام الذى شهد بدايات تعاونى مع هذه الجامعة العريقة وبقية الجامعات الأخرى أستاذاً بها.

وفى هذا اليوم جئت للجامعة مبكراً علىّ أتعرف المعالم الخاصة بها وقد قادتنى قدماى للدخول إلى حرم المعهد العلمى فاسترعى انتباهى صورة لعلماء المعهد الأفاضل فدنوت منها متفرساً فى تلك الوجوه وقارئاً لأسماء أصحابها إلى أن وقفت عند الشيخ أحمد الهاشم دفع الله والشيخ عبد الرحمن دفع الله والشيخ النذير خالد وكدت أهتف بملء صوتى .. هؤلاء هم آبائى .. هؤلاء هم رجالنا تابعت سيرى إلى أن اكملت التفرس فى البقية الباقية من العلماء ثم رجعت إلى صورة المغفور له أحمد الهاشم دفع الله وتطاردنى أسئلة عديدة وذكريات عديدة .

كان أول ما همست به فى صوت خفى مترحماً عليهم سائلاً العلى القدير أن يجمعهم مع الشهداء والصديقين ثم حدثت نفسى بصوت هامس يليق بجلال من أنا واقف فى حضرته، ومن قدموا خدمات جليلة للأمة الإسلامية وهنا قفزت إلى ذهنى أسئلة عديدة وكان أول سؤال هو هل تدرى الأمة الإسلامية فى الوقت الحالى ما

---

* الشيخ مصطفى نور الدائم، من أهالي بلدة الكلاكلة ويمت بصلة القرابة للشيخ أحمد الهاشم دفع الله.

قدمه لها هؤلاء الرجال فى الماضى لكى تظل كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله (ﷺ) الكلمة العليا ضد الاستعمار الذى كان يحتفى بالبارات الليلية ؟.

هل تدرى هذه الأمة كيف حمل هؤلاء العلماء أمانة الدين؟. هل تعرف فضل هؤلاء الرجال فى المحافظة على لغة الضاد فى وقت يريد الاستعمار أن تكون اللغة الانجليزية هى السائدة فى البلاد ؟.

وتذكرت أنى ما زلت وحيداً فى القاعة نظرت إلى صورة الشيخ الهاشمى وهمست أنا أعرف بعض الإجابة لهذه الأسئلة. فهل يدرك أهلى فى الكلاكلة ما قدمته أنت لهم .. هل تذكر يوم حضرت إليكم بديم السجانة لتدلنى على ما افعله بعد أن احتدم الخلاف فى مسألة بناء النادى حيث رفضه الشيوخ باعتباره رجساً من عمل الشيطان والشباب يريدون النادى وقلت لى إذا كان الشباب سيفتحون النادى لأجل نشر الدين سأكون أول من أقف معهم وكنت أول المتبرعين للنادى.

وكم كانت فرحتنا كبيرة حينما شيدنا نادينا الثقافى الاجتماعى .. وهل يدرك الجميع أول من شارك فى بناء النادى ؟ أنه أحد رجال الدين الذين تحتفى الأمة بهم.

قلت لقد عرفك أهلى بالكلاكلات قاضياً تحكم بينهم بالعدل خاصة فى محكمة برى ولكن هل عرفوا أنك أول من طالب وساعد فى إنشاء المحكمة بالكلاكلة ؟ وأنهم بعد أن تم إنشاؤها أوكلوك أن تعمل بها حيث أصبحت بها نقطة للبوليس للمحافظة على الأمن.

باسم الأمة الإسلامية كلها نسأل الله لهؤلاء العلماء أن يسكنهم فسيح جناته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

كلمة الأستاذ سعد الدين محمد أحمد★

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ونصليّ ونسلمّ على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد

أحيٍّ بتحية الإسلام .. انسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مدير الجامعة الإسلامية بأم درمان العلامة البروفيسور علي أحمد محمد بابكر وزملاءه الدكاترة أعضاء هيئة التدريس ثم الضيوف الكرام الذين حضروا خصيصاً للمشاركة والاستماع إلى ما يقال فى هذه المناسبة الهامة من صياغة نظيفة وطنية إسلامية، حضارية لتاريخنا الإسلامى الخالد متمثلاً ذلك فى كتابة تاريخ علمائنا من الشيوخ الذين خدموا فى عهودهم وقدموا لأمتهم السودانية وأخيراً أقاموا له معهداً علمياً وصرحاً شامخاً اسموه المعهد العلمى بأم درمان وذاقوا فى سبيل ذلك الأمرين .. ألا جزى الله الجامعة الإسلامية ألف خير على ما فعلت وتفعل فى هذا الشأن.

في أواخر الثلاثينات وأوائل الأربعينات تولى الشيخ أحمد الهاشم مشيخة المعهد العلمى بأم درمان وزاد عدد الطلاب حتى

★ الأستاذ سعدالدين محمد أحمد، عمل بالتدريس في وزارة التربية ردحاً طويلاً من الزمن، وهو من أبناء الكلاكلة.

تضاعفت أعدادهم وكان لموقع المعهد وسط مدينة أم درمان أثر في نفس الطالب كما أن للصحافة السودانية برغم الحصار المضروب عليها أثراً عظيماً وقد ولدت بالمعهد حركة أدبية عامرة تقودها جمعية الثقافة.

فالمعهد فى هذه الظروف والمتغيرات يحتاج إلى شيخ كفؤ يتوافر لديه الذكاء، إلى جانب الحسم والحزم.

فى هذه الظروف جـــاء الرجل المناسب فى الوقت المناسب فقدم على المعهد شيخ جليل بعد شيخه السابق الشيخ أحمد محمد (أبودقن) ذلكم هو الشيخ أحمد الهاشم وهو الذى تهنأ به المناصب لأن الرجال هم الذين يصنعون المناصب.

امتاز الشيخ أحمد الهاشم فى إدارته للمعهد بالضبط والربط والنظام يساعده الحكمة وحسن التصرف والذكاء ولعل للوراثة أثراً فى ذلك فأبوه الشيخ دفع الله من كبار العلماء كان أميراً للمهدية وجده كذلك من كبار العلماء.

عندما تمَّ تعيين الشيخ أحمد فى المعهد العلمى جمع العلماء وأشار إليهم بأهمية المواعيد وطلب إحصاء الحضور والغياب من الطلاب، أما المدرسون فيشرف عليهم شخصياً ويتجول فى المعهد وبعدها يمر على الاثنتى عشر حلقة فإذا جئت فى الضحى ترى الطلاب يجلسون ويناقشون أساتذتهم ويجعلك هذا تخشع للعلم فى محراب العلم.

وكان يسير سير الساعة مع طلابه فى المعهد الذي بلغ في عهده قمة الاستقرار.

إن قوة الشخصية والحزم الخالى من الجبروت كان من سمات الشيخ المميزة وفى هذه الزاوية يعتبر من كبار المؤسسين للمعهد العلمى النظامى ويعتبر نقطة التحول للمعهد العلمى بأم درمان.

أول ما أخذ المعهد فى الازدهار كان ذلك فى عهده وساعد على الازدهار نسمات باردة ،كانت تهب من الشيخ الجليل فأينعت تلك الثمار وظهر من الجيل الذى درسه الشيخ أحمد كبار العلماء والشعراء والأدباء فى السودان.

من ناحية العلم والتحصيل ساعد النظام على ارتفاع درجة الاستيعاب وكثر عدد المتلقين للعلم لذات العلم. وانشأ جمعية الثقافة الأدبية وهى رافد هام من روافد الأدب وازدهرت العلوم.

كانت للشيخ أحمد الهاشم مكانة رفيعة فى قومه بالكلاكلة ورثها عن والده دفع الله زعيم القبيلة فقد كانوا جميعاً يفدون إليه جماعات ووحدانا كلما حدث لهم شئ فيجدون عنده الحل ولذلك ظهرت شخصية عظيمة للشيخ أحمد وجاءت هذه القبائل جميعها لتشييعه إلى مثواه الأخير .. شيعوه وكأن على رؤوسهم الطير.

ألاَ رحمة الله الشيخ أحمد وأسكنه فسيح جناته وإن غاب بشخصه فهو موجود فى المعهد العلمى بأعماله الجليلة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

كلمة الشيخ عبدالجبار المبارك *

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبيه وآله والصحابة الكرام وتابعيهم ومن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الأخ الاستاذ الدكتور على أحمد محمد بابكر مدير جامعة أم درمان الإسلامية.

أسرة مولانا أحمد الهاشم دفع الله.

الضيوف الكرام.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

(العلم رحم بين أهله) مقولة صادقة لها فى الواقع مصاديق .. حفل اليوم يعتبر أحد هذه المصاديق والشكر موصول لمدير جامعة أمدرمان البروفيسور على أحمد محمد بابكر الذي سنَّ هذه السنة لإحياء تاريخ حضارة الإسلام وتاريخ العلم والعلماء هو التراث الذى تعتز به الأمم علم الإسلام قاد الحياة ويقودها إلى مرافئ الكرامة وهذه السنة الكريمة فيها وفاء والوفاء عطاء نادر ثمين يقابل بالاعزاز والثناء ولا سيما إذا صدر ممن هو أهله وحرى بالجامعة إدارة ومجلساً وطلاباً أن تعنى بهذا الأمر الذى له ما بعده والذى يشكل فاصلة فى إعادة تاريخ السودان على مستوى السودان.

ذلك أن الإنسان عندما يحتفى بأهل العلم إنما يلفت النظر

---

* الشيخ عبدالجبار المبارك أحد العلماء في السودان وله نشاط دعوي واسع من خلال النقاءات المباشرة ومن خلال أجهزة الاعلام.

إلى منبع العزة والكرامة فى أمة الإسلام ويلفت النظر إلى أمة أول ما نزل من كتابها الكريم (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) . . .

إنه احتفال يعد أبناء الأمة بما يجعلها أمة رائدة فى بلد سار على نهج الإسلام شرعة ومنهاجاً وحق له أن يرتاد قمة شماء هو أهل لها وذلك بقيادة العلماء لمسيرة الأوائل ذلك أن بالعلم ترتقى درجة الناس أمام ربهم فالعلم مشكور فى الدنيا ومشكور فى الآخرة وله من بعد ذلك الجزاء الأوفى .

والرسول (ﷺ) يقول « ما سلك رجل طريقاً يبتغى به علماً إلا سهل الله له طريقاً إلى الجنة »، لهذا كان كريماً وكان معجباً أن تهتم جامعة أم درمان الإسلامية بهذا المنحى بعلمائها الذين خلد تاريخهم هذا البلد لتعطيهم حقهم بذكرهم اليوم وتحتفل بهم .

وإنها للحظات كريمة أن أقف معبراً فى خاطرة قصيرة فى هذه الدار التى كنت أحد أبنائها فقد درست فى معهد أم درمان العلمى غادرته عام ١٩٦٢م شهدنا عليه غرساً بعد أن ثبت الجزع فى الأرض فأتى بالثمرات أشكالاً وألواناً لتنمو بالروح وتشكل عطاءً مستمراً ينير للأجيال طريقها إلى حيث العزة والحرية .

إنها لحظات طيبة تلك التى نحتفى بها بالشيخ الجليل أحمد الهاشم روحه كما قال البروفيسور على ترف على هذا الجمع

المبارك ولشهود هذه الذكرى العطرة التى كم سرنى أن تتجه نحو العلم والعلماء.

أقول إن الجامعة ورجالها بهذا العمل يستحقون الإكرام والتقدير والاعزاز وإنها سنة كريمة تسنها جامعة أم درمان الإسلامية لعلماء هذا البلد تعزيزاً ونشراً لتراثهم لأجيال لما تدخل الحياة الدنيا بعد ..

فإنى فى هذا الموقف لأشكر أسرة الشيخ مولانا أحمد الهاشم دفع الله التى تعبت واتصلت بى.

وأشكر إدارة الجامعة على هذه الدعوة الكريمة ووافقت أن أخاطب هذا الجمع الكريم بهذه الخاطرة.

إلا أن القول عن الشيخ أحمد وغيره قول رحب لا نستطيع فى خاطرة كهذه أن نلم بجميع أطرافه وما لا يدرك كله قد يدرك جزؤه وإنى أدركت جزءاً مما أريد ومما يريدون.

أعاد الله علينا ذكرى هؤلاء العلماء بخير والجامعة بخير وادارتها بخير والبلد كله بخير.

والسلام عليكم ..

الفصل العاشر

الشيخ أبو شامه عبدالمحمود

١٨٨٤ - ١٩٧٢م

•



الشيخ / أبو شامة عبد المحمود

القسم الأول

التعريف بالشيخ

المطلب الأول : اسمه ونسبه وأسرته.

المطلب الثاني : نشأته وبيئته.

المطلب الثالث : تعلمه.

المطلب الرابع : جهوده العلمية وتلاميذه.

المطلب الخامس:نشاطاته العامةوأعماله الأخرى.

المطلب السادس : وفاته.

المطلب الأول : اسمه ونسبه وأسرته :

هو الشيخ أبو شامه بن عبدالمحمود بن أبي شامه بن تاج الدين بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن بقدوش بن محمد ابن منصور السرورابي الجموعي.

ولد بقرية السروراب غرب الواقعة في الريف الشمالي لمدينة أم درمان في شهر شوال من عام واحد وثلاثمائة وألف للهجرة ١٣٠١هـ الموافق للرابع والثمانين وثمانمائة وألف للميلاد ١٨٨٤م وذلك قبل تحرير الخرطوم على يد جيوش المهدية بعام.

ووالده الشيخ عبدالمحمود أبو شامه من مشايخ قبيلته البارزين وهم سلالة من قبيلة الجموعية ملاك أراضي غرب النيل من جبل أولياء جنوباً إلى الوادي الأبيض شمالاً ازاء مدينة الجيلي شرقاً.

أزواجه وأولاده :

تزوج الشيخ أبو شامه بأربع أزواج كانت الأولى منهن أم كلثوم وهي التي امتازت من بينهن بأنها من مسقط رأسه السروراب فهي حفيدة الشيخ الطيب ود البشير (راجل أم مرحي) رائد الطريقة السمانية في السودان ولم يدم هذا الزواج طويلاً وقد أنجب منها ولده محمد الحسن الذي توفى في مطلع صباه.

أما زوجه الثانية فهي نفيسه بنت عثمان حفيدة خليل بك

عمارة نائب قائد الحامية التركية في أم درمان قبل أن يضمها حمدان أبو عنجة إلى سلطات المهدية وقد توفيت نفيسه وهي صغيرة السن بعد أن أنجبت له من الذكور الأحياء ثلاثة هم تاج الدين وأحمد ومأمون وشقيقة واحدة هي فتحية.

وزوجه الثالثة هي ست الكَل بنت محمد البرقدار الكردي أحد التجار المشهورين بأم درمان وقد رزق منها بابن ذكر واحد هو محمود وخمس بنات هن علويه وستِ البنات وشموم و ليلى ونصرة.

وزوجه الرابعة هي السارة غلام الله حفيدة الشيخ غلام الله الركابي حفيد الشيخ العلامة الفقيه غلام الله بن عابد اليمني الذي هاجر إلى السودان في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي وأقام في دنقلا العجوز ودفن فيها.

وقد أنجبت له ثلاثة من الذكور هم محمد والرشيد وعباس وشقيقة واحدة هي احسان.

ومجموع من أنجبهم الشيخ أبو شامه سبعة من الذكور وسبع من الإناث غير من اختطفتهم يد المنون.

المطلب الثاني : نشأته وبيئته :

نشأ الشيخ أبو شامه في بيت دين وتقوى في منطقة عامرة بخلاوى القرآن الكريم وحلقات الذكر والعبادة وأشهر خلاويها خلوة الفكي الشيخ محمد شريف ود نور الدائم أستاذ الإمام المهدي، وخلوة الفكي محمد الأمين، وخلوة الفكي عبدالله الكردي بالجزيرة اسلانج .

المطلب الثالث : تعلمه :

بدأ الشيخ أبو شامة تعلمه في مرحلة مبكرة من مراحل صباه حيث أدخله ذووه في خلاوى السروراب والجزيرة اسلانج وكان شيخه حينئذٍ الفكي الشيخ محمد ود الشيخ ود الأمين الكاهلي، ثم عبر أبو شامة النيل شرقاً ليلتحق بحلقة العاقب في الجيلي ودرس فيها الفقه والنحو والبلاغة ثم انتقل مع أهله إلى أم درمان تنفيذاً لتوجيهات الخليفة عبدالله باخلاء الضّفة الغربية للنيل لجيوش المهدية الزاحفة نحو الشمال. وقد أقام أبو شامة مع أهله في حي العرب الشمالي الغربي من أم درمان وقد أصاب مزيداً من التعليم بمجاورة أهله للشيخ مدثر الحجاز الذي كان يقيم بحي العرب في ذلك الوقت وهنا تمَّ للشيخ أبي شامة حفظ القرآن الكريم ولما يبلغ الرابعة عشرة من عمره.

وقبيل نهاية المهدية عاد مع أهله إلى السروراب ثم ما لبث أن عاد إلى أم درمان بعد نهاية المهدية ليلتحق بحلقة الشيخ محمد البدوي التي كانت أشهر حلقات التدريس منذ أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي.

وقد تضافرت الروايات الموثقة على أن أبا شامة درس عند الشيخ ود البدوي الرسالة ومختصر خليل وموطأ الإمام مالك وأخبرنا محدثنا بأن الشيخ أبا شامة كان ذا ملكة قوية في علوم

اللغة العربية وفي التفسير ويكفي في هذا أنه كان يحفظ الكشاف للزمخشري عن ظهر قلب وهو تفسير عُنى بالبلاغة.

وقد أهله تحصيله وذكاؤه للالتحاق مباشرة بالسنة الثالثة بكلية غردون عام ١٩٠٥م في قسم الشريعة حيث درس فيها الشريعة وتخرج منها سنة ١٩٠٧م.

من أهم شيوخه الشيْخ الفكي محمد ود الأمين الكاهلي حيث بدأ حفظ القرآن الكريم عليه، ثم الشيخ العاقب في الجيلي، ثم الشيخ مدثر الحجاز حيث أكمل عليه حفظ القرآن الكريم.

وأكبر شيوخه تأثيراً فيه شيخه محمد ود البدوي، وقد لازم أبو شامة حلقة الشيخ ود البدوي وكان من المبرزين بها.

المطلب الرابع : جهوده العلمية وتلاميذه :

أ. جهوده العلمية :

تولى الشيخ أبو شامة ادارة معهد أم درمان العلمي رئيساً لمشيخة علماء السودان في الفترة من ٤٣ - ١٩٥١م وهي فترة حافلة بالأحداث السياسية في السودان، وقد ألقت هذه الأحداث بظلالها على مختلف أوجه الحياة ومن ذلك المعهد العلمي الذي كان مركز الاشعاع الإسلامي الوحيد في البلاد حيث ضيَّق الاستعمار الخناق عليه وعلى خريجيه، ومن صور هذا التضيق اهمال المعهد العلمي وذلك أن الجامع الكبير ضاق بالطلاب الذين بلغ عددهم المائة السابعة.

وقد نشرت جريدة النيل في عام ١٩٤١م مقالا انتقد فيه كاتبه اهمال الحكومة الاستعمارية لطلاب المعهد فاصبحوا يكدسون في مكان ضيق انعدمت فيه وسائل الصحة ... الخ.

كذلك اكتنف الغموض أمر المعهد قبل تولي الشيخ أبي شامة حيث بقى بدون شيخ منذ أن تقاعد الشيخ أبو دقن في عام ١٩٣٨م إلى أن تولى ادارته الشيخ أبو شامة عام ١٩٤٣م وهي فترة كبيرة بلغت خمس سنوات مما يدل على الاهمال.

ولكن هذا الصرح الشامخ ظل يقاوم عوامل الهدم بفضل جهود مشايخه وطلابه أضف إلى هذا اهتمام الشعب السوداني بمعهده الذي يحفظ له تراثه فتبرع أبناء الشعب لهذا المعهد وتصدوا لايواء طلاب الأقاليم في بيوتهم وكتبت عنه المقالات في الصحف.

وقد أصبحت قضية المعهد العلمي على كل لسان حتى في الأغاني الوطنية والأناشيد كما في قصيدة الشاعر المرحوم يوسف مصطفى التني :

باعتزاز أنا بفخر وابشر
ما بهاب الموت المكشر
ما بخش مدرسة المبشر
عندي معهد وطني العزيز

وقد شهدت الفترة التي تولى فيها الشيخ أبو شامة ادارة المعهد كثيراً من هذه المشاكل كما ذكر هذا الأستاذ يحيى محمد ابراهيم في رسالته التي أعدها لنيل درجة الماجستير حيث قال: صارت قضية المعهد حديث الناس ومثار اهتمامهم واحدى القضايا الوطنية ففي المجلس الاستشاري لشمال السودان الذي كان أحد أعضائه الشيخ أبو شامة أثيرت مشكلة المعهد العلمي وانبثقت لجنة من هذا المجلس ودرست وضع المعهد ولخصت توصياتها في الآتي :

١ . استقدام خمسة من المدرسين من ذوي الكفاءة من متخرجي أقسام التخصص في الأزهر لتدريس علوم اللغة العربية والشريعة الإسلامية .
٢ . ارسال بعثات للأزهر ودار العلوم للتخصص للتدريس بالمعهد ومعاهد الأقاليم .
٣ . إعادة تكوين مجلس أعلى للمعهد ومنحة سلطات كاملة ووضع الموارد الوافية تحت تصرفه ويشرف على التعليم الديني في جميع أنحاء البلاد .

وكان أول من استقدم من ذوي الكفاءة العالية الشيخ محمد المبارك عبدالله وكان هذ الانجاز في عهد الشيخ أبي شامة.

والانجاز الثاني هو بناء مباني المعهد وانتقاله إليها في عهد الشيخ أبي شامة. يقول الأستاذ يحيى محمد ابراهيم في رسالته معلقاً على هذا:

أدت صعوبة توفير الجو المناسب للدراسة بسبب ضيق الجامع وتقارب حلقات الدروس والحاجة إلى استعمال وسائل الايضاح بالنسبة لبعض العلوم الحديثة – إلى الاقتناع بضرورة إقامة مبانٍ جديدة للمعهد.

وقد سارعت السلطات في عهد الشيخ أبي شامة إلى المساهمة بالأرض وبجزء من المال لاقامة المباني الجديدة غرب أم درمان بحي العرضة انتقل إليها من الجامع الكبير.

لقد كان انتقال المعهد العلمي من الجامع الكبير بأم درمان إلى مبانيه الحديثة أضخم انجاز أتاح أن يخطو خطوة أخرى في تطوره ليصبح اليوم جامعة تمتاز بأهم ميزة وهي أنها أقدم جامعة في تاريخ السودان وأنها الجامعة التي حافظت ولا زالت تحافظ على أصالة الأمة السودانية في عقيدتها وفي لغتها وثقافتها.

كذلك شهدت فترة الشيخ أبي شامة حدثاً آخر مهماً في تاريخ التعليم وهو تأسيس معاهد بالأقاليم منها معهد نوري عام ١٩٤٣م، ومعهد كريمة عام ١٩٤٥م، ومعهد حفير مشو عام ١٩٥٠م وهذه المعاهد تتبع للمعهد العلمي في برامجها ونظمها وأساليبها في الدراسة.

كذلك تحقق لطلاب المعهد في عهد الشيخ أبي شامة كسب آخر وهو السماح لطلبة المعهد بالالتحاق بقسم الشريعة بمدرسة الحقوق كلية غردون عام ١٩٥٠م وكان قبل ذلك محظوراً.

وفي مجال تطوير المناهج تقرر تدريس الفلسفة والرياضيات والجغرافيا والتاريخ والأدب واللغة الإنجليزية، ولابد من الإشارة هنا إلى أن الشيخ أبا شامة كان له رأى فيه تحفظ على تعليم اللغة الإنجليزية اشفاقاً منه على الطلاب أن يخدعوا بهذا البريق فينصرفوا إليها وينصرفوا عن اللغة العربية كذلك أخذ الشيخ أبوشامة يلح على السكرتير الإدارى فى استقدام علماء من مصر فوافق واعتمد المبلغ اللازم من ميزانية المعهد التي كانت تزحف لتبلغ عشرين ألفاً من الجنيهات، بينما كانت إعانة الحكومة لمدارس الارساليات تتجاوز المائتي ألف جنيه أي عشرة أمثال ميزانية المعهد وقد حضرت أول بعثة من الأزهر إلى السودان عام ١٩٤٧م وهم : الشيخ كامل السيد شاهين المدرس بالأزهر، الشيخ علي محمد حسن العماري المدرس بالأزهر، الشيخ حافظ دسوقي المدرس بمعهد الاسكندرية، الشيخ محمد عبدالله الشهير بشمس المدرس بالأزهر. وهؤلاء كلهم خريجو كلية اللغة العربية، ثم جاء الشيخ أحمد ابراهيم مهنا خريج كلية أصول الدين والمدرس بالأزهر، وبعد أن انتهى عمل الدفعة الأولى تلاهم الأساتذة: الشيخ يوسف الجرشي بكلية اللغة العربية، والشيخ عبدالعزيز عبيد كلية أصول الدين، والشيخ عبدالرحمن العطار المدرس بمعهد القاهرة، والشيخ محمد الكرمي عيسى شيخ معهد أسوان، والشيخ

عبدالإله الخضري المفتش بالأزهر، والشيخ عبداللطيف الخضري شيخ معهد المنصورة، ومحمد علي المنوفي المفتش بالأزهر، ومحمد أبو طالب شاهين المفتش بالأزهر، وعلي منصور شيخ معهد أسيوط، ومحمد محمود شاهين المفتش بالأزهر، وعبدالكريم شعبان المدرس بكلية اللغة العربية. وقد كان للمعهد بفضل هؤلاء العلماء وبفضل علمائه السودانيين وبفضل طلابه أثر واضح في الحركة العلمية والنهضة الثقافية بما كانوا يقيمون من محاضرات وندوات في المساجد وفي الأندية وفي الأحياء، وبما كانوا يقدمون من أحاديث في الإذاعة وبما كانوا يكتبون من مقالات في الصحف، وقد كان لتنفيذ الشيخ أبي شامة قرار مؤتمر الخريجين باستقدام بعض مدرسي الأزهر وكلياته للتدريس بالمعهد أثر كبير في تطوير المعهد.

كان المجلس الاستشاري قد كوَّن لجنة برئاسة المغفور له السيد ميرغني حمزة للنظر في أمر المعهد العلمي فاقترحت قيام مجلس أعلى للمعهد العلمي ممثلا تمثيلا كاملا يؤهله للنهوض به مثلما لكلية غردون مجلس ادارة فضُم المعهد لمصلحة المعارف منذ أول مايو ١٩٤٧م وعلى هذا أعلن مدير مصلحة المعارف تشكيل المجلس الأعلى للمعهد العلمي من تسعة عشر عضواً على النحو التالي:

١. شيخ المعهد الشيخ أبو شامة.
٢. وكيل المعهد.
٣. ممثلين لمصلحة المعارف وكلية غردون.

٤ . ممثلين لتجار أم درمان والخريجين واتحاد خريجي المعهد .

وقد بدأ التطبيق العملي لخطة تطوير المعهد في أول ١٩٤٩م بطلاب السنة الأولى الابتدائية وتبلغ الخطة نهايتها عام ١٩٥٦م، ثم تقوم بعد ذلك كليتان إحداهما للشريعة وعلومها، والأخرى للغة العربية وعلومها .

وكان للشيخ أبي شامة فضل الاسراع بتنفيذ هذه الخطة .

وهناك توصية بارسال بعثات من المعهد العلمي إلى الأزهر الشريف، كافح الشيخ أبو شامة في تنفيذها ونذكر من المبعوثين للأزهر ودار العلوم المشايخ :

١ . محمد أحمد الهواري .

٢ . الدكتور عثمان الفكي بابكر .

٣ . حامد الجعلي .

٤ . محمد محي الدين .

٥ . محمد الطيب (١) .

ونشير هنا إلى بناء الداخليات للطلاب الذي شارك فيه المواطنون حيث تبرع سكان أم درمان بمبلغ ١٢ ألف جنيه في حين تبرعت الحكومة بنصف هذا المبلغ فقط .

وهناك أمر مهم في مجال نشر العلم حيث اهتم الشيخ أبو شامه بالجامع الكبير الذي نقل منه المعهد العلمي فانشأ فيه ما سمي بالقسم العام أواخر عام ١٩٤٩م . وبدأ لفيف من العلماء

---

(١) ألحق بهم الدكتور أحمد البيلي في السنة التالية .

المتقاعدين تكوين حلقات الدروس حول أعمدته فقصدهم الطلاب الذين لم يجدوا فرصاً لدخول المعهد النظامي أو الطلاب الأجانب المسلمون وخاصة من الدول الأفريقية الذين أرادوا تعلم اللغة العربية قبل الحاقهم بالمعهد العلمي ولعل هذه أول محاولة لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها قبل ما يقارب الخمسين عاماً، كما أن هذا القسم يعد تطويراً للتعليم الاضافي الذي أخذت به الجامعات مؤخراً، وكانت جامعة أم درمان الإسلامية سباقة إلى رعايته وتطويره فغدا جزءًا مهماً من أجزائها ومرفقاً حياً من مرافقها يعد طلابه وطالباته بالألوف.

ومما يضاف إلى جهود الشيخ أبي شامة في مجال التعليم أنه اجتهد في نقل المكتبة الكبيرة التي أهداها فضيلة الشيخ محمد نور الحسن عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف ووكيل الأزهر فيما بعد – للمعهد العلمي بأم درمان. فاجتهد الشيخ أبو شامة في نقلها إلى المعهد من القاهرة وذلك عام ١٩٥١م وكان عدد كتب الشيخ محمد نور ١٤٥٣ مجلداً من بينها مخطوطات نادرة سعى في جمعها أربعين عاماً وقد كتب الشيخ محمد نور وثيقة بذلك الوقف وجعل للمكتبة فهارس وختمها بختمه وجعل النظارة عليها لكل من يكون شيخاً للمعهد العلمي.

ومن جهود الشيخ أبي شامة في التعليم أن انشأ أول مدرسة للأولاد بالسروراب عام ١٩٢٠م وأول مدرسة للبنات عام ١٩٢٢م وأقيمتا داخل منزله.

ب . تلاميذه :

وقد تخرَّج على يديه من المعهد عدد كبير من التلاميذ بدءاً من العام ١٩٤٣م إلى ١٩٥١م حيث انتهت فترة عمله بالمعهد نذكر منهم على سبيل المثال الشيوخ :

١ . أحمد محمد الصادق الكاروري .

٢ . علي أحمد محمد نور

٣ . الجيلي أحمد المكي .

٤ . حسن الدرديري محمد عثمان .

٥ . محمد حامد التكينة .

٦ . ابراهيم عثمان ابراهيم .

٧ . الطاهر أحمد يونس .

٨ . أحمد بيومي عبدالله .

٩ . ميرغني السيد الباقر .

١٠ . الصديق عمر أحمد مكي .

١١ . محمد أحمد خلف الله المنصور .

١٢ . أحمد ابراهيم أبو النور .

المطلب الخامس : نشاطاته العامة وأعماله الأخرى :

في مجال القضاء :

عُين الشيخ أبو شامة عاملاً قضائياً عقب تخرجه عام ١٩٠٧م ثم نقل إلى مدني ليعمل مع صاحب الفضيلة مولانا أبي القاسم أحمد هاشم وتوثقت عرى الصداقة بينهما.

وفي عام ١٩١٠م سافر إلى مصر طالب علم وعندما عاد منها عُين قاضياً بأم درمان، ثم تنقل بين الدبة فالجيلي فمركز كوستي فالخرطوم بحري ثم أم درمان. وفي عام ١٩٢٧م في كسلا قاضياً لمديريتها. وفي ١٩٣٣م عُين مفتشاً للمحاكم الشرعية. وفي ٩ سبتمبر ١٩٣٨م وبموجب الخطاب ١٤٣/٧ عيَّنه الحاكم العام مفتياً ونائباً لقاضي القضاة خلفاً للشيخ أحمد الفيل الذي تقاعد بالمعاش.

وفي عام ١٩٤٣م تقاعد بالمعاش وأُنتدب لمشيخة المعهد العلمي بأم درمان في أول مارس بموجب الخطاب ٥١٨/٨.

وهو من أسرة فيها كثير من القضاة أمثال أجداده الشيخ بقدوش القاضي في مملكة الفونج، والقاضي النصيح، والقاضي محمد صالح، والعلماء آل نصير وعلام.

جهوده السياسية :

شارك الشيخ أبو شامة في الجانب السياسي فقد كان عضواً في حزب الأمة كما اختير عضواً في أمانة شيوخ الأنصار (وهي هيئة استشارية) واختير عضواً في وفد الاستقلاليين الذي سافر إلى مصر بقيادة الإمام عبدالرحمن المهدي ليفاوض الحكومة المصرية

برئاسة اللواء محمد نجيب حول تقرير المصير وذلك عام ١٩٥٢م.

كما أنه شارك في العمل العام مشاركة واضحة وكانت له مكانته القيادية فقد كان رئيساً لنادي الخريجين بأم درمان وكان سكرتيره الأستاذ إسماعيل الأزهري رئيس وزراء أول حكومة وطنية فيما بعد.

وكان الشيخ أبو شامة عضواً في اللجنة الستينية لمؤتمر الخريجين في دورتها الأولى عام ١٩٣٨م ثم عضواً باللجنة الستينية في دورتها ١٩٤١م.

وقد كرَّمه الخريجون بمنحه وسام الخريجين. ومن أبرز مواقفه السياسية التي ظهرت فيها حكمته موقفه في المظاهرة الشهيرة التي سيَّرها طلبة المعهد العلمي عام ١٩٤٦م ضد المستعمر وكانت مظاهرة كبيرة اتجه بها طلبة المعهد إلى الخرطوم والتف الشعب حولهم مؤازراً ومؤيداً، وقد كانت المظاهرة الثانية بعد مظاهرة الشيخ عمر دفع الله[١] عام ١٩٤٣م فهزت أركان الحكومة الاستعمارية آنذاك وانعقد لها مجلس الحاكم العام فأقرَّ اطلاق الرصاص على طلبة المعهد المتظاهرين وكاد الرصاص يحصد هؤلاء الطلاب لأنهم لم يتراجعوا وهنا ظهرت حكمة الشيخ أبي شامة فحالت دون تنفيذ الأمر باطلاق الرصاص مما أدخل الشيخ في مشاداة كلامية مع المفتش الإنجليزي لمركز أم درمان الذي ظن أن

---

(١) الشيخ عمر دفع الله: مجاهد وطني معروف قاد أول مظاهرة معادية للاستعمار. وهو من دعاة الوحدة واشترك في ثورة ١٩٢٤م. نُشر له مقال بالعدد السادس من مجلة معهد أم درمان انتقد فيه تحويل مفتش أم درمان البريطاني من أموال الضرائب الخاصة بالمعهد - إلى كبري أم درمان على النيل الابيض وطالب بارجاع الأموال إلى المعهد.

بعض الطلاب الملتحين بعمائمهم ذات العزبات - أمثال الطالب دفع الله محمد ابراهيم - مندسين في أوساط الطلبة.

وكذلك ظهرت شجاعة الشيخ أبي شامة في المظاهرة الشهيرة الكبرى الثانية التي قادها طلبة المعهد العلمي ضد المستعمر عام ١٩٤٨م وضد الجمعية التشريعية، وقد كانت أول مظاهرة يواجه فيها الشعب المستعمر مواجهة سافرة لأنها تميزت بما يلي :

أولاً : صمد طلبة المعهد أمام القوات التي جاءت لضربهم، وضرب فيها الطالبان مأمون تميم وحامد عمر الصول الانجليزي.

ثانياً : دعا طلبة المعهد الزعيم اسماعيل الأزهري ليقود المظاهرة حين ساروا بها إلى بيته فلم يتردد هذا الزعيم المرموق فخرج معهم يهتفون جميعاً ضد الجمعية التشريعية.

ثالثاً : سجن فيها الزعيم إسماعيل الأزهري لأول مرة ومعه لفيف من طلبة المعهد.

وظهرت شجاعة الشيخ في أنه أصرَّ على أن يزور طلابه في السجن مؤازراً لهم مقدماً لهم الدعم المعنوي والمادي وكان طلابه يشفقون عليه ويقولون له إنك في موقع المسئولية وربما أثرت هذه التصرفات على مكانتك ولكن كان يقول لهم : أنتم عدة الوطن والوقوف معكم واجب معطياً طلابه المثل الحي في التضحية والثبات.

المطلب السادس : وفاته :

كان الشيخ يعاني من علة لازمته طويلاً لكنها لم تقعد به عن عمله بل كان يواصل جهوده وجهاده رغم معاناته الشديدة من هذه العلة يشهد له بذلك كل من عمل معه.

وفي أمسية الثلاثاء الرابع والعشرين من عام اثنين وسبعين وتسعمائة وألف توفاه الله تعالى واختاره إلى جواره وذلك بمدينة أم درمان بحي بيت المال وقد كان فقده عظيماً على الشعب عامة وعلى ذويه بصفة خاصة، وقد رثاه يوم وفاته ابنه تاج الدين بقصيدة جاء فيها :

عزك اليوم والدي قد تجلى *** وهلال الإصلاح منك استهل
ويميناً ما كنت إلا أخا الجود *** وهديا للشعب إن هو ضل
ضاقت الأرض والأنام بقوم *** إذ بهم صارم العداوة سُلَّ
فتداركتهم وصنت حماهم *** بقضاء من صادق الروح أولى
بك يا والدي وردت المعالي *** وشربت العلوم نهلاً وعلاًّ

القسم الثانى

ليلة التوثيق

ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الاول : تقديم.

المطلب الثانى : برنامج الليلة.

المطلب الثالث : كلمة الجامعة.

المطلب الرابع : كلمة أسرة الشيخ.

المطلب الخامس : بعض الخواطر والكلمات التى أُلقيت فى الليلة.

المطلب الاول : تقديم

في مساء الثاني من شعبان من عام خمسة عشر وأربعمائة وألف (٢ شعبان ١٤١٥هـ) الموافق الثالث من يناير من عام خمسة وتسعين وتسعمائة وألف ٣ / يناير / ١٩٩٥م وبقاعة الامام مالك بن أنس بمباني الجامعة بالعرضة كانت الليلة السادسة من سلسلة ليالي توثيق حياة علماء جامعة أم درمان الاسلامية وهي لتوثيق حياة الشيخ (أبوشامه) عبدالمحمود.

وقد حضرها جمع غفير من المسئولين بالدولة، ومديرى الجامعات وشيوخ الطرق الصوفية، وأسرة الشيخ (أبوشامة) عبدالمحمود وأساتذة وطلاب وطالبات وموظفي وموظفات جامعة أم درمان الاسلامية، وعدد كبير من المهتمين بتاريخ السودان، وعدد من مراسلي الصحف ووكالات الانباء.

وقد شارك في هذه الأمسية عدد من العلماء والأدباء ومعارف الشيخ وطلابه ومحبيه والمهتمين بشئون العلم والسودان. وقد كان لمشاركتهم الأثر الطيب في إنجاح الأمسية وفي امتاع وافادة الحضور وفي اضفاء البهجة والمسرة في نفوسهم. وقد تدارست اللجنة أمر تضمين هذا الكتاب جميع المساهمات ولكن لاعتبارات فنية اختصرنا على جزء من هذه الكلمات في مقدمتها كلمة الجامعة وكلمة الأسرة. واستفدنا من بقية المساهمات في تلخيصنا للمعلومات التي أوردناها في القسم الأول عن هذا الشيخ.

المطلب الثاني : برنامج الليلة :

١ . القرآن الكريم .

٢ . كلمة الجامعة / بروفيسور على أحمد محمد بابكر (مدير الجامعة) .

٣ . كلمة الأسرة / الاستاذ تاج الدين أبوشامة .

٤ . مقتطفات عن دور الشيخ فى نهضة المعهد العلمى / الاستاذ / محمد أبوشامة عبدالمحمود .

٥ . كلمة الاستاذ عبدالمحمود أبوشامة عبدالمحمود .

٦ . نبذة عن تاريخ الشيخ / الأستاذ / احمد محمد الامين أبوشامة .

٧ . كلمة الدكتور الرشيد أبوشامة .

٨ . كلمة الأستاذ / سيف الدين الدسوقى .

٩ . كلمة الأستاذ / مقبول بدرى .

١٠ . المعهد العلمى فى عهد أبى شامة ١٩٤٣ – ١٩٥١م، الأستاذ / محمد البكرى الزين .

١١ خاطرة الأستاذ على محمد شمو .

١٢ خاطرة الأستاذ مهدى محمد سعيد .

١٣ كلمة بروفيسور فيصل تاج الدين أبوشامة .

١٤ خاطرة الشيخ الدكتور الطيب الفاتح قريب الله .

المطلب الثالث : كلمة الجامعة :

ألقاها البروفيسور على أحمد محمد بابكر مدير الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الكريم رئيس القضاء

الأخوة الكرام الوزراء

الأخوة الكرام أفراد أسرة الشيخ الجليل (أبوشامة) عبدالمحمود

الأخوة الكرام أسرة جامعة ام درمان الإسلامية

الأخوة الحضور

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

أسعدنا كثيراً أن استجبتم لهذه الدعوة وأن حضرتم هذا اللقاء، وهو لقاء فى سلسة لقاءات الجامعة الإسلامية من أجل توثيق حياة رجال بذلوا عمرهم فى خدمة الدين وخدمة العلم وخدمة بلدهم وخدمة أمتهم، وهذا العمل هو من واجب هذه الجامعة، وإن تأخر كثيراً، وهو دين عليها وعلى الأمة السودانية، كما قال شاعر هذه الجامعة التجانى يوسف بشير وهو يخاطب الشيخ أبا القاسم أحمد هاشم :

لك فى عاتقى مواثيق

ما أجدرها أن تزيد من أعبائه

فهؤلاء الرجال لهم مواثيق تزيد من أعبائنا ومن أعباء أمتنا فقد حموا الدين والتراث والهوية، وجاهدوا جهاداً طويلاً وعرضوا حياتهم لمخاطر فى فترة كانت البلاد ترزح تحت الأستعمار.

اليوم نقدم اللقاء الخامس وكنا بدأنا متتبعين التسلسل التاريخى للذين قادوا مسيرة هذه الجامعة .

وإن كنا بعد ذلك سنعود ونواصل لقاءات العلماء الذين كانوا معهم فى مسيرتهم وقد قدموا أيضاً الكثير، فالتسلسل التاريخى الذى سرنا ونسير عليه لهؤلاء العلماء هو :

١ / الشيخ محمد البدوى ١٩٠٠ - ١٩١١م.

٢ / الشيخ أبوالقاسم أحمد هاشم ١٩١٢ -١٩٣٢م.

٣ / الشيخ النذير خالد الماحي (صاحب الشيخين: الشيخ محمد البدوي والشيخ أبو القاسم أحمد هاشم عاملاً معهما).

٤ / الشيخ أحمد محمد أبودقن ١٩٣٢ - ١٩٣٨م.

٥ / الشيخ أحمد الهاشم دفع الله ١٩٣٨ -١٩٤٣م.

٦ / الشيخ أبوشامة عبدالمحمود ١٩٤٣ -١٩٥١م.

٧ / الشيخ هاشم أبوالقاسم ١٩٥١ -١٩٥٥م.

٨ / الشيخ محمد المبارك عبدالله ١٩٥٦ -١٩٦٣م.

٩ / الشيخ مجذوب مدثر الحجاز ١٩٦٣ - ١٩٦٥م.

عندما بدأنا جمع المعلومات عن الشيخ أبى شامة عبدالمحمود وجدنا تجاوباً مباشراً من الأسرة، من أبنائه وأحفاده، وكنا نعرف الشيخ تاج الدين وابنه البروفيسور فيصل، ولكن بعد بدايتنا وصلنا خطاب من الأستاذ الشيخ تاج الدين وفيه ذكر عدد من العلماء الذين ما كنا نعرفهم فى تلك الفترة.

وقال فى تلك الوثيقة إنه عمل مع نخبه من هؤلاء الرجال، وقال إنه أراد أن يذكر لنا أسماء قد لاتكون مدونه فى الكتب، فسررنا لذلك وبدأنا الاتصال المباشر به فى السروراب، ثم اتصل بنا ابنه الأستاذ الرشيد وتحدث مع اللجنة وهذا ليس بغريب، لأنها أسرة سليلة هذا الشيخ الذى عاش لأجل هذا الدين، فالأبناء عندما يقدرون عمل آبائهم يكون هذا فى رصيدهم ورصيده.

الفترة التى تولى فيها الشيخ الجليل أبوشامة عبدالمحمود هذه المؤسسة كانت فترة استيقظ فيها ضمير الأمة، وتجمع فيها المتعلمون ليشكلوا مؤتمر الخريجين، كانت فترة عصيبة من تاريخ السودان... طالبوا فيها بالاهتمام بهذه المؤسسة لأنهم كانوا يقدرون المعهد العلمى، ويعتبرونه القيادة لهذه الأمة، فدعموا حركة الطلاب بمذكرة اشتملت على :

١ / اصلاح المناهج.

٢ / دعم مجلس إدارة المعهد.

٣ / الاعتراف بشهادة هذا المعهد وكما هو معلوم فإن الدفعة الاولى التى تخرجت نظامياً عام ١٩٢٤م اعترفت بها مصر ولم يعترف بها السودان.

٤ / الاتصال بالأزهر وكان هذا يخيف الاستعمار لأنهم يعتقدون أن أى حزب يحركه الإسلام سيقوم بالمطالبة بالاستقلال وتقرير المصير والانعتاق من الاستعمار.

هذه المذكرة وجدت فى البداية رفضاً من الحكومة ولكن عندما علمت بأنها مدعومة من العلماء والطلاب استجابت لبعض المطالب ورفضت بعضها، ثم عين الشيخ أبوشامة شيخاً للمعهد.

والفترة التى ظهرت فيها المذكرة كان يتولى المعهد بالإنابة الشيخ أحمد الهاشم دفع الله.

وفترة الشيخ أبي شامة هى فترة الحرب العالمية الثانية وكانت تحتاج للحكمة وبعد النظر واليقظة.

فى عام ١٩٤٢م رفع مؤتمر الخريجين مذكرة أخرى يطالب بتقرير المصير وهذا معناه شبه ثورة...

الشيخ أبوشامة كان عضواً فى مؤتمر الخريجين وكان رئيساً لنادي الخريجين كما سيتحدث ابناؤه بالتفصيل.

قضى الشيخ أبوشامة فترته التى سبقت توليه فى قيادة الجامعة الإسلامية والفترة التى تولى فيها قيادة الجامعة فى تحصيل وتبليغ

العلم فقد جمع العلم وحفظ القرآن وبذل جهداً كبيراً بلغ الغاية وتولى القضاء والإفتاء.

فى فترة توليه قيادة المعهد كانت هناك انجازات كبيرة وبعلمه وقدراته استطاع أن يطوِّر المناهج ويربط الجامعة الإسلامية بالأزهر الشريف.

كان الشيخ أبوشامة يعرف أن الروابط بين علماء الأمة الإسلامية هى الوسيلة لقوة هذه الأمة فاجتهد فيها كما وسعه.

كما ذكرت فى الكلمات السابقة أن الشيخ أبوشامة أقبل على العلم والدين فترك أثراً ظاهراً فى أسرته وأحفاده، وسار أبناؤه واحفاده فى دربه.

ندعو الله أن يسكن الشيخ أبا شامة فسيح جناته مع الصديقين والشهداء، وستمضى الجامعة الإسلامية قدماً فى توثيق حياة بقية العلماء.. نرجو من الله أن يتقبل الأعمال وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المطلب الرابع : كلمة الأسرة :

ألقاها الشيخ تاج الدين أبوشامة عبدالمحمود ★

بسم الله الرحمن الرحيم

أرجو أن تسمحوا لي أن ألقى عليكم مقتطفات سريعة عن حياة الشيخ أبي شامة عبدالمحمود.

والدته هي شموم بت الطيب المحسى ووالدتها دار السلام بت الملك سعد... ولمّا كانت قبيلة الجموعية صاحبة الأرض غرب النيل فإن المحس كانوا أصحاب الأرض في شرق النيل.

نشأ الشيخ وحفظ القرآن الكريم في منطقة السروراب وذهب لتحصيل العلم بالجيلى في حلقة الشيخ العاقب ومن ثمّ في أم درمان على يد الشيخ البدوى.

في عام ١٩٠٣م التحق بكلية غردون قسم القضاة وتخرج ١٩٠٧م وعُين عاملاً قضائياً ونقل لمحكمة النيل الأزرق في مدنى وعمل مع الشيخ أبي القاسم أحمد هاشم الذى عامله كأبنائه.

وفى عام ١٩١٠م ذهب إلى مصر متطلعاً للاستزادة من العلم وبعد عودته عين في محكمة أم دم في أم روابة وفي عام ١٩١٦م نقل للجيلى لمعالجة حصر تركة الزبير باشا. ثم نقل إلى شندى وكوستى وقاضياً في ام درمان وعين عضواً لمؤتمر الخريجين في سكرتارية إسماعيل الأزهرى.

التحق بالجمعية السرية عام١٩٢٢م التى انشأها الأستاذ حسين شريف تحت شعار السودان للسودانيين. في عام١٩٢٧م عين

★ هو الابن الأكبر للشيخ أبي شامة عبدالمحمود تخرج من كلية غردون قسم المحاسبين، نائب الدائرة ٢٥ريفى شمال ام درمان عام ١٩٦٤م، مقيم بمنطقة السروراب شمال ام درمان.

قاضياً لمديرية كسلا مفتياً للديار السودانية عام١٩٣٨م وأصدر فتاوى جريئة وجسورة.

كان محبوباً فى كل مكان عمل فيه وفى أم درمان اشترك مع كل الفعاليات التى بنت مدينة أم درمان ومعه العمدة مقبول وآل البرير وآل عثمان صالح وآل أبي العلا والأستاذ الدرديرى محمد عثمان وآل الفيل وآل الشنقيطى وآل شوقى والشيخ عمر اسحق وغيرهم.

ومن أهم صفاته حسن الخلق وكان يجيد ركوب الخيل واستعمال السلاح.

وكان له دور كبير فى جامعة أم درمان الإسلامية وكان عضواً فى الوفد الاستقلالى الذى ذهب إلى مصر عام ١٩٥٢م برئاسة الإمام عبدالرحمن المهدى.

كان شجاعاً شجاعةً نادرة ولعله يتذكر أهزوجة عمته آمنة بت الولى التى تذكره بالقضاء والقدر وهى تتحدث عن شجاعته باللهجة العامية.

آخيراً علينا نحن السروراب فى مناطق شرق النيل وجيرانهم من كل القبائل النازحة والأسر الكريمة التى صاهرها الشيخ أبوشامة أن نتقدم لهذه الجامعة بالشكر فى شخص الأستاذ الدكتور على أحمد محمد بابكر وأصحاب الفضيلة علماء الجامعة ومديرى إداراتها وعموم أسرة الجامعة فى تكريم شيوخ الإسلام ومن بينهم الشيخ أبو شامة عبدالمحمود، ومن جانبنا ندعوهم لزيارة السروراب الجميلة وهى علم وفهم وكرم وعشم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المطلب الخامس : كلمات وخواطر

خاطرة الأستاذ الشاعر سيف الدين الدسوقى ★

بسم الله الرحمن الرحيم

فى حديثى إليكم أود أن أتحدث عن ذكريات الطفولة ورؤيتى لوالدى الشيخ أبي شامة ووالدى الشيخ مصطفى الدسوقى.

كان يدرِّس فى جامع أم درمان الكبير ونحن أطفال وكنا نجئ إليه ونجده جالساً يدرِّس التفسير واللغة العربية وشيئاً من الشريعة.

وحضرنا فى تلك المرحلة تحرك المعهديين بسبب الحركات الوطنية التى أثارها مؤتمر الخريجين وحضرنا المظاهرة الكبرى ونحن طلاب، مظاهرة ضخمة من جامع أم درمان الكبير وكانت تطالب بخطوات إيجابية فى مجال الدراسات الإسلامية. وقام المعهد الحديث وكنا أول دفعة فى هذا المعهد.. أتى آباؤنا وأتى كل المشايخ بأبنائهم للمعهد الذى تدرس فيه العلوم الشرعية والرياضيات وغيرها. أتى الشيخ ياجى بخالد وسعد وأتى مولانا مجذوب مدثر بابنه.

وخرجت المظاهرة الثانية وكنا فى الوسطى وصادمنا الاستعمار وظللنا أكثر من ثلاثة أيام نحتل المعهد إلى أن أخرجنا البوليس

★ سيف الدين الدسوقي درس المرحلة المتوسطة والثانوية بالمعهد العلمي وتخرج من جامعة القاهرة فرع الخرطوم كلية اللغة العربية وعمل بالاذاعة والتلفزيون، وهو شاعر متمكن له عدد من دواوين الشعر، ولد ١٩٣٦م بأم درمان.

بالقـوة وشُـرد عـدد كـبـيـر من الطلاب وسـافـروا إلى القـاهـرة ودرسـوا بالأزهر.

الشـيخ أبوشامـة عبـدالمحمود هو والدنا وكـان كل النـاس يأتون على حـميرهـم إلاً الشـيخ عبدالمحـمود الذى كـان يأتى بعربة صـغيـرة وكان يسكن بيته الذى يقطن فى حى العمراب وكان أهلنا العلماء الأجلاء الشيخ حامد ودعبدالمحمود والشيخ أبوشامة ويتزاورون.

كان مولانا متزوجاً عمتى بت الشيخ ابراهيم الدسوقى.

نحن أسـاسـاً من الشـيخ الطيب وجـاء من أمرحى جـدودى إلى السروراب لظروف معينة والسروراب أكرموا جدودى الذين تزوجوا منهـم وكـان جدى الدسوقى متزوجاًمن السـروراب، نحـن نلتقى فى جدنا جموع جد الجموعية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خاطرة البروفسور على محمد شمو*

بسم الله الرحمن الرحيم

كنت أود أن استرسل ولكن مقدم البرنامج ألزمنى بالخواطر.

أنا واحدٌ من الذين شهدوا فضيلة مولانا الشيخ أبا شامة عبدالمحمود وكنت فى الحادية عشرة من عمرى كان قد أمضى عاماً وجئت للمعهد وانخرطت فى الدراسة فى جامع ام درمان الكبير وكانت الدراسة فى حلقات تكبر وتضيق حسب عدد الطلبة وهكذا دواليك... وفى الطريق يتساقط الكثيرون ويتركون الدراسة.

كانت وسائل الدراسة غائبة وكله يعتمد على كتب النحو والصرف والبلاغة والتفسير وكل الكتب الإسلامية والعربية وغابت عن المنهج العلوم الحديثة التى يحظى بها زملاؤنا فى المدارس .

كان مولانا أبوشامة يقوم بالتدريس وكنا نتطلع إليه من بعيد وكان أنيقاً فى ملبسه.. يمشى وئيداً لايلتفت.. يحسن الاستقبال إذا جئته سمعت منه كلمة مرحب مرحب ثم ينصت وهو من خيرة المنصتين ثم تخرج منه مقتنعاً لأنه رجل مقنع إما لأنه استجاب لطلبك وإما أقنعك بأن طلبك ليس فى مقدوره.

---

* البروفسور علي محمد شمو هو الخبير الاعلامي، كان مديرا للاذاعة ومديرا للتلفزيون، كما كان وزيرا للشباب والرياضة، ووزيرا للاعلام أكثر من مرة، وهو عضو هيئة التدريس بكلية الاعلام بجامعة أم درمان الإسلامية، وقد كان له فضل المشاركة في وضع مناهج هذه الكلية في أواسط الستينات.

كان أسلوبه فى الحديث مع الطالب والشيخ والعامل واحداً وعندما تقاعد بالمعاش لم يكن الإنجليز راضين عنه ولم يكن راضياً عنهم.

كان همه الأول تطوير هذه المنشأة وإكمال المناهج حتى ينافس طلاب المعهد رصفاءهم فى دور العلم الاخرى وكان الناس يقولون إن الذين يدرسون فى المعهد لا يتمكنون من دخول المدارس الثانوية وهذا خطأ كبير لأن طلبة المعهد كان منهم الصغير ومنهم من كان من أوائل المتفوقين، ولكن ذويهم آثروا أن يأتوا بهم إلى المعهد، ومنهم الكبار فتجد أباً وابنه فى الدراسة وزاملنا من كان أكبر من شيخه الذى يتلقى عليه العلم، فكانت الدراسة حرة وأراد الشيخ أن يحتفظ بهذا الأسلوب ويطوِّر المعهد ليدخل الطلاب الحياة ويجدوا مواقعهم.

كان هذا عام ١٩٤٦م وكانت أم درمان تنتهى فى خور العرضة... ووجد الطلبة لأول مرة وسائل الإيضاح فى عهد الشيخ أبي شامة عبدالمحمود وكل من عايشه يعرف عظمته وكلما مرت الأيام تجسدت لى عظمة ذلك الرجل الذى أسأل الله أن يسكنه فسيح جناته وأن يجعله مع الصديقيْن وحسن أولئك رفيقاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة البروفيسور فيصل تاج الدين أبوشامة*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

السيد مدير جامعة أم درمان الإسلامية

أسرة جامعة ام درمان الإسلامية العريقة

الجمع الكريم

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ،،

هذه لحظات نادرة فى اجتماعنا هذا الطيب المبارك وفى هذا المنبر الكريم لحظات للوفاء نسترجع ونستذكر من خلالها سيرة جيل صالح من أبناء الوطن الأبرار أسهم فى بناء قاعدة متينة للعلم والتعليم وأغنى ساحات الدين والشرع واللغة والإدارة والأداء.

شيخنا أبوشامة يمثل واسطة العقد من ذلك الجيل الفريد، تابعنا اليوم سيرته ومآثره ومواقفه وإنجازاته من مصدرها الحقيقى والأصيل، من أبنائه وأهله وعشيرته ومعارفه وتلاميذه وهم الأخير والاقدر والأصدق والأوفى.

وفى وقفتى القصيرة هذه والتى أحمد الله عليها، لا أهدف للزيادة أو الإضافة لما قُدمّ بقدر ما أهدف لاستعراض وإبراز بعض

---

* هو ابن الشيخ تاج الدين أبوشامة، تقلد العديد من المناصب منها أنه مدير لمركز البحوث بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

الملامح الهامة لتلك السيرة العطرة لشيخنا الجليل، ولمنهجه العامر بالدروس والعبر، علنا نفيد منه حاضراً ومستقبلاً.

سادتى :

أول تلك الملامح إصرار الشيخ على طلب العلم وانقطاعه له ومنذ بداية حياته وسعيه الدؤوب لينهل من منابعه الأصيلة، برعاية المشايخ المشاهير وأهل الخلاوى ونار القرآن والفقهاء، وقد استهان الشيخ فى ذلك بالعقبات والصعاب، والبلاد تواجه حينها أشرس هجمة استعمارية صليبية، عملت على طمس شخصية الأمة المسلمة وابعادها عن دينها وعقيدتها ولغتها، فكان طلب العلم مشقة بل مسئولية عظيمة حملها شيخنا الجليل يقيناً منه بأن العلم مصدر للقوة والمنعة وسلاح وذخر للحاضر والمستقبل.

ثانياً : خطط المستعمر لحصار الدين واللغة فى ركن قصى، وحشره فى جبة ضيقة على هامش الحياة، فكان وعى شيخنا بهذا التوجه الشرير مبكراً وهو يعمل بالقضاء الشرعى متنقلاً فى أنحاء السودان، فقد ركز فكره وجهده فى تجويد الأداء فى الحكم والتشريع متمسكاً بالمنابع الأصيلة، والعمل الجاد فى نشر التوعية والثقافة الدينية والشرعية عن طريق الإمامة والمذاكرة والخطابة والريادة والمبادرة بالمثل الطيب الصالح، أضفى هذا عليه وزملاءه من قضاة الشرع وجيله من حملة الرسالة الهيبة والاحترام والثقة، مما

أجبر المستعمر على الحذر من مغبة السفور فى عدائه للإسلام والمسلمين وحفظ للأمة قدراً كبيراً من تراثها وحضارتها.

ثالثاً : اختط شيْخنا بفهمه وخبرته وحكمته مقاييس أساسية للإدارة والأكاديمية المتميزة، ذلك عن طريق الممارسة الحقيقية والتى اعتمدت على الامتياز العلمى والاكاديمى وضرب المثل فى التجرد ونكران الذات والحكمة والحزم، أضافة للتخطيط وصياغة البرامج ومتابعة التنفيذ والتقييم والتقويم مما أضفى على المعهد العلمى جواً من الثقة بالقيادة والتفاوت الجاد ما دفع به خطوات كبيرة للأمام فى تلك الحقبة العامرة بالعمل.

وقد أسس الشيخ مبدأ الشورى فى ألادارة، ممايعرف اليوم (بالادارة الجماعية) أو (الادارة بالمؤسسات) والتى تعتمد على (التفويض) و (اللامركزية) وهى تعتبر نمطاً من الادارة الحديثة فى أيامنا هذه تم ابتداعها في تلك الحقبة بأبسط الطرق ودون بيروقراطية أو شكليات،كثيراً ماشهدت علماء المعهد العلمى وشيوخه يتحلقون حول شيخ العلماء فى اجتماع عفوى فى ضحى كل يوم، وبعد التحية والسؤال للاطمئنان على صحة الجميع وتفقد أحوال الغائب، تُعرض الأفكار والخطط والبرامج الإدارية والأكاديمية ويتم التداول حولها والتوصل الى بعض النتائج، فى رحاب البساطة والتعارف والمحبة والاحترام دون تشنج أو نشاذ.

رابعاً : تعهد الشيخ أبوشامة – يرحمه الله – المعهد العلمى

باهتمامه وانشغل بتطويره وترقيته، ويقيني أن فكرة نماء المعهد كنواة لجامعة إسلامية كانت واردة بل ناضجة في ذهن شيخنا وتخطيطه، ولاغرو فلقد عرف وخبر المعاهد والجامعات عبر صلاته الوثيقة بالعلم والعلماء وبخاصة الأزهر الشريف بمصر - وقد عمل بجد لتحقيق ذلك الهدف الكبير كما جاء في سيرته الموثقة.

تبنى برنامجاً واضحاً لبناء قدرات المعهد الاكاديمية وبنياته الأساسية خاصة في مجال القوى البشرية المدربة المتخصصة وقد سمعنا اليوم عن اهتمامه وإصراره على إرسال البعثات من خريجي المعهد للتدريب والتأهيل بمصر، رغم عنت واعتراض المستعمر - إضافةً إلى جهده في بناء المكتبة وتوفير الكتاب ووسائل التعليم الأخرى يعرف هذا بلغة اليوم بتطوير ورفع الكفاءة الأكاديمية (Capicity Building) وفي هذا المجال -أيضاً- أسس شيخنا (العلاقات الثقافية للمعهد) من أجل تبادل العلماء والخبرات والمعلومات وعن طريق أقرب وأضمن السبل (الاتصال الشخصي المباشر) مستغلاً علاقاته وصداقاته الواسعة خاصة في مصر الشقيقة مما أثمر تعاوناً وتقارباً وثيقاً بين المعهد العلمي والمعاهد العلمية بمصر وغيرها من بلاد الإسلام، وجاءت وفود من العلماء ساهموا بفكرهم وعلمهم إغناءً للبيئة العلمية والفكرية للمعهد العلمي.

أنجز ذلك كله دون تشكيل لإدارات العلاقات الثقافية أو توقيع البرتوكولات والاتفاقيات كما هو حالنا اليوم.

تنظم الجامعات هذه الأيام (النفير) للدعم وتتحدث عن (الاستثمار الدائرى) فى مجال العقارات والمزارع والمصانع وغيرها، كما أن الجامعات وفى أنحاء العالم المختلفة ادركت أهمية هذا الجانب واستحدثت إدارات متخصصة فى التخطيط والاستثمار - علماً بأن شيخنا الجليل قد اهتم اهتماماً كبيراً بهذا الجانب ومنذ ذلك العهد وعمل بجدية لتكملة المنشآت المقامة على أوقاف الجامع الكبير حتى يفيد المعهد العلمى من عائد إيجارها - خاصةً وأن المعهد لم يخط حينها إلا بموازنة قليلة لاتفي باحتياجاته.

كما اهتم شيخنا بالطلاب واستنفر الخيرين من تجار ام درمان وأبناء السودان عامة لتوفير السكن والإعاشة لطلاب المعهد الفقراء وطلاب الأقاليم والطلاب الأجانب - المشروع الذى نطلق عليه اليوم وبعد مرور خمسين عاماً (صندوق دعم الطلاب).

تنبه شيخنا لدور المعهد العلمى القومى والإقليمى والعالمى - ففتح بابه للطلاب من كل مناطق السودان ومن البلاد المجاورة وحتى من بلاد العالم البعيدة - فأمَّه النيجيرى والموريتانى وطلاب العلم من ماليزيا وأندونيسيا والهند، وأصبح المعهد ومنذ ذلك الزمان (عالمياً) بحق صفة ورثتها وطورتها جامعة ام درمان الإسلامية العريقة اليوم - وتضطلع بها جامعات فتية - القرآن الكريم - أفريقيا العالمية - وجامعات السودان قاطبةً - مما يؤكد عالمية العلم والمعرفة وريادة السودان فى هذا المجال الهام.

سادتى :

هذه لمحات عابرة لبعض إنجازات ذلك السلف الصالح من شيوخنا وروادنا – أرسوا قواعد أصيلة وثابتة للعلم والتعليم العالى الإسلامى بالسودان فهنيئاً لجامعة أم درمان الإسلامية بإرثها المكين – وقصة تاريخها الضاربة فى الأصالة – والعزة والمنعة للسودان .

ورحمة الله ورضوانه على شيخنا ووالدنا الشيخ أبي شامة عبدالمحمود .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

خاطرة الشيخ الدكتور الطيب الفاتح قريب الله ★

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة البروفيسور مدير الجامعة

سيادة السيد أحمد المهدى

أسرة الجامعة وأسر الشيوخ العلماء

سيادة أسرة الشيخ الكريم أبي شامة عبدالمحمود

الضيوف الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

بالأصالة عن أسرة سيدى الشيخ محمد الفاتح نشكر ونقدِّر هذه السنة الحميدة لتكريم العلماء.

ونشكر الأستاذ الدكتور على أحمد محمد بابكر الذى أحيا الجامعة الإسلامية من جديد والذي ظل يؤكد في كل يوم بأنه خير خلف لذلك السلف.

فقد كان تكريم الجامعة من قبل للشيخ محمد البدوي والشيخ أبي القاسم والشيخ النذير خالد الماحي والشيخ أحمد محمد أبي دقن والشيخ أحمد الهاشم دفع الله والشيخ أبي شامة

★ هو الشيخ الدكتور الطيب بن الشيخ محمد الفاتح بن الشيخ قريب الله الداعية الذي حمل فضل أبيه وجده، عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية بجامعة أم درمان الإسلامية.

عبدالمحمود من الأعمال المقدرة والمحمودة والتي تؤكد على أصالة هذه الجامعة العريقة.

وها هي الجامعة الإسلامية تواصل اليوم هذا النهج الفريد في توثيق حياة علمائها الذين أرسوا دعائمها وثبَّتُوا أركانها، وتكرِّم اليوم الشيخ الجليل أبا شامة عبدالمحمود الذي كان له فضل كبير في دفع مسيرة الجامعة.

فقد عرف الشيخ بمواقفه المشرفة في عمل كل ما يؤدي إلى تطور هذه المؤسسة التي حملت رسالة القرآن وخرَّجت أفذاذ العلماء.

وإننا إذ نقف هذه الوقفة في أمسية توثيق حياة الشيخ العالم أبي شامة عبدالمحمود لابد وأن نذكر بأنه قد حمل الأمانة وأدى الرسالة كأحسن ما يكون.

نسأل الله أن يجعل كل ما قام به من أجل هذه المؤسسة في ميزان حسناته وليوفق الله تعالى ادارة هذه الجامعة على السير في ذات الطريق الذي رسمه الشيخ ورفاقه من الشيوخ والعلماء إنه سميع مجيب الدعاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

الفصل الحادي عشر

الشيخ هاشم أبوالقاسم أحمد هاشم

١٨٩٤ - ١٩٥٧م



الشيخ / هاشم أبو القاسم أحمد هاشم

القسم الأول

التعريف بالشيخ

ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : اسمه ونسبه وأسرته.

المطلب الثاني : نشأته وبيئته.

المطلب الثالث : تعلمه.

المطلب الرابع : جهوده العلمية وتلاميذه.

المطلب الخامس:نشاطاته العامة وأعماله الأخرى

المطلب السادس : وفاته.

المطلب الأول : اسمه ونسبه وأسرته :

هو هاشم أبو القاسم أحمد هاشم، والده الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم الشيخ الجليل والعالم النحرير الذى تولى مشيخة المعهد العلمى فى الفترة من ١٩١٢ إلى ١٩٣٢م.

والدته : زينب ابنة عطا المنان الحسين من «برى المحس» فهى محسية ولها علاقة رحم مع والده فوالدتها «العازة مضوى ود مقاوة» ووالدة الشيخ ابى القاسم هى زينب ابنة مقاوة.

والشيخ هاشم أبو القاسم ينتسب لقبيلة الهاشماب وهى أسرة من أسر قبيلة الجودلأب وهم أبناء عمومة آل سليمان حسين بن على الملقب بـ «الختام» وهم ـ أى الهاشماب ـ ينتسبون لجدهم أحمد هاشم وهى أسرة يصعد بها النسب فى قبائل الجعليين إلى «جاد الله بن عبد العلى بن عرمان بن صنوان» حتى «إبراهيم الهاشم» الملقب بـ «جعل» والذى ينتهى إليه نسب جميع قبائل الجعليين.

ولد الشيخ هاشم أبو القاسم بأم درمان بمنزل والده الكائن ـ آنذاك ـ غرب «بوابة عبدالقيوم» حيث كان والده يعمل لدى خليفة الإمام المهدى، وكان ميلاده فى الأول من رمضان عام ١٣١٢هـ الذى يوافق الحادى عشر من نوفمبر عام ١٨٩٤م، وهو ثانى إخوته الستة «أشقائه».

تزوج من ابنة عمه «آمنة ابنة يوسف أحمد هاشم» في عام ١٩٢١م «ببرى المحس» وسكن بها هناك، وظلت هذا الزيجة حتى وافتها المنية بمدينة «شندى» التى كان يعمل بها قاضياً شرعياً ـ في عام ١٩٤٠م ـ وله منها بنت واحدة هى «فاطمة» وستة ابناء هم: (أحمد، وصالح، وأبو القاسم، ومحنمد بدرالدين، وعلى، ومحمود).

وفى عام ١٩٤١م ـ بعد عودته من شندى ـ تزوج ابنة عمه «رقية ابنة إبراهيم أحمد هاشم» وله منها أربع بنات هن: (سعاد، وبتول، زينب وأسماء) وأربعة ابناء هم: (إبراهيم، وخالد، ومحمد، ومصطفى) واستمر زواجه من زوجته الثانية مقيماً «ببرى المحس» حتى وفاته.

المطلب الثاني : نشأته وبيئته :

نشأ الشيخ هاشم أبو القاسم بين أهله وذويه بأم درمان حتى بلغ الرابعة من عمره فانتقل مع أبيه ـ بعد انتهاء دولة المهدية واستعمار السودان من الحكم الثنائى عام ١٨٩٨م ـ إلى مدينة سنار حيث عين والده قاضياً شرعياً بها. كان لانتقاله إلى مدينة سنار أثر فى زيادة خبرته فى معرفة الناس وحسن معاشرتهم لما كان يتمتع به والده من احترام وتقدير لدى الجميع، فنشأ صادقاً ودوداً محباً للناس ومعاشرتهم.

عاش فترة حياته الأولى هذه وهى فترة طفولته فى نهاية الدولة المهدية وبعيد استقلال السودان من الحكم الثنائى الاستعمارى فى بيئة مشبعة بالعلم والدين والتقوى.

وبعد أن توفى والده عاش مع أسرته فى مدينة «برى المحس» بالخرطوم ثم تنقل فى ربوع السودان المختلفة مكتسباً خبرة ودراية من هذه الأسفار. ولقد كان للبيئة التى نشأ فيها أثر كبير فى بناء شخصيته الفذة فقد كان أبوه عالماً من أفذاذ علماء السودان تولى مشيخة علماء السودان فكان لابد أن يترك أثره فى أبنائه سيما ابنه هاشم الذى ظهرت بصمات تأثره بالبيئة التى نشأ وترعرع فيها واضحاً فيما بعد مما جعله يتميز عن أقرانه بالذكاء الوقاد والفكر الثاقب، وقد تأثر بكل الأحداث العظام التى عاصرها فى السودان كما كان له دور مقدّر فيها.

المطلب الثالث : تعلمه :

اختلف تعلم الشيخ هاشم عن سائر الذين تولوا مشيخة معهد أم درمان العلمى. فيكاد يكون هو أول شيخ يتولى مشيخة المعهد ويكون قد تلقى تعليماً منظماً منذ بدأ تعلمه.

فبعد أن تلقى تعليماً أولياً على يد والده حيث قرأ عليه القرآن الكريم ادخل ابتدائية سنار وأكمل المدرسة الابتدائية بمدينة « ود مدنى » عام ١٩١١م. ومن ثم أرسله والده إلى القاهرة فى نفس العام والتحق بالأزهر الشريف وتلقى هناك دروساً فى النحو والعلوم الشرعية حتى حصل على الشهادة « العالمية » بعد تسع سنوات دراسية وكان تقديره « جيد جداً » في العام ١٩٢٠م. وكان عمره آنذاك ستاً وعشرين سنة.

المطلب الرابع : جهوده العلمية وتلاميذه :

بعد عودته من القاهرة عام ١٩٢١م عين مدرساً بقسم القضاء الشرعى بكلية غردون التابع آنذاك إلى إدارة المعارف السودانية، ولما رأت الحكومة من مؤهلاته العلمية وقدراته عينته ناظراً للقسم القضائى، وفى عام ١٩٣٦م رأت الحكومة أن يتبع القسم إدارياً للقضائية بدلاً عن المعارف فتغيرت وظيفته إلى قاضٍ شرعى.

رُقى فى عام ١٩٤٠م ونقل من القسم القضائى قاضياً شرعياً فى مدينة شندى ثم عاد إلى الخرطوم فى عام ١٩٤٣م وعين عضواً بالمحكمة الشرعية العليا ومفتشاً للمحاكم وظل بهذا المنصب إلى عام ١٩٤٦م.

فى عام ١٩٤٧م صدر قرار بتعيينه مفتياً للسودان ونائباً لقاضى القضاة والذى كان آنذاك أحمد الطاهر وهو أول سودانى يتبوأ هذا المنصب.

بعد أن احيل أحمد الطاهر - قاضى القضاة - إلى المعاش كان من المتوقع أن يتولى هذا المنصب الشيخ هاشم إلا أن موقفه الذي حدث مع أحد مساعدى السكرتير القضائى فى الحفل الذى كان يؤمه عدد من الناس حيث جرى ذكر المعهد العلمى فتحدث عنه مساعد السكرتير القضائى بشئ من الاستخفاف مما أغضب الشيخ هاشم فانتفض متحدثاً فى حدة وغضب واتهمه بأن الحكومة تهتم بكلية غردون وبالتعليم المدنى وتحارب التعليم الدينى لذلك أهملت المعهد العلمى.

تطور هذا الحدث وتناقلته الصحف وأحرج الحكومة وفوجئ الكل فى عام ١٩٥٠م بتخطى الترقى للشيخ هاشم فقد عُين بدلاً منه أحد مفتشى المحاكم الشرعية قاضياً للقضاة. لذلك لم يكن من الشيخ هاشم إلا أن تقدم باستقالته من العمل رداً على هذه الاهانة.

شعرت السلطة الحاكمة أنها أدخلت نفسها فىَ حرج ومأزق فأخذت تسعى للخروج منه وبعثت الوسطاء ونشطوا فى هذا الأمر فعرضوا على الشيخ هاشم أن يتولى مشيخة المعهد العلمى وقد علموا حبه الشديد للعلم وكرهه الشديد للسياسة فقالوا له إن وظيفة قاضى القضاة تجعله بحكم منصبه لصيقاً بالسلطة خاصة بالسكرتير القضائى وعرفوا أنه يكره ذلك.

وأخيراً قبل الشيخ هاشم منصب شيخ العلماء بالمعهد العلمى حيث عين عام ١٩٥١م فى هذا المنصب ليكمل ما بدأه والده فتعهد المعهد بجهده وعرقه حتى انتشر خريجوه فى طول البلاد وعرضها فأسسوا المعاهد العلمية على غراره حتى أسلموها إلى الحكومات الوطنية واستمرت مشيخته للمعهد فى فترة عصيبة هى فترة نمو وتطور الحس الوطنى فى السودان فقد أصبح مؤتمر الخريجين قوياً وقد توجه طلاب المعهد وجهة وطنية فأسهموا فى زيادة الحس الوطنى وتنميته لدى السودانيين، وكانت تلك الفترة قبل نيل الاستقلال بعام واحد وهى التى استمرت منذ العام ١٩٥١ - ١٩٥٥م.

ربطت الشيخ هاشم صلات قوية مع كل أهل أم درمان إلى أن توفى ورغم أنه لم يعش بأم درمـــان إلا الأربع سنوات الأولى من حياته حيث كان يعيش فى برى المحس ويتعهد مسجد برى المحس برعـايتـه وبالصـلاة فـيـه وإلقـاء الدروس فـيـه وكـان عـمـيـداً لأسـرة الهاشماب بعد وفاة والده.

أما تلاميذ الشيخ هاشم فهم كثر حيث تتلمذ على يديه أجيال وتلقى المعرفة عليه رهط من المشايخ والعلماء والقضاة، فقد تتلمذ عليه وهو مدرس بمدرسة القضاء الشرعى بكلية غردون عدد من القضاة فيما بعد وكذلك درس عليه وهو شيخ للعلماء بالمعهد العلمي جـيـل من الســودانيين ولو أردنا حـصـر طلابه لكان ذلك عسيراً لكثرتهم فنذكر منهم الشيوخ :

١ / على عبدالرحمن الأمين الضرير.
٢ / محمد أحمد الموضي.
٣ / الطاهر عبدالرحمن الاقرع.
٤ / عبدالماجد على أبوقصيصة (قاضي القضا فيما بعد).
٥ / سراج الدين محمد الأمين (قاضي القضاة).
٦ / عوض الله صالح (مفتى جمهورية السودان فيما بعد).
٧ / عمر عبد الرحمن الخواض (قاضي القضاة فيما بعد).
٨ / بابكر أحمد أبوشيبه.
٩ / الشيخ الجزولى (قاضي القضاة فيما بعد).
١٠ / الرشيد نايل.

المطلب الخامس : نشاطاته العامة وأعماله الأخرى :

لم يشتغل الشيخ هاشم أبو القاشم بالسياسة وأمورها على عكس ما فعل بعض أقرانه ومن سبقوه من القضاة الذين تخرجوا فى كلية غردون أو غيرهم وكان حبه للعلم يصرفه عن تلك الأمور، وقد كانت له نشاطات عملية تضاف إلى نشاطاته العلمية المتمثلة فى توليه لعدة مناصب فى سلك القضاء الشرعى حتى صار مفتياً للديار السودانية ونائباً لرئيس القضاة ثم تولى مشيخة معهد أم درمان العلمى وبالرغم من انشغاله فى هذه الأعمال ظل يقيم وبصفة مستمرة حلقة للدرس بمسجد برى المحس حتى وفاته.

بعد أن ترك الشيخ هاشم مشيخة المعهد العلمى عام ١٩٥٥م صدر قرار وزير العدل بتعيينه مديراً لمصلحة الشؤون الدينية ابتداءً من ١ / ١٢ / ١٩٥٥م وظل مديراً لها حتى وفاته.

المطلب السادس : وفاته :

بدأ المرض ينتابه منذ مطلع عام ١٩٥٧م وهو مدير للشؤون الدينية، فأدخل مستشفى الخرطوم ومكث به اسبوعين وخرج، وبعد اسبوع واحد فقط أعيد للمستشفى ليمكث فيه شهراً ونصفا وخرج منه، في يوم ٣٠ مارس ١٩٥٧م. أدخل للمرة الثالثة المستشفى وأشتدت به وطأة المرض رغم ما كان يبذله الأطباء الذين يشرفون على علاجه (د. محمد الحسن أبوبكر ود. عبد الحميد صالح ود. عبدالحليم محمد) من جهد إلا أنه توفى فى ضحى يوم الثامن والعشرين من رمضان عام ١٣٧٦هـ الموافق الثامن والعشرين من شهر أبريل عام ١٩٥٧م وقد شيعه جمع غفير من أهله المحس والجودلأب وأخوانه وطلابه وفى مقدمة من حضر التشييع والدفن السيد إسماعيل الأزهرى رئيس الوزراء آنذاك والسيد محمد أحمد أبورنات رئيس القضاة والسيد ميرغنى حمزه وزير المالية ورجالات المعهد العلمى وشيوخه وتلاميذه وموظفوه وعمال مصلحة الشؤون الدينية والنائب العام.

القسم الثاني

ليلة التوثيق

ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : تقديم.

المطلب الثاني : برنامج الليلة.

المطلب الثالث : كلمة الجامعة.

المطلب الرابع : كلمة أسرة الشيخ.

المطلب الخامس : خواطر وكلمات ألقيت في الليلة

المطلب الأول : تقديم :

فى مساء يوم الثلاثاء الثالث عشر من محرم من عام ستة عشر وأربعمائة وألف للهجرة (١٣/١/١٤١٦هـ) الموافق الثانى عشر من يونيو من عام خمسة وتسعين وتسعمائة وألف للميلاد (١٢/٦/١٩٩٥م) وبقاعة الإمام مالك ابن أنس بمبانى الجامعة بالعرضة كانت الليلة السابعة من سلسلة ليالى توثيق حياة علماء جامعة أم درمان الإسلامية وهي لتوثيق حياة الشيخ هاشم (أبوالقاسم) أحمد هاشم. وقد حضرها جمع غفير من المسئولين بالدولة، ومديرى الجامعات وشيوخ الطرق الصوفية وأسرة الشيخ هاشم (أبو القاسم) وأساتذة وطلاب وطالبات وموظفى وموظفات جامعة أم درمان الإسلامية وعدد كبير من المهتمين بتاريخ السودان وعدد من مراسلى الصحف ووكالات الأنباء.

وقد شارك في هذه الأمسية عدد من العلماء والأدباء ومعارف الشيخ وطلابه ومحبيه والمهتمين بشئون العلم والسودان. وقد كان لمشاركتهم الأثر الطيب في إنجاح الأمسية وفي امتاع وافادة الحضور وفي اضفاء البهجة والمسرة في نفوسهم. وقد تدارست اللجنة أمر تضمين هذا الكتاب جميع المساهمات ولكن لاعتبارات فنية اختصرنا على جزء من هذه الكلمات في مقدمتها كلمة الجامعة وكلمة الأسرة. واستفدنا من بقية المساهمات في تلخيصنا للمعلومات التي أوردناها في القسم الأول عن هذا الشيخ.

المطلب الثاني : برنامج الليلة :

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ كلمة الجامعة ــ بروفيسورعلى أحمد محمد بابكر مدير الجامعة.

٣ـ كلمة الأسرة ــ الرائد معاش أبوالقاسم هاشم.

٤ـ كلمة الأستاذ محمد البخيت البشير.

٥ـ كلمة الأستاذ عبدالعزيز شدو.

٦ـ مدائح نبوية ــ إسماعيل حسب الدائم.

٧ـ خاطرة ــ المهندس الصافى جعفر.

٨ـ كلمة منطقة برى المحس.

٩ـ إنشاد دينى ــ الأستاذ أحمد المبارك.

١٠ـ خاطرة ــ الشيخ الشيخ الجزولى.

١١ـ خاطرة ــ بروفيسور الهادى النور.

١٢ـ كلمة ــ الأستاذ عز الدين الحافظ.

١٣ـ القرآن الكريم.

المطلب الثالث : كلمة الجامعة :

قدَّمها البروفيسور على أحمد محمد بابكر مدير الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله خاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأخ الكريم أبو القاسم محمد إبراهيم، الأخ الكريم أبو القاسم هاشم

أسرة الشيخ هاشم أبو القاسم.

الأخوة الكرام ضيوفنا من المسئولين فى المواقع المختلفة، أسرة الجامعة الإسلامية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

نلتقى اليوم فى منبر جامعة أم درمان الإسلامية، قاعة الإمام مالك، لنواصل لقاءاتنا التى بدأناها منذ فترة، توثيقاً لحياة العلماء الذين قادوا جامعة أم درمان الإسلامية فى ماضيها وثبتوا أركانها وخاضوا بها غمار الحياة مستعينين بالله متمسكين بقيم الإسلام فى المجتمع.

نلتقى فى هذا المكان لنوثق لرجل بذل جهده فى تثبيت ورعاية هذا الصرح الكبير نسأل الله أن يدخله فسيح جناته وأن يجعل البركة فى عقبه وفى عمله وأهله. ونترحم على كل الذين

سبقوا وندعو لهم بالغفران. وندعو الله أن يوفقنا لنتبع الطريق المستقيم، ولنستجيب لداعى الله ولنقضى العمر جهاداً وعملاً تثبيتاً لأركان هذا الدين. فما كانت هذه الجامعة إلا لخدمة المسلمين والإنسانية عامة.

نلتقى هذا المساء لنتذكر محاسن الشيخ هاشم أبي القاسم وكما هو واضح فهو ابن الشيخ أبى القاسم أحمد هاشم، فهو سليل أسرة علم وعمل. وقد احتفلنا بأبيه فى اللقاء الثانى من هذه السلسلة من اللقاءات.

سيرة الشيخ تذكرنا بالصلة بين الأقطار الإسلامية وبين الأمة الإسلامية فأثر البلدان الإسلامية وأثر الأزهر فى السودان الذى بدأ فى نهاية القرن السادس عشر عندما ذهب إليه أولاد جابر(١) وعادوا ينشرون العلم فى السودان.

أثر الأزهر امتدَّ مروراً بأول شيخ تحدثنا عنه الشيخ محمد البدوى إلى الشيخ هاشم أبى القاسم، كانت البلاد الإسلامية تحاول أن تكون بلداً واحداً وأن تتمسك بالإسلام.

يذكرنا هذا بالحبل المتين الذى يصل الأمة الإسلامية فما كان هناك فرق بين مصر والسودان.

---

(١) أولاد جابر هم: ابراهيم (البولاد) واسماعيل، وعبدالرحمن، وعبدالرحيم وفاطمة، كلهم علماء بما فيهم شقيقتهم فاطمه، عاشوا بجزيرة (ترنج) في شمال السودان قرب مدينة كريمة بمحافظة مروي (نبته القديمة)، ونشروا العلم والدين في أنحاء السودان، وقبورهم موجودة الآن في نفس الجزيرة.

وكـان السـودانيـون يتـشـوقـون للذهاب إلى مـصـر. وكـان المصريون يتوقون للقدوم للسودان. ونحزن عندما نلحظ أن الأمة الإسلامية كلما امتد بها الزمان تزداد تفرقاً وتمزقاً حتى العلم الذى كان يبذل فى الأمة الإسلامية أصبح الآن تعترضه الحواجز من الشروط الكثيرة والمعجزة. ليكون ذلك حائلاً دون تلقى أبناء المسلمين العلم.

عندما نتكلم عن الشيخ هاشم أبى القاسم فإن ذلك يذكرنا بفترة حاول الإنجليز فيها أن يمنعوا العلماء من الذهاب للأزهر، ولكن العلماء بذلوا جهدهم، فأثمر ذلك الجهد وكان من ثماره أن ذهب هاشم أبو القاسم للعلم فى مصر وبعد عودته تولى فى ظروف صعبة قيادة هذه الجامعة. كان الإنجليز يضعون أمامه العراقيل وهم يحكمون السودان، وكانوا غير راضين عن عمل هذا الشيخ.

يحكى الشيخ محمد المبارك فى كتابه «تاريخ التعليم الدينى فى السودان» عن الفترة التى تولى فيها الشيخ هاشم يقول: «إنه عند ما انتهت فترة الشيخ أبى شامه عبدالمحمود كان من المتوقع أن يتولى الشيخ محمد المبارك مشيخة المعهد العلمى ولكن تم تعيين الشيخ هاشم أبي القاسم فعمل معه الشيخ محمد المبارك» وهذا يشير إلى إنكار هؤلاء الشيوخ لذواتهم وتجردهم. وفى عهد الشيخ

هاشم وقعت أحداث كبيرة فى العالم وفى السودان هذه الأحداث التى حدثت انعكست آثارها على المؤسسات ومنها المعهد العلمى وكان العمل وسط تلك الأحداث يحتاج إلى الحكمة وكان الشيخ هاشم أبو القاسم يتحلى بتلك الحكمة.

خواطر كثيرة تدور فى الذهن فى تلك الفترة الحرجة التى تولى فيها الشيخ هاشم مشيخة المعهد العلمى.

وقد درَّس الشيخ هاشم أبو القاسم أجيالاً من الطلاب، كانوا يقتدون به وبنهجه وحكمته.

نكتفي بهذه الكلمات المختصرة ونترك التفاصيل لكملة الأسرة ولخواطر العلماء ندعو الله إلى أن يجعل هذه الليلة ليلة مباركة، وأن يقدّر لهذه المؤسسة مساراً موفقاً فى خدمة الإسلام والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

المطلب الرابع :

كلمة الأسرة قدمها الرائد معاش أبو القاسم هاشم *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وعلى آله وصحبه أجمعين .

الأخ العزيز عبدالعزيز شدو النائب العام .

الأخ العزيز وزير التخطيط الاجتماعى .

الأخ البروفيسور على أحمد محمد بابكر مدير جامعة أم درمان الإسلامية .

الأخوة الضيوف .

يشرفنى أن أقف أمام هذا الحفل العظيم متحدثاً باسم عائلة الشيخ هاشم طيَّب الله ثراه .

وإن أردت أيها الأخوة أن ابدأ بالشكر على ما وصل إليه تاريخنا الدينى والذى أثمر ثمرة يانعة من ثمراته ألا وهى جامعة أم درمان الإسلامية الشامخة العظيمة فلابد لنا أن نبدأ أولاً بشكر الرواد الأوائل الذين تغلبوا على المشاكل فى سبيل إرساء قواعد سليمة لتعليمنا الدينى . . فالاستعمار الذى بلغت ذروة هجمته الشرسة فى مطلع القرن العشرين ما احتل بلداً واستعمرها إلا وسعى لنشر سياسات وسن قوانين تكفل استمراريته فى إحكام قبضته على هذه البلاد وتنهب ثرواتها . والسودان تعرض لظلم

* عضو مجلس القيادة في فترة مايو / رئيس مجلس الشعب حينها وقد تولى مناصب عدةرسمية وشعبية

المستعمر وقد واجه هذه الهجمة الشرسة وواجه مخططات الاستعمار فى ذلك الحين والتى تكمن فيما يفرق أهل البلاد .. وعمل المستعمر ذلك بحسب ظروفه التي اتيحت له .. وفى السودان الشاسع المساحة .. المترامى الأطراف لم يغب عن فطنة الاستعمار أن هذا البلد باختلاف ضروب أهله قد جمعت ووحدت بينهم كلمة الإيمان وتمسك الناس بدينهم الإسلامى عقيدة ومسلكاً. والغالبية العظمى من سكان هذه البلاد رغم تباينها يجمع بينها هذا الدين وتراثه الحضارى المتمثل فى لغته العربية .. لذلك فطن الاستعمار بالتركيز على تفريق الناس لا جمعهم، وتفريق كلمة المسلمين وكان يعرف أين موقع القوة فى هذا البلد لذلك اتخذ من السياسات الظاهرة والمستترة ما يحقق سياساته.

ويشكر لشعبنا أنه قاوم المستعمر بالاحتكام للدين، فى تلك الظروف هبَّ علماء أجلاء من صلب هذا الشعب ودافعوا عن دينهم وأمتهم وانشأوا المساجد رغم الظروف الصعبة.

إن ما نراه اليوم كابد هؤلاء العلماء الافذاذ مصاعب كثيرة فى سبيله ونحن نجنى ثماره اليوم.

وتكريم الجامعة الإسلامية لشيوخ الإسلام هو تكريم للنخبة التى قادت العلماء فى تلك الحقبة الصعبة فى حكم الاستعمار حتى نهاية الحرب العالمية الثانية فواجهوها دون سند إلا إيمان أبناء

شعبهم بما شرعوا فيه ومساندتهم فيه بالجهد المادى.

ذلك كان الحال، وعليه ما ابتدرته الجامعة الإسلامية من تكريم للعلماء هو فى الحقيقة تكريم للعلم والدين والتاريخ فى هذا البلد وهى سابقة اختطتها الجامعة الإسلامية نأمل أن تتبعها فيها كل جامعاتنا، فتوثيق التاريخ بأسس علمية وبواسطة علماء أجلاء قد بدأ هنا ومن هذه اللقاءات ومن خلال هذا الصرح العتيق.

كلنا يعلم القصور فى تاريخ السودان وكلنا يعلم مدى الجهد الذى بذله البعض فى تحقيق المعلومات التي وردت ونعلم أنه جهد كبير.

التاريخ علم أساسى فى حياة الإنسان والإنسانية، والاستعمار ضيَّع الكثير من الحقائق فارتفعت هامات نالت حظها بواسطة الرعاية وكثير من الناس الذين عملوا لنهضة هذا البلد قد طمست ذكراهم وكلهم بادروا بالعمل فى مجال صعب فيه العمل فى تلك الظروف.

والدنا هاشم كان ممن شاركوا فى هذا الميدان تدريساً بالشريعة فى كلية غردون ثم شيخاً لعلماء السودان وعند اختياره لقيادة مصلحة الشئون الدينية بعد تكوين أول حكومة وطنية عمل فى صمت ودهب فى صمت، وأنا أحد أبنائه كان لى شرف معاصرته والأخ الدكتور خالد هاشم وضع مذكرة بها كل المعلومات عن والدنا الشيخ هاشم.

فالجامعة الإسلامية نعدها بمدها بما تريد من المعلومات التى تحتاج إليها وليس لنا فى هذا العمل أكثر من ذلك وهم أهل المبادرة وهم العلماء وهم الذين يريدون كتابة التاريخ أكثر منا ونحن أيدينا فى أيديهم.

لابد أن أشيد بالرجل الذى رباه وعلّمه وأوصله إلى ما وصل إليه وهو مولانا الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم الذي أنشأ جامع أم درمان العتيق وبذر فيه البذرة الأولى للمعهد العلمى ونظم المناهج وشارك فى التدريس ورغم المصاعب استطاع أن يبعث العديد من أبنائه لتلقى العلم فى الأزهر الشريف اذكر أنه بعث ابنه هاشماً وهو ابن تسعة عشر عاماً لينهل من الأزهر ويعود بالشهادة العالمية بدرجة الامتياز.

أيها الأخوة

يمكننى أن أعدِّد الكثير ولكن كما ذكرت فقد كتب الأخ خالد(١) كل جوانب حياة والدنا الراحل.

ولا أود أن اطيل ..

الشكر لكم جميعاً على مشاركتكم لنا هذا الحفل الذى شرفتنا به الجامعة الإسلامية. والشكر موصول لإدارة جامعة أم درمان الإسلامية ومن سار على الدرب وصل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

---

(١) خالد هو : ابن الشيخ هاشم أبوالقاسم أحمد هاشم وهو طبيب.

المطلب الخامس : كلمات وخواطر :

كلمة الأستاذ محمد البخيت البشير ★

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على المصطفى سيد المرسلين.

لعل رابطة هذا اللقاء تنطلق من مفهوم دينى واضح ومعلوم عند كل الناس حيث إننا نعدد محاسن أحد رجال الدين والعلم والمعرفة والسياسة، فإن هذا من الدين ﴿ اذكروا محاسن موتاكم ﴾ وحينما مرت بالرسول (ﷺ) جنازة ونعتها الصحابة بصفات جميلة .. قال: وجبت فسئل ما هى فأجاب: الجنة.

هذه الليلة لرجل من رجال العلم والسياسة وكلمة السياسة قد تثير بعض الناس لأن شيخنا لم يكن سياسياً ونحن نعنى بالسياسة جانباً معيناً وما فعله فى الجامعة الإسلامية كانت رؤاه سياسية أن تكون للجامعة قيمة عالية فى الزمان حيث تسيِّر المجتمع على السلوك الإسلامى الرفيع ولعل هذا مضمون رفيع لمعنى السياسة ونحمد الله أنه لم يختر قاضياً للقضاة لأنه لو اختير ما كان لهذه الليلة أن تقام على شرف ذكراه.

★ الأستاذ محمد البخيت البشير، تخرج في جامعة ام درمان الإسلامية ١٩٦٦م، عمل أميناً لأمانة الدعوة بوزارة التخطيط الاجتماعي ثم أستاذاً في جامعة القرآن الكريم ومديراً لمركز الطالبات.

هذا الشيخ الجليل الذى نبت فى أسرة كريمة مشهود لها بالتقوى لابد أن تخرج رجالاً صالحين كأمثال هذا الرجل المبارك الطاهر العارف بالله عزّ وجل.

ونحن إذ نقف هذه الوقفة لنتحدث عنه لا نريد أن نقول كان كذا وكذا فتلك صفات ذهب بها إلى جوار الله مرضياً فقد حرَّر وجدانه بعدم مخافة الإنجليز، وقدَّم الاستقالة وهو يعلم مردودها العنيف من الحاكمين ورفض الذل والخضوع والانكسار غير معتمد على خطة الإنجليز ووضعه فى مكان عظيم عندهم ومن هذا الموقف ينبغى أن نرتوى ونستقى وأن نتمسك بمنهجه من حيث تحرره الوجدانى وعدم مخافته من كل باغٍ .. فلقنها للأجيال فى طهارة وعزة لا تضاهيها عزة لتشب الأجيال عبر التاريخ.

كان يقوم بتعليم الدين فى مواده المختلفة من الفقه والحديث والسيرة وغيرها، ونحسب أنه يريد للناس منهجاً يتكئ صاحبه على معرفة بقيم هذا الدين التى تغرس فى الإنسان روحه التى تجعله مرتبطاً بالله.

هذا الحفل بصمة من بصمات ذلك الشيخ الوقور نحسب أن هذا اللقاء يعيد الذكرى لأهل المعرفة والعلم ليبذلوا الكثير حتى يختطوا لأنفسهم تاريخاً نقياً طاهراً وكريماً لتتخذه الأجيال من بعدهم قدوة حسنة .

ولعلّ شيخنا يرحمه الله كان يتفرد عمّن سواه أنه كان متواضعا. والله تعالى رفع شأنه الآن وقبل ذلك، فالتواضع إذا تحلّى به الإنسان جعله الله له رفعةً. هذا تواضع لله بمعرفة وتلك وقفة ينبغي أن نستقي منها معانٍ نستعين بها على صروف الدهر.

ونحن إذ نرى الجامعة تقوم بهذا المظهر الطيب الكريم فليس ذلك بغريب عليها فقد حاولت أن تؤصل لهؤلاء العلماء الذين قدموا الكثير للسودان وإشراقة الإسلام انطلقت من هؤلاء الرجال الذين جابهوا الاستعمار بالصبر والإيمان واستطاعوا أن يضعوا للأجيال لوحة لا تمحى على صفحات الدهر.

فالشكر لهم وللجامعة أم درمان الشموخ والعزة والمعرفة.

كلمة الأستاذ عبد العزيز شدو ★

الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

اعتبرها بادرة حسنة وطيبة تحتفى بالتراث الإسلامى فالشيخ هاشم أعطى الكثير للعلم وللبلاد. فقد أبان المهندس الصافى جعفر ببلاغته وحدثنا عن كفاح ذلك الجيل .. وحقيقة الظروف التى أعطى فيها الشيخ هاشم للعلم كانت ظروفاً اضطهدت فيها الشريعة وكان هناك تمييز واضح فى الهيئة القضائية عام ١٩٥٥م يتجلَّى فى الصراع بين القضاء الشرعى والمدنى ولم يكن الصراع يدور بين القطاعين لكن الاستعمار فرض قانونه على الشريعة لذلك يتعامل معها كقانون من الدرجة الثانية والقانون الأول كان القانون الإنجليزى.

حقيقة معركة شيوخنا كأمثال الشيخ هاشم كانت معركة فى ظروف قاسية والشيخ هاشم حورب من الإنجليز عن قصد وأحمد الله أنه عمل فى تعليم تلك الأجيال التى نشرت الشريعة الإسلامية وطبقت الشريعة فى هذا الوطن ويكفيه تلاميذه أمثال المرضي وسراج ومجذوب كمال الدين ومولانا الشيخ عوض الله صالح وكلكم يعلم ما أعطاه الشيخ عوض الله لهذا الوطن.

★ الأستاذ عبدالعزيز شدو هو القانوني البارز وقد تولى منصب وزير العدل ونائب رئيس المجلس الوطني وله نشاطات واسعة.

والذين تخرجوا على يد الشيخ هاشم هم قمة القضاء الشرعي ويكفيه فخراً أنه قد خرَّجهم.

شيخنا لم تنقطع صلته بهذه الدنيا لأنه ترك علماً نافعاً ينتفع به وخير مثال هذه الجامعة وهي في اعتقادى من أعظم الجامعات في المناهج الإسلامية والدراسات الإسلامية وهي من مآثره ويكفيه أنه ترك ذرية صالحة أعطت الكثير لهذا الوطن.

حقيقة نفخر بأبناء الشيخ هاشم وبالعلاقة التى ربطت بيننا وبينهم .. ونحن في الهيئة القضائية لم نلحق بركبه فيها لأننا التحقنا بها عام ١٩٥٧م وذهب هو عنها عام ١٩٥٥م.

الشكر لجميع الذين شاركوا في هذا التوثيق وهي سنة نأمل أن لا تكون جامعة أم درمان الإسلامية وحدها هي التي تقوم بها بل كل المؤسسات تعمل نفس العمل.

وهي كما وصف المهندس الصافى جعفر ليلة من ليالى الدين.. نتمنى أن نواصل العمل حتى يجد كل من عمل لهذا البلد تكريمه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

خاطرة المهندس الصافى جعفر الصافى★

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

إن أهم ما يميز الإسلام الشموخ والناس الذين رفعوا رايته أكيد أن لهم شموخاً.

هذا يوم من أيام الله، لأنه يوم بر، ومكرمة ومعرفة لأقدار الرجال وأنا فخور بما اختطته الجامعة الإسلامية من زمان وهى تكرِّم هؤلاء العلماء الذين أغنوا حياتنا الفكرية والمنهجية.

نعتقد أن اخواننا فى الجامعة الإسلامية يستحقون أن نشاركهم فجزاهم الله خيراً .. أحدثوا هذا المنبر وأخرجوا هذه الكنوز وحافظوا على التراث وعضوا عليه بالنواجز وهذا موقف مثالى متفرد زى ما قال سبحان الله الحرب كانت شديدة تجاه أى شئ يمت إلى هذا الدين .. اللغة العربية ـ علوم القرآن ـ ونعتقد الذين رفعوا هذه الراية مؤكد أجرهم مضاعف عند الله تعالى.

أمنيات تعتمل فى صدور الشباب سبقهم هؤلاء الأشياخ الذين عضوا بالنواجز على هذه القضية.

★ المهندس الصافي جعفر، تخرج من جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا قبل أن تأخذ هذا الاسم، وهو مدير مشروع سندس الزراعي، له برامج إذاعية وتلفزيونية، ويكتب في الصحف المختلفة في السودان، وهو شاعر وأديب.

الحمد الله الذي أتاح للسودان هذا المناخ الذى يجعل أهل القرآن يشمخون .. المناخ الذى يجعل القرآنى جامعة ويجعل علوم الإسلام جامعة ويجعل الناس يفكرون فى الضوء ويحييون ذكرى هؤلاء العلماء.

فنحمد الله على ذلك والحقيقة أنى لم أنعم بمعرفة الرجل ومن المؤكد أن من يفوته شرف معرفة الرجال الأفاضل لهو فقد لا يعوض لكنى عرفت ثلة من أبنائه ولعل أهلنا الهاشماب أسرة لا تكاد العين تخطئها فى مجال الحياة العامة.

شكراً لرجال الجامعة الإسلامية لهذه الوقفة فى زمان عز فيه الوفاء جاءوا يرفعون شأن الرجال الذين قادوا لواء الدعوة فى بلادنا من الذى يزرع الفيافى مغبراً وبه كبرياء الفتى الفقير فى الخمسينات تناولوا المسيد والآخرون يدفنون رؤوسهم فى الرمال فنحمد الله أن جاءت هذه الليلة المباركة تواكب أمر الهجرة إلى الله. جئنا فى شهر الهجرة نذكر أخاً لنا كان ضمن الفيالق التى هاجرت إلى الله وأعانت الناس على الهجرة علماً وحديثاً.

غفر الله للشيخ وجعل البركة فى عقبه وفى أهل السودان وشكراً لاخوتى فى الجامعة الإسلامية مرة أخرى على هذا النسق من الوفاء وفى محاولة الشموخ بما نملك لأنه يورثنا الغزة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

كلمة الأستاذ عز الدين الحافظ *

بسم الله الرحمن الرحيم

السادة الوزراء، السادة العلماء وعلى رأسهم البروفيسور على أحمد محمد بابكر مدير جامعة أم درمان الإسلامية.

الأخوة الحضور:

أحييكم بتحية الإسلام الخالدة: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته،،

واسمحوا لى أن اشكر لجامعة أم درمان الإسلامية معقل العلم ومنبع النور ووريثه أول جامعة إسلامية بالسودان أنعم الله بها على هذا الشعب المسلم منذ أكثر من مائة عاماً. واعنى بها المعهد العلمى السابق بأم درمان تلك المنارة العلمية التى اهتدت بهدى الأزهر الشريف وحفظت لهذه الأمة دينها وخلقها وظلت شعلة من شعل الوطنية تقود النضال الوطنى رغم ما لقيت من عنت الدهر وظلم المستعمر البغيض.

لقد سنت هذه الجامعة الإسلامية سنة حسنة حميدة حيث أخذت توثق وتسجل تاريخ قادة المعهد العلمى الأب الشرعى لها. وهى تقدم بذلك خدمة للعلم. فقد أفنى أولئك العلماء ومشايخ المعهد أعمارهم فى نشر العلم والمعرفة ابتغاء مرضاة الله سبحانه

---

* تولى الأستاذ عز الدين الحافظ عمادة معهد تدريب المعلمات بأم درمان في الستينات، كما تولى منصب وزير دولة في وزارة التربية والتعليم في السبعينات.

وتعالى . وهى إذ تبدأ بتوثيق حياة السادة مشايخ المعهد العلمى إنما تؤكد أصالة هذا الشعب المسلم الذى ظل علماؤه يتوارثون العلم كابراً عن كابر منذ أن انتشر لواء الإسلام ورسخت أقدامه منذ قيام الدولة السنارية .

واشكر لها مرة أخرى أن دعتنا لهذا الحفل الذى أقامته تكريماً وتذكرة لحياة علم من أعلام العلم مولانا وصاحب الفضيلة الشيخ هاشم أبي القاسم طيب الله ثراه .

لا أريد أن أعرض لسيرته الذاتية فقد أوفاها ابنه الدكتور خالد حقها على أوثق المصادر وأوضح الاخبار .

ولكنى فقط أود إن سمحتم أن اكشف عن بعض جوانب من شخصية الشيخ الفذة بما لم يعرض له ابنه بشئ من التفصيل .

كان الشيخ هاشم أشبه الناس بأبيه الشيخ أبى القاسم أحمد هاشم فى منهجه وخلقه .

فقد كان أبوه محباً للعلم لا يفارق الكتاب صدره وكذلك كان ابنه وكان الشيخ أبو القاسم يغشى المجتمعات العامة وأعنى بها أندية الخريجين وأمثالها وكذلك كان ابنه، ولم يشتغل الشيخ هاشم بالسياسة كما فعل بعض أقرانه ومن سبقوه من القضاة الذين تخرجوا فى كلية غردون أو غيرها .

وبعد أن تخرج فى الأزهر الشريف فى عام ١٩٢٠م وحصل

على الشهادة العالمية عاد إلى السودان وعين معلماً بالقسم القضائى بكلية غردون فى عام ١٩٢١م ثم رئيساً للقسم أو ناظراً له وظل يعمل به قرابة العشرين عاماً حتى عام ١٩٤٠م ولم يكل أو يمل - ولم يبدِ رغبة فى الانتقال إلى العمل بالمحاكم الشرعية لينال حظه فى الترقى السريع. ولعل فى هذا أكبر دليل على حبه للعلم وتعلقه به ولعله كان يتمثل فى حياته قول والده الشيخ أبي القاسم وهو شعاره فى الحياة

وسائل الناس عنا إننا نجب
لنا التقى وسوانا اللهو واللعب
وفى المحامد لا يرجى لنا بدل
وما تعدى سوانا الظرف والأدب

بل لعله كان أكثر تمثلاً لشعار عمه الشيخ الطيب أحمد هاشم أول مفتٍ للسودان حيث يقول :

إن سار غيرى للهوان وللهوى
فإلى العلا والمكرمات أسير
أو سامر الناس الحسان جهالة
فسميرى القرآن والتفسير

لقد كان يأمل لو ساعدته الظروف فى هذا السودان المتطور أن يلحق جل أبنائه بالأزهر الشريف ولكن لم يتحقق ذلك الحلم

وتلك الأمنية إلا فى واحد من أبنائه هو المرحوم بدرالدين الذى تعلم بالمعهد العلمى رصيف الأزهر الشريف والتحق بجامعة القاهرة الفرع وعمل بوزارة الثقافة والاعلام، وقد كان عبقرية فذة.

لقد كان الشيخ هاشم محباً لمصر لا لهوى سياسى وهو رجل لم يعمل بالسياسة ولم تشغل فكره ولكن حبه للأزهر دفعه لحب مصر التى كان بيدها منارة العلم فى هذا العالم.

ولما أقفل قسم القضاء الشرعى بكلية غردون وانتقلت الدراسات فيما بعد إلى جامعة الخرطوم نقل الشيخ هاشم إلى المصلحة القضائية آنذاك وتدرج فى سلكها القضائى حتى تم اختياره مفتياً للسودان ونائباً لقاضى القضاة. وكان ذلك فى عام ١٩٤٧م.

ظل يعمل مفتياً للسودان وكان من المفترض أن يصبح قاضياً للقضاة كما جرت العادة حين تقاعد من كان يشغل المنصب آنذاك، وقد ظلت حكومة السودان فى ذلك الوقت تعتمد فى الترقيات الأقدمية العسكرية إلا فى حالات نادرة تلعب فيها السياسة دورها.

حدث أن أقيم حفل ضم بعض كبار القوم وضم الشيخ هاشم، وكان فى الحفل أحد مساعدى السكرتير القضائى آنذاك وتشعب الحديث وجرى ذكر المعهد العلمى بأم درمان. وأشار

مساعد السكرتير القضائى للمعهد العلمى ولا نذكر ما قال ولكن الذى نذكره ولا ننساه أن الشيخ هاشم قد انتفض متحدثاً فى حسرة وغضب وموجهاً حديثه إلى ذلك الرجل قائلاً له أنتم لا تهتمون بالمعهد العلمى بل تحاربونه وتقللون من قدر خريجيه إنكم قد اهتممتم بكلية غردون وبالتعليم المدنى ولكنكم حاربتم التعليم الدينى واهملتم المعهد العلمى وظل يتحدث فى هذا الأمر ويوجه حديثه القاسى إلى مساعد السكرتير القضائى الذى أصيب بالوجوم وأخذ يتلفت يمنة ويسرة وكأنه يستجدى الحاضرين لينقذوه من هذا المأزق الحرج وأخيراً حولت دفة الحديث إلى أمور أخرى وانتهى المشهد.

ولما خرج الناس علق بعضهم على هذه الحادثة وقالوا يبدو من ذلك أن الشيخ هاشم لن يصبح قاضياً للقضاة فقد اتضح لهم أنه رجل لا يعرف المجاملة فى الحق.

وحقاً فلم يكن الشيخ يقبل أنصاف الحلول إذا ما مس الأمر مسألة تتعلق بالدين فهو لا يعرف إلا أن الأسود أسود والأبيض أبيض وهو شبيه بوالده فى ذلك الخلق فهو لا يدارى ولا يمارى ولا يخادع. وكان بطبعه يكره المستعمرين ولا يحب مخالطتهم وقلَّ أن يلبى الدعوات العامة التى لا يشعر بأنه ملزم بحضورها بحكم منصبه.

لقد أسعدنى الله أن عشت معه بمنزله ببرى لفترة من الزمن وأنا طالب بالسنة النهائية بكلية غردون. ولاحظت أنه قل أن يغشى المجتمعات العامة إلا عند الضرورة أو لصلة الرحم، أو تلبية لدعوة من أحد الأخوان، أو الأقرباء - وأما فى المنزل فكان الكتاب لا يفارق صدره ورغم ذلك فقد كان شديد الحب لأبنائه كثير التعلق بهم.

لقد تحقق حديث الناس وفوجئ فى عام ١٩٥٠م بالتخطى فى الترقية فقد عين أحد مفتشى المحاكم الشرعية آنذاك وهو مولانا الشيخ حسن مدثر قاضياً للقضاة وكان ذلك أول خرق لنظام التسلسل الإدارى فى الحكومة وفى أعلى مستويات النظام الإدارى. فمنذ أن سودنت وظيفة قاضى القضاة فى السودان بعد انتهاء خدمة آخر من شغلها من المصريين وهو الشيخ نعمان الجارم وتولى أمرها أول قاضى قضاة سودانى وهو مولانا فضيلة الشيخ أحمد الطاهر كان الذى يخلف قاضى القضاة السابق مفتى السودان ونائب قاضى القضاة.

لذلك لم يكن أمام الشيخ هاشم غير الاستقالة من العمل فاستقال وأخذت كل الصحف تنشر الخبر فى أول صفحاتها بمانشتات كبيرة قائلة (المفتى يستقيل) وانبعث ذلك بالنقد والتعليق على سياسة الحكومة وتصرفاتها الحمقاء. ووجدت

الصحافة في ذلك منفذاً للهجوم على الاستعمار الذى أخذ يلفظ آخر أنفاسه. وانزعجت السلطة آنذاك وشعرت أنها أُدخلت فى مأزق حرج وأخذت فى السعى لرتق الصدع وظهر الوسطاء ونشطوا فى الأمر كما هو الحال وتفتقت عبقرياتهم عن حل مرضٍ للمفتى وللمستعمر واقترحوا على الحكومة تعيينه شيخاً للمعهد العلمى بأم درمان وعرضوا عليه الاقتراح، ولكنه لم يرد عليهم فى أول الأمر بالقبول. أو بالرفض وظل يقلب الأمور وهنا نشط الوسطاء مرة أخرى ولعلهم أدركوا نفسية الشيخ وعرفوا هواه، ولعلهم قالوا له إن وظيفة قاضى القضاة تلزمه بحكم منصبه أن يكون لصيقاً بالسلطة بالسكرتير القضائى آنذاك أو بمساعديه وذلك لأن كل قانون شرعى لابد أن يترجم أولاً ترجمة حرفية دقيقة ويعرض على السكرتير القضائى أو المختص بذلك فى مكتبه ليوافق عليه مبدئياً قبل أن يصدره قاضى القضاة وهذا ما كان يجرى عليه الأمر فى تلك الحقبة. ومعنى ذلك أن هذا يتطلب منه رضى أم أبى أن يلتقى بالرجل أو خلفائه فى كل مناسبة تستلزم ذلك. وهكذا أدرك الوسطاء من أين تؤكل الكتف، وأدركوا أن الرجل ينفر من ذلك بل يبغضه كل البغض بل كانت له مواقف محددة من الاستعمار وألاعيبه وكثيراً ما يثور على تدخلهم فى شؤون القضاء وهو يعمل مدرساً للشريعة بكلية غردون فقد كانت ترسل إليه

المقررات الشرعية وكل تعديل فى النظام القضائى يصدره قاضى القضاة وتثور ثائرته عندما يحس بأن هذا الأمر أو ذاك كان بايعاز من السلطات الحاكمة.

وأخيراً قبل الشيخ منصب شيخ المعهد العلمى ولعله أدرك بثاقب فكره أنه يتفق وخلقه ويصير إلى سابق عهده وحبه للعمل فى محيط العلم ويباعد بينه وبين من يكره لقاءهم ويحفظ له دينه وخلقه وكرامته. وظل يعمل فيه مدى خمسة أعوام نقل بعدها وفى ظل الحكم الوطنى إلى وزارة العدل مديراً لمصلحة الشئون الدينية التى أنشئت فى عهد الاستقلال وظل يعمل بها حتى لحق بربه فى عام ١٩٥٧م.

هذه لمحة قصيرة قصدت منها أن أكشف لكم بعضاً من جوانب شخصية مولانا الشيخ هاشم أبى القاسم رحمه الله.

وأود مرة أخرى أن أشكر للسيد مدير جامعة أم درمان الإسلامية ولزملائه السادة العلماء الأجلاء هذا التقدير وهذا الوفاء للسادة العلماء.

وإنى نيابة عن أسرة الشيخ هاشم واخوانه وأبناء عمومته وأهله أود مخلصاً أن أتقدم بشكرنا الجليل لهذا الجهد الذى تبذله هذه الجامعة بغرض توثيق حياة هؤلاء الرجال الأفذاذ الذين قدر لهم قيادة الأمة من خلال أول جامعة إسلامية فى السودان وظلت تؤتى أكلها وتنشر نور الهداية وترفع من شرع الله وتدفع بخريجيها

العلماء إلى مشارق الأرض ومغاربها ولم يقتصر عملها على السودان ولم يحجب نورها عن العالم الأفريقى والآسيوى بل أخذت توسع صدر رسالتها فارتادها أبناء الأمم الأخرى ينهلون من علمها الغزير، وظلت تعمل وتجاهد محتسبة أجرها على الله راغبة فى الجزاء الآخروى وغير عابئة بحطام الدنيا الزائل. وأبشر علماءها بالأجر الجزيل عند رب كريم ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

الفصل الثاني عشر

الشيخ محمد المبارك عبدالله

١٩٠٥ - ١٩٩٠م



الشيخ / محمد المبارك عبد الله

القسم الأول

التعريف بالشيخ

ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : اسمه ونسبه وأسرته.

المطلب الثانى : نشأته وبيئته.

المطلب الثالث : تعلمه.

المطلب الرابع : جهوده العلمية وتلاميذه.

المطلب الخامس:نشاطاته العامة وأعماله الأخرى

المطلب السادس : وفاته.

المطلب الأول : اسمه ونسبه وأسرته :

هو الشيخ محمد المبارك عبد الله إبراهيم حاج محمد على فقير الزين، جده من قرية «فقير الزين» بأكد محافظة دنقلا.

جدته لأمه «الحاجة بتول بنت شرفى» وجدته لأبيه «الحاكمابية فاطمة بنت المبارك» لها لحمة فى العركيين ورحم فى المسلمية وآصرة فى البطاحين.

ولد الشيخ محمد المبارك عبدالله بأم درمان عام ١٣٢٢هـ الموافق السادس من يناير من عام ١٩٠٥م. تزوج زوجة واحدة هى ابنة خاله محمد حسن العبد باشا من قرية «فارسكور» إحدى قرى أرياف مصر، وانجبت له ابناً واحداً هو على.

المطلب الثاني : نشأته وبيئته :

ولد الشيخ محمد المبارك بمدينة أم درمان فى أوائل عهد الاستعمار الثنائى للسودان، وكان والده محباً للعلم مولعاً بتحصيله خاصة العلم الشرعى، لذلك نشأ فى بيئة تهتم بالعلم، فأجداده كانوا حفظة للقرآن الكريم ملازمين لتلاوته آناء الليل وأطراف النهار.

تربى وهو طفل مع أبويه فى حىّ «بيت المال» على شاطىء نهر النيل الغربى بمدينة أم درمان وكان هذا الحىّ معروفاً بعلاقاته الاجتماعية المتينة المترابطة فكل من أهل الحىّ يعتبر أن أهل الحىّ أهل له.

قضى بعد ذلك فترة طويلة من عمره بالقاهرة حيث تلقى تعليمه الجامعى بالأزهر الشريف.

كان والده من أثرياء مدينة أم درمان حيث كان يتاجر بالغلال بالجملة وله مخازن بالموردة فى أم درمان شمالى كوبرى النيل الأبيض لذلك عاش الشيخ محمد المبارك فى وضع اجتماعى راقٍ ومرموق شجعه مع تشجيع والده على الإصرار على تحصيل العلم والنهل من معينه.

ومن المشاهدات اليومية التى كان يذكرها ودوَّنها فى مذكراته ـ مع التعليم الدينى فى السودان ـ الجزء الأول أنه كان هو

ووالده يلتقيان بمفتش أم درمان الإنجليزى وهما فى طريقهما إلى السوق ممتطياً صهوة جواده ومعه العمدة وبعض مشايخ الأرباع والحارات ويأبى والده أن يترجل عن دابته كما يفعل أكثر الناس فى ذلك الوقت العصيب الذى كان فيه المفتشون الإنجليز بل المديرون منهم يأمرون الناس بالنزول عن دوابهم إذا لاقوهم والوقوف لهم إذا مروا بهم وخلع نعالهم إذا دخلوا عليهم فى مكاتبهم. وفى بيئة المعهد النشطة عاش فترة شبابه يطلبِ العلم الذى يشجعه على النهل منه والداه حاثَّين له على الاستزادة منه.

المطلب الثالث : تعلمه :

تلقى الشيخ محمد المبارك تعليماً منتظماً فبدأ بالخلوة حيث أدخله والده خلوة بولس[١] فور بلوغه السن التى تسمح له بالذهاب إلى الخلوة والعودة منها وسلمه والده للفكى النور أبو حسبو وكانت خلوة بولس من أكبر خلاوى أم درمان .. ثم بعد مرحلة الخلوة ذهب به والده إلى المعهد العلمى بأم درمان وكان التعليم الدينى الرسمى يكاد يكون منحصراً فى معهد أم درمان العلمى عام ١٩٢٠م وكان المعهد فى تلك السنة قد بلغ من نشأته ثمانى سنوات واكتمل فيه القسمان الابتدائى والثانوى واستقام فيهما النظام وأقبل عليه الطلاب من مختلف أقاليم السودان وكانت الدراسة فى حلقات بالجامع ويقول الشيخ محمد المبارك عن هذه الفترة « قيد اسمى بالسنة الأولى وذهبت مع بعض الطلاب واشتريت كتباً من مكتبة شحاته الكتبى المصرى بأم درمان وجلست فى الغد مع صفوة من زملاء طلب العلم الأستاذ أحمد يوسف هاشم صاحب السودان الجديد والأستاذ على الصلحى المدرس بوزارة التربية والتعليم والأستاذ أحمد محمد على والأستاذ الشيخ ادريس الصادق والشيخ الأمين خوجلى القاضى الشرعى

---

(١) خلوة بولس : من أكبر خلاوى أم درمان، تقع على شاطيء النيل الغربي في نهاية شارع السيد علي الميرغني من الشرق وفي جزء من منزل بولس أحد أقباط السودان الذين أسلموا في المهدية وكان يتولى التدريس فيها الفكي النور أبو حسبو .

والشيخ قمر الأنبياء ومحمد عوض والشيخ إبراهيم أحمد والشيخ محمد عثمان الخليفة وغيرهم من المشايخ».

ثم بعد أن أتم السنة الثالثة بالمعهد تاق للسفر لمصر للالتحاق بالأزهر الشريف وقد شجعه على ذلك أن هناك عدداً من السودانيين سبقه إلى هناك منهم الشيخ حمد الشيخ إدريس من أهالى توتى.

لكن لم تكن عقبة والده هى الوحيدة فلابد لمن يريد السفر إلى القاهرة فى تلك الأيام للتعليم من الاستئذان من السكرتير الادارى أو مكتب المخابرات وكانت الحركة الوطنية ناشطة وبدأت الواسطات لسفره وانتهت إلى اليوزباشى عبد الخالق حسن مأمور مركز أم درمان غير أن واسطة عبد الخالق بك تزيد الأمور تعقيداً فيما يبدو من غير قصد إذ إنه كان مصرياً فاعتقد السكرتير الادارى الانجليزى أنه إن فتح هذا الباب سوف يجر عليه أعداداً هائلة من طلاب المعهد الذين يرغبون فى السفر إلى مصر وهذا ما لا تريده حكومة السودان.

وقد حاول السكرتير الادارى إثناءه من السفر تارة بالترغيب بالتوظيف فى السودان أو الالتحاق بقسم القضاء الشرعى بكلية غردون وتارة بالترهيب ولما وجد إصراراً منه على السفر منحه جواز السفر المطبوع والمعد للسفر بين مصر والسودان فى تلك الأيام.

ومن ثم سافر إلى مصر وحصل على الشهادة النظامية فى نفس العام بعد أن قدم شهادة نقله من السنة الثالثة إلى السنة الرابعة الابتدائية من معهد أم درمان العلمي وحصل على الشهادة الثانوية المصرية النظامية بعد حصوله على الابتدائية بعامين.

وقد التحق بتخصص المادة القديم وكانت مدته ثلاث سنوات بعد العالمية وحصل على الشهادة التى تعتبر أول أنواع الدكتوراة وكانت رسالته فى «الجبر والاختيار» فى شعبة الفلسفة الإسلامية عام ١٩٣١م.

المطلب الرابع : جهوده العلمية وتلاميذه :

عمل الشيخ محمد المبارك عبد الله أول ما عمل بمصر إماماً بمسجد البطوط بفارسكو ثم عمل بعد ذلك إحدى عشرة سنة فى التدريس بالأزهر فى جميع المراحل سنتين بمعهد دمياط الابتدائى وسنتين بمعهد الزقازيق الثانوى وسبع سنوات بكلية اللغة العربية. وكانت فترة اغترابه حوالى عشرين عاماً.

وفى صيف عام ١٩٤٣م تلقى برقية وهو فى محافظة دمياط من شيخ الأزهر آنذاك تقضى بوجوب حضوره غداً لمقابلة السكرتير القضائى لحكومة السودان وذهب فى اليوم التالى وكان الأمر الهام هو أن مستر كريد السكرتير القضائى رأى أن تستعير الحكومة أحد الأساتذة من كليات الأزهر ليقوم بالتدريس فى القسم العالى بالمعهد ويعاون شيخ العلماء على النهوض بالحركة التعليمية فيه .. وقال الشيخ محمد المبارك للسكرتير القضائى إن المعار سيذهب مدرساً لأن وظيفة وكيل المعهد غير مرغوب فيها وقد تسبب متاعب إدارية لا داعى لها وإن الشيخ أبا شامه رجل فاضل يرحب بأى تعاون مخلص فى سبيل رفع مستوى الدراسة بالمعهد والنهوض به، وانتقل إلى المعهد أستاذاً.

ثم مضى فى أداء واجباته بالمعهد بعزم ماضٍ وجد وانضم لمجلس إدارة المعهد ثم اشترك فى الامتحانات السنوية التى كانت تجرى لطلاب المعهد وفى عام ١٩٤٩م سافر فى أول رحلة له لغرب

السـودان لمدينة الجنينة أمـلاً فى دخـول مـدينة « أبَّشي » فى تشـاد والتى أنشأ بها الشيخ عليش معهداً وطلب إعانة الحكومة المصرية التى حـولت الأمـر للأزهر وهو بدوره انتدب الشيخ محـمد المبـارك لزيارة المعهد وكتابة تقرير عنه.

إلا أن المسـيـو (سكالدق) وهو فـرنسي يحكـم مـدينة أبَّشـى الذي يرفض دخول مـدرسين من الأزهر رفض دخـول للشيخ محـمد المبارك الذي عاد بعد أن احضرت له دفاتر المعهـد ودرسها وكـتب تقريراً كان فيه خير كثير لهذا المعهد.

بعـد قيـام ثورة ٢٣ يوليـو ١٩٥٢م جـاء إلى السـودان الصـاغ صلاح سالم والأستاذ أحمـد حسن الباقورى تحدثا إلى مبعوثى الأزهر ثم عـاد بعدها الشيخ محـمد المبارك إلى مقر عمله بكلية اللغة العربية بعد أن صدر قرار بأن كل من أكمل أربع سنوات يعود إلى عمله السابق وقد ألح شيخ المعهد فى ضرورة ابقائهم ولكن كل رجاءات أهـل السـودان لـم تجد فـى إرجـاع الشـيـخ محـمد المبارك عبـد الله.

وبعد ثلاث سنوات دراسـية بكلية اللغة العربيـة وفى صيف ١٩٥٦م انتدب لمشيخة المعهد العلمى بأم درمان وبعد ذلك وصله خطاب من الشيخ هاشم أبى القاسم وكـان قد عين مديراً لمصلحة الشئون الدينية يطلب فيه استعجال الاجراءات للحضور وأن يحضر معه صورة من لائحة المعاهد بالأزهر.

من الانجازات التى لا تنسى للشيخ محـمد المبارك وهو شيخ

للعلماء بالمعهد العلمى أن كللت مساعيه المضنية بالنجاح فقد صدر قرار من مجلس الوزراء بتاريخ ١٥ / ١٠ / ١٩٦٠م بمساواة شهادة العالمية المعهدية بما يماثلها من شهادات كليات الأزهر ودار العلوم وجامعة الخرطوم والقاهرة.

كذلك من ضمن انجازاته أنه فى عام ٦١ / ١٩٦٢م التحق فريق من خريجى المعهد بكلية الحقوق قسم الشريعة بجامعة الخرطوم وأشرف المعهد على أول دكتوراة تمنحها جامعة الخرطوم فى الشريعة الإسلامية باسم الطالب عبد الوهاب الغندور وفى مساء يوم من أيام مارس ١٩٦٣م والشيخ محمد المبارك يؤدى واجب العزاء فى عزيز لديه إذا بسفير مصر يجلس مع الشيخ مبدياً أسفه أن قراراً قد وصل إلى السفارة أن يغادر الشيخ محمد المبارك بانتهاء مدة إعارته شيخاً لمعهد أم درمان العلمي.

ثم عاد الشيخ محمد المبارك عميداً لكلية الدراسات العربية والإسلامية بعد النكسة(١) الشهيرة التى حولت جامعة أم درمان الإسلامية إلى كلية وقد كان له جهد مقدر فى استعادة الجامعة لمكانتها الطبيعية حيث عين عميداً لها عام ١٩٧٠م وكان لاتصالاته الواسعة بالمسئولين وانجازاته العلمية والإدارية سبباً مباشراً لاسترجاع الجامعة لمسيرتها الأولى فى خدمة الإسلام والسودان واستمر مديراً للجامعة حتى عام ١٩٧٢م. وكانت له

(١) النكسة: تعني القرار الذي أصدرته حكومة مايو بتقليص الجامعة الإسلامية إلى كلية. وقد أطلقت حكومة مايو على هذا التقليص اسم (تطوير) من باب السخرية.

العديد من الفتاوى الدينية البارزة.

وله تلاميذ نجباء ذاع صيتهم وتخرج على يديه عدد وافر من الطلاب ويكاد يكون هو الشيخ الوحيد فى المعهد الذى تخرج على يديه طلاب من مصر والسودان حيث درَّس فى مصر أكثر من إحدى عشرة سنة بين معاهد الأزهر والأزهر وكلية اللغة العربية ومن أبرز الذين تلقوا على يديه العلم وصاروا فيما بعد علماء بارزين فى الوطن العربى الشيخ محمد متولى الشعراوى العالم المعروف والذى درَّس فيما بعد بجامعة أم درمان الإسلامية والشيخ عطية صقر العالم المعروف والدكتور على محمد حسن العمارى والشيخ كامل السيد شاهين.

أما تلاميذه البارزون فى معهد أم درمان العلمى فنجد منهم الصديق عمر مكى وعبد السلام مختار عباس وآدم الطيب أحمد والطيب عبد الوهاب الطيب وعثمان إبراهيم محمد وعلى مرجان على وحاج محمد عبد القادر الجعلى وعبد الفتاح أحمد عبد العاطى والطاهر شرف الدين محمد على وإبراهيم عبد السلام أحمد والبشير عبد الله عمر والإمام دوليب الخليل وغيرهم من الشيوخ والعلماء الأجلاء. كما له العديد من الآثار العلمية والمؤلفات أهمها كتاب (مع التعليم الدينى فى السودان) من ثلاثة أجزاء وكتاب (أركان البناء الإسلامى) وكتاب (مقدمة التفسير) وغيرها.

المطلب الخامس : نشاطاته العامة وأعماله الأخرى :

كان الشيخ محمد المبارك ودوداً حانياً على أسرته ودوداً فى تعامله مع أفرادها كما كان غير متزمت واسع الصدر وكان رحمه الله يلزم نفسه بنظام صارم في طعامه وشرابه ونومه ويقظته وكان يحب المناقشة العلمية مع أقرانه وتلاميذه فى مصر والسودان يستعرض كل وجهات النظر في المناقشات بصبر وأناة ذاكراً كل الحجج والأسانيد التى تدعم كل رأى دون إغفال شئ مهما صغر حجمه.

وكان من آرائه أن من يريد أن يؤدى رسالة تعليمية دينية ثقافية عامة تشمل جميع المواطنين عليه أن لا يكون منتسباً أو عضواً فى حزب سياسى أو طائفة من الطوائف ليستطيع أن يؤدى رسالته على الوجه الاكمل فيستمع إليه الناس على اختلاف مشاربهم.

وكان على اتصال دائم وصلة حب وصداقة مع الشيخ مجذوب مدثر الحجاز فكان دائم الزيارة له عندما يقضى شهور الشتاء بالسودان وكان زميل دراسته وصديقه وكان هذا دأب الشيخ حيث كان يهتم بشدة بعلاقاته الاجتماعية وزيارة أرحامه بمصر والسودان يتبادل الزيارات مع نخبة كبيرة من العلماء سواء فى مصر أم السودان، ويستقبل فى منزله العديد من طلاب الدراسات العليا وغيرهم يعرضون عليه كتاباتهم ويحظون بتوجيهاته ويستفيدون من علمه، كما يستقبل العديد من طلاب الفتاوى ويرد على استفساراتهم.

المطلب السادس : وفاته :

توفى الشيخ محمد المبارك عبد الله بمنزله بأم درمان ودفن بمقابر « أحمد شرفى » شمال أم درمان وذلك فى يوم الجمعة الثانى عشر من شعبان ١٤١٠هـ الموافق التاسع من مارس ١٩٩٠م عن عمر يناهز الخامسة والثمانين عامرة بالعلم والجهد والمثابرة على تحصيل العلم وتعلمه وتعليمه للأجيال من السودانيين والمصريين وقد نعته للأمة السودانية كل الاصدارات التى صدرت يوم وفاته. وبموته انطوت صفحة ناصعة من صفحات العلم والمجاهدات فى سبيل إرساء دعائم المعهد العلمى ومن بعده جامعة أم درمان الإسلامية.

القسم الثانى

ليلة التوثيق

وتشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : تقديم.

المطلب الثانى : برنامج الليلة.

المطلب الثالث : كلمة الجامعة.

المطلب الرابع : كلمة أسرة الشيخ.

المطلب الخامس : بعض الكلمات التى أُلقيت في الليلة.

المطلب الأول : تقديم :

فـي يـوم الأربعاء السابع عشر من شهر صفر من العام بستة عشر وأربعمائة وألف هجرية (١٧ صفر ١٤١٦هـ) الموافق الخامس عشر من يوليو عام خمسة وتسعين وتسعمائة وألف ميلادية ١٥ / ٧ / ١٩٩٥م، وبقاعة الإمام مالك بن أنس بمبانى الجامعة بالعرضة كانت الليلة الثامنة فى سلسلة ليالى توثيق حياة علماء جامعة أم درمان الإسلامية وهي لتوثيق حياة الشيخ محمد المبارك عبدالله.

وقد حضرها جمع غفير من المسئولين بالدولة، ومديرى الجامعات وشيوخ الطرق الصوفية، وأسرة الشيخ محمد المبارك عبد الله وأساتذة وطلاب وطالبات وموظفى وموظفات جامعة أم درمان الإسلامية، وعدد كبير من المهتمين بتاريخ السودان، وعدد من مراسلى الصحف ووكالات الأنباء.

وقد شارك في هذه الأمسية عدد من العلماء والأدباء ومعارف الشيخ وطلابه ومحبيه والمهتمين بشئون العلم والسودان. وقد كان لمشاركتهم الأثر الطيب في إنجاح الأمسية وفي امتاع وافادة الحضور وفي اضفاء البهجة والمسرة في نفوسهم. وقد تدارست اللجنة أمر تضمين هذا الكتاب جميع المساهمات ولكن لاعتبارات فنية اختصرنا على جزء من هذه الكلمات في مقدمتها كلمة الجامعة وكلمة الأسرة. واستفدنا من بقية المساهمات في تلخيصنا للمعلومات التي أوردناها في القسم الأول عن هذا الشيخ.

المطلب الثاني : برنامج الليلة :

١ / القرآن الكريم.

٢ / كلمة الجامعة، البروفيسور على أحمدمحمد بابكر .

٣ / كلمة الأسرة، الأستاذ على محمد المبارك .

٤ / خاطرة الأستاذ على محمد شمو.

٥ / كلمة البروفيسور عون الشريف قاسم.

٦ / خاطرة الشيخ محمد على الطريفى.

٧ / خاطرة الأستاذ اسماعيل العتبانى .

٨ / إنشاد دينى الشيخ عبد الله محمد عثمان الحبر .

٩ / خاطرة البروفيسور أحمد على الأزرق .

١٠ / شريط مسجل بصوت الشيخ محمد المبارك ويعلق عليه دكتور بابكر البدوى دشين.

١١ / خاطرة وإلقاء شعرى الأستاذ سيف الدسوقى.

١٢ / مدائح الصحوة الإسلامية.

١٣ / كلمة ـ الأستاذ أحمد إسماعيل شيلاب.

١٤ / القرآن الكريم.

المطلب الثالث : كلمة الجامعة :

قدَّمها البروفيسور على أحمد محمد بابكر مدير الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد ..

الاخوة قادة العمل العام

أسرة الشيخ محمد المبارك

أسرة الجامعة .. الاخوة الحضور

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ،،

هو المبارك ما أجدى إدارته
جداً وعزماً وحزماً خالط اللينا
هو المبارك علم زانه خلقٌ
ما أجمل العلم بالأخلاق مقرونا

علمٌ غزيرٌ بدأه بحفظ القرآن الكريم فى العاشرة من عمره، ولأنه كان يحمل ذكاءً متفرداً، وكان يحمل بصيرة، وكان جرئياً فى الحق استطاع أن يثبت بين العلماء خارج السودان، فوجد مكاناً مرموقاً.

سأترك السيرة التفصلية لابنه الأستاذ على، وسأتحدث عن بعض النقاط باختصار شديد.

قبل أن يتولى الشيخ محمد المبارك قيادة الجامعة، عمل مدرسا فيها لمدة عشر سنوات من عام ١٩٤٣ ـ ١٩٥٢م، ثم عاد إلى مصر عام ١٩٥٢م وقد حكى المقدمات لعودته لمصر فى كتابه «مع التعليم الدينى فى السودان» وهو كتاب من ثلاثة أجزاء.

كانت عودته لمصر بعد عشر سنوات قضاها مدرساً فى هذه الجامعة. وقد جاء أستاذاً للجامعة تحت طلب شيوخ الجامعة الإسلامية وطلب العارفين بدقائق الأمور فى السودان. وكانوا يعرفون أنه عالم مفيد فأصروا على مجيئه وعند عودته لمصر كان شيخ الأزهر غير مقتنع بذلك. فقد كان يريده أن يبقى فى السودان لأنه يعلم أنه سودانى، وأن أبناء السودان يحبونه. لذلك يحسب أن رسالة الأزهر للسودان ستصل عن طريقه. وكان شيخ الأزهر يسأل لماذا عاد فكانوا يجيبونه بأنه عاد بعد عشر سنوات، وهو الحد الأقصى للانتداب، وما كان الشيخ محمد المبارك مقتنعاً لأنه يظن أن رسالته ممتدة ولكنه قرار لابد من تنفيذه. ثم عاد إلى السودان بعد ذلك فى عام ١٩٥٦م مع الاستقلال. وتحركه دائماً مصاحب لهذه الأحداث الكبيرة. ترأس هذه الجامعة بعد أن تولى الشيخ هاشم أبو القاسم إدارة الشؤون الدينية فمكث بها الشيخ محمد المبارك منذ ١٩٥٦ إلى ١٩٦٣م وعاد لمصر مرة أخرى وفى نفسه شئ لأنه كان يؤمل فى أن يطور المعهد أو الكلية الإسلامية إلى جامعة أم درمان الإسلامية. ولكنه استدعى أيضاً قبل أن يتم

هذه المهمة. والحمد لله فقد رأى أساتذه الجامعة يحققون أمله فى عام ١٩٦٥م. ثم استدعى للسودان عام ١٩٧٠م بعد مجيء حكومة مايو، وبعد أن خفضت الجامعة الإسلامية لتصبح كلية الدراسات العربية والإسلامية ظلماً وعدواناً؟!. وبقى بها حتى عام ١٩٧٣م وإنى أرجو من ابنه أن يفسر لى سر الرقم (عشرة) مع الشيخ محمد مبارك، هناك حقيقة لابد من ذكرها، وهى أن مايو كانت ترمى لاعادة الجامعة إلى مربع (١) أو نقطة البداية. كان الشيخ محمد المبارك يعمل على تثبيت هذه الجامعة وتطويرها وقد نقلت من كتابه «مع التعليم الدينى» بعض الجمل فى ص (٧) من الجزء الثالث يقول: وفي ٦ يناير ١٩٧٠ انتهى عملى بالأزهر ولزمت دارى واتصل بى سفير السودان فى مصر وطلب التفاكر بشأن برقية تختص بى وعرض علىَّ البرقية وفيها منصب مدير كلية الدراسات العربية والإسلامية بالسودان فزرت فى اليوم التالى إدارة الأزهر فقال لى أخ حميم «إن جامعة أم درمان الإسلامية فى محنة الآن فاذهب لعل الله يتداركها بك». وكان ذلك بمثابة التكليف فالمقصد عند مجئ الشيخ عام ١٩٧٠م هو العمل على تدارك جامعة أم درمان الإسلامية التى كانت فى ظروف صعبة.

وعند عودته من ١٩٧٠ وإلى ١٩٧٣م عمل فى صمت وثبت الكثير من الأسس التى كانت لا تقام لو لا حجته فقدَّر الله أن

يعود ليسهم فى انقاذ هذه المؤسسة، فعلينا أن نتدبر هذا المقصد. وحقيقة أخرى هى أن كثيراً من قادة مايو قد أدركوا أخيراً أنهم قد اخطأوا فى حق الجامعة الإسلامية فحاولوا تصحيح ذلك، فمنحوها قطعة الأرض فى جنوب أم درمان عام ١٩٧٦م وهذا يعنى أنهم رجعوا عن قراراتهم القديمة وحاولوا تصحيح هذا الأمر وهذه حقيقة يجب أن نقولها وكل نظام له سلبياته وإذا تم تدارك هذه السلبيات تكون محمدة. فالشيخ قضى عشرين عاماً فى هذه الجامعة أستاذاً ومديراً.

وقد أدركته شخصياً عام ١٩٦٣م بعد أن انتهيت من الشهادة الثانوية. وتم اختياري فى بعثة دراسية للقاهرة، وعندما وصلنا وجدنا قراراً ينتظرنا هناك هو أن تعود البعثة راجعة إلى السودان وبقينا شهرين بالقاهرة نحاول أن نعود إلى السودان لنواصل دراستنا وكان السبب هو الخلاف الذى طرأ بين مصر والسودان. لأن حكومة الرئيس عبود أرسلت مدرسين من السودان للمملكة العربية السعودية فى حين أن مصر استدعت مدرسيها من هناك فكان بعض الطلاب ضحية. وعندما عدنا وجدنا الشيخ محمد المبارك فى هذه المؤسسة وأرسلت إليه قائمة بأسماء ثلاثين طالباً وأخذها الشيخ محمد المبارك ووجه كثيراً من هؤلاء الطلاب إلى كليات ليست هي رغبتهم وقد وجهني إلى كلية الشريعة والقانون

وقبلت هذا مع أن رغبتي كانت دراسة اللغة العربية وتبينت لى الحكمة فى المستقبل وهي أني تعمقت فى دراسات الشريعة. ولو تخصصت في اللغة العربية فلربما لا اتعمق فى دراسات الشريعة والقانون.

عندما تخرجت من الجامعة تم استيعابنا معيدين، وكونت لجنة فيها الأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافي، فطلبوا منا تحديد رغباتنا فوقفت وحددت المادة التى ارغب فى التخصص فيها وعندما خرجت عرفت أنهم حددوا لى مادة (أصول الفقه)، والتي لم اخترها، وقد تبينت لى الحكمة أيضاً مستقبلاً فقد أدركت أن مادة أصول الفقه هي أم العلوم، وكلها أقدار إلهية، نزجي له وافر الحمد والثناء عليها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

المطلب الرابع : كلمة الأسرة :

قدم كلمة أسرة الشيخ محمد المبارك عبد الله فى الليلة التى أقيمت بقاعة الإمام مالك لتوثيق حياة الشيخ محمد المبارك ابنهْ على محمد المبارك عبد الله★ .

الأستاذ الدكتور على أحمد محمد بابكر مدير الجامعة.

الأساتذة الأجلاء أعضاء هيئة التدريس.

السادة المتفضلون بالاسهام فى توثيق حياة المغفور له الشيخ محمد المبارك عبد الله.

السيدات والسادة ضيوفنا الكرام.

أصالة عن نفسى ونيابة عن أسرة المغفور له الشيخ محمد المبارك أتوجه بخالص الشكر والعرفان إلى هذه الجامعة العريقة جامعة أم درمان الإسلامية على اقامتها هذه اللقاءات لتوثيق حياة علمائها الأجلاء لتجدد الذكرى بما قدموه من عطاء للوطن العزيز من خلال قيادتهم لهذه المؤسسة العلمية العريقة ولتجعل من حياتهم نبراساً للأجيال الحالية والقادمة مما يعد دوراً تربوياً عظيم النفع والمغزى قبل أن يكون تكريماً وتوثيقاً لحياة نخبة من علمائنا الأجلاء.

★ علي محمد المبارك عبدالله من مواليد أم درمان ١٩٣٦م، دبلوم الخدمة الاجتماعية كلية الدراسات الاضافية جامعة الخرطوم، مجموعة كورسات في الادارة بمركز تطوير الادارة بالخرطوم، الآن مدير عام لشركة البركة العقارية إحدى شركات مجموعة دلة البركة.

إن توثيق حياة الشيخ محمد المبارك عبدالله له جانبان، الأول متعلق بمكانته العلمية وإسهامه الفكرى والعملى فى نهضة هذه المؤسسة العريقة وهو جانب أحسب أن هناك من هم أقدر منى على الخوض فيه من المتخصصين وأهل العلم ممن عاصروه أو زاملوه أو تابعوا نشاطه أو تتلمذوا عليه أو اطلعوا على آثاره ومؤلفاته التى بلغت نحو خمسة عشر كتاباً ورغم أن الحديث عن هذا الجانب يمثل السمة الأساسية فى أى كتابة تتناول حياته بالتوثيق فإنى أثق أنه سينال حقه الوافى من الاشادة والتوثيق. أما الجانب الثانى فهى ذكرياتنا معه وبعض آرائه المنشورة وغير المنشورة فى بعض الأمور العامة وعاداته وبعض طبائعه واعتقد أن هذا الجانب هو الاسهام المناسب لأسرة عالم من هذا الطراز فى توثيق حياته من النواحى الشخصية.

كان رحمه الله يلزم نفسه بنظام صارم فى طعامه وشرابه وفى نومه ويقظته، الافطار فى حوالى الساعة السابعة، والغداء ليس متاخراً عن الثالثة ولا عشاء على الاطلاق على امتداد حياته يتكون إفطاره من أصناف محددة ليس بينها اللحوم ـ الفاكهة هى العنصر الأساسى فى طعامه يستهل بها وجبتى الافطار والغداء ولا يخرج الافطار بعد الفاكهة عن أنواع بعينها هى الزبادى والفول المنزوع القشرة مضافاً إليه زيت الزيتون أو السمسم مع الملح دون أى بهار

أو اضافات أخرى وقد يستبدل الفول بقطعة جبنة صفراء أو رومى مع المربى أما الخبز فربع رغيف متوسط الحجم يكفي - هذه هى الأصناف التى لا يخرج عنها إفطاره وما أن ينتهى حتى يشرب كوباً من الماء وهو لا يشرب ماء الثلاجة وإنما ماء الزير ولا يعود بعد ذلك إلى شرب الماء إلا بعد مرور ساعتين على فراغه من تناول الطعام وكثيراً ما كان ينادينى متسائلاً متى فرغنا من الطعام فأشعر أنه بدأ يعطش ولكن العطش لم يكن يوماً مبرراً لخرق هذه العادة يذهب إلى الحمام مرتين فى اليوم الأولى بعد الافطار والثانية بعد الغداء ولا يشرب الشاى إلا مرة واحدة فى اليوم بعد تناول الافطار والعودة من الحمام هو كوب صغير من نوع جيد من الشاى خفيف اللون وعليه ثلاث ملاعق صغيرة من السكر. وقد كان رحمه الله - يتناول هذا الكوب يومياً ولكنه فى العشر سنوات الأخيرة من حياته كان يعطى نفسه إجازة أسبوعية من هذا المنبه الذى قد يمتد تأثيره عليه بقية اليوم فيصيبه بالأرق فى المساء. لم يحدث أن شاهدته يتناول شيئاً بين الوجبات أياً كان هذا الشئ قطعة حلوى أو حتى تمرة وينصحنا دائماً بعدم ادخال طعام على طعام على حد تعبيره - وجبة الغداء وهى أيضاً تبدأ بالفاكهة ثم طبق الخضار وفى هذه الوجبة فقط يتناول اللحم أو السمك أو الدجاج ثم الحلوى المناسبة.

هذا هو نظامه وعاداته في طعامه الذى لم يتجاوزه طوال حياته وربما كان هذا النظام سبباً فى انتفاعه بما حباه الله به من قدرات ومواهب فكان دائماً متوقد الذهن سريع البديهة حاضر الذاكرة سليم الحواس مما ساعده على النبوغ فى تحصيل العلم والتفوق فى دراسته فمعروف عنه أنه كان الأول فى أى امتحان جلس إليه سواء فى السودان أو فى مصر ومعروف أيضاً أنه اختصر سنوات الدراسة فى الثانوى إلى سنتين بدلاً عن أربع والعالى إلى سنتين بدلاً عن أربع أعقبهما التحاقه بقسم تخصص المادة التى كانت مدته ثلاث سنوات بعد العالمية حيث حصل على الدكتوراة أو لقب علامة كما كان يسميها الأزهر فى ذلك الحين وكانت رسالته فى الجبر والاختيار من شعبة الفلسفة الإسلامية سنة ١٩٣١م وقد كان كثير من تلاميذه فى كلية اللغة العربية جامعة الأزهر فى مثل سنه أو يكبرونه أحياناً.

كان يحفظ من الشعر ما يملأ مجلدات لا سيما الشعر العربى القديم وله فى كل موضوع شواهد من الشعر العربى - إذا استمع فبكل جوارحه وإذا انصرف عن الاستماع فبغير اعراض يؤذى المشاعر ولا يتبرم من سؤال الجاهل وإن كان يتبرم من خطأ المثقف.

أما نصيبه من النوم فقد كان متوازناً مع نشاطه الذهنى والجسمانى فقد كان - رحمه الله - يحب الرياضة ويمارس ألواناً منها

بحسب السن بدأ بالسباحة والألعاب الرياضية فى عهد الشباب وانتهاءً بالسير لمسافات طويلة فى سن الشيخوخة وكان يداوم على رياضة المشى حتى أواخر أيام حياته وأنسب المواقع التى يمارس فيها هذه الرياضة هى السير بمحاذاة النيل من موقع منزلنا بأبى روف إلى منطقة القماير.

وكان - رحمه الله - لا يرضى بأقل من ست ساعات من النوم مجتمعة أو متفرقة خلال الليل فإذا أصابه الأرق وقلت ساعات نومه عن خمس انحرف مزاجه وكان يبدأ فى استدعاء النوم على حد تعبيره من التاسعة مساء فيظلم الحجرة ويبتعد أهل البيت عن الاقتراب منها أو إحداث ضجيج حولها وكانت أفضل أوقات القراءة والانتاج لديه تبدأ من الصباح الباكر إلى وقت الغروب وقد ظل - رحمه الله - شغوفاً مولعاً بالقراءة والتحصيل فى كل ضرب من ضروب المعرفة على اختلاف فروعها ما نتصور له علاقة بمجال تخصصه وما لا نتصور ولم يحدث أن شاهدته يوماً منذ وعيت إلى أن اختاره الله إلى جواره إلا منكباً على القراءة تحيطه الكتب من كل جانب جالساً أو مستلقياً مريضاً أو معافى وبعد انتهاء خدمته فى جامعة أم درمان الإسلامية فى سنة ١٩٧٢م كان يقضى شهور الصيف فى مصر وشهور الشتاء فى السودان وما أن تطأ قدماه أرض الوطن إلا ونذهب معاً فى اليوم التالى لوصوله مباشرة

إلى مكتبة صديقه وزميل دراسته المغفور له الشيخ مجذوب مدثر فينتقى منها بعض المراجع فى التفسير والحديث والفقه لا يقل عددها عن ٢٥ مجلداً نعود بها إلى المنزل لتظل فى متناول يده إلى أن يعود إلى القاهرة.

كان - رحمه الله - يسعد بالمناقشات العلمية مع زملائه فى مصر والسودان وكنت أعجب بسمو روح المناقشة حينما تختلف الآراء واستعراضهم بصبر وأناة لمختلف وجهات النظر والحجج والأسانيد التى تدعم كل رأى دون إغفال شئ منها وأقارن هذا المستوى الرفيع من النقاش العلمى بما ألاحظه فى مناقشات بعض المثقفين من ضجيج وأصوات متداخلة وقيام وقعود وأيمان مغلظة لمجرد الخلاف فى الرأى وأستمتع بهذا الأسلوب العلمى وهذا الرقى الأدبى وأعرف منه أن علماء المسلمين وضعوا علماً برمته فى أدب البحث والمناظرة وعلم الخلاف والجدل وأنه يدخل فى دائرة تخصصه ويقوم بتدريسه.

وكان من آرائه أن من يريد أن يؤدى رسالة تعليمية دينية وثقافية عامة تشمل المواطنين جميعاً عليه ألا يكون منتسباً أو عضواً فى حزب سياسى أو طائفة من الطوائف ليستطيع أن يؤدى رسالته على الوجه الأكمل فيستمع إليه كل الناس على اختلاف مشاربهم غير أنه مع ذلك لم يكن ينسى للمغفور له السيد / عبد

الرحمن المهدى فضله العظيم فى إقناع والده بالموافقة على سفره إلى مصر وكان والده يرفض ذلك فكانت للسيد / عبد الرحمن المهدى مكانة خاصة فى نفسه بالإضافة إلى المكانة المستمدة من انتمائه إلى أسرة أنصارية.

أما عن رأى بعض الثقات فى مكانته العلمية فاذكر أننى كنت فى زيارة العالم السودانى الكبير المغفور له الشيخ / محمد نور الحسن فوجدت عنده الإمام الأكبر المغفور له الشيخ / محمود شلتوت وكان وقتها شيخاً للجامع الأزهر بينما كان فضيلة الشيخ نور وكيلاً له وبعد أن عرَّفه الشيخ نور بشخصى قال الشيخ شلتوت إن الشيخ مبارك عالماً فاضلاً وأذكر أننا كنا فى لجنة الامتحان الشفوى لطلاب الشهادة العالمية عندما مر علينا شيخ الأزهر آنذاك متفقداً سير لجان الامتحان وبعد أن مكث معنا بعض الوقت قال إن هناك شيخاً سودانياً مدرساً بكلية اللغة العربية اسمه بركة فقلنا الشيخ مبارك فقال نعم إنه عالم ممتاز أبعثوا له لينضم إليكم فى هذه اللجنة ثم التفت إلىَّ الشيخ شلتوت قائلاً إن والدك عالم ليس على مستوى السودان فحسب وإنما على مستوى الأزهر.

ومن آرائه المنشورة بالعدد الثانى من مجلة معهد أم درمان الصادرة فى سنة ١٩٥٨م تحت عنوان الثقافة الإسلامية والاصلاح السياسى والاجتماعى فى بلادنا يتحدث المغفور له الشيخ محمد

المبارك عن عظمة الثقافة الإسلامية ويدعو إلى الاهتمام بنشرها وإلى تعريب المناهج الدراسية فى المدراس والجامعات لكى يؤدى ذلك إلى إحداث نهضة شاملة حيث يقول: « يجب أن نعمل على تخريج جيل جديد إسلامى العزة والنزعة والذوق والأخلاق والآداب، عربى الشهامة والنخوة والمرؤة والنجدة والإباء يبشر بالإسلام فى الجنوب ويعظ به فى الشمال ويدعو إلى الأخوة الإسلامية هنا وهناك ويبين سماحة الإسلام وعدالته وينشر لغة دستوره والتعبد به لتذوب الفروق ويستعرب الجنوبيون كما استعرب غيرهم ويهجر بعض السودانيين فى أقصى الشمال والشرق والغرب تلك الرطانات التى لا داعى إليها والتى احتفظوا بها مع العامية العربية السودانية وينتهى الشقاق والخلاف باختلاف الاجناس واللغات ويزول التعصب الجاهلى وتموت النعرات الوهمية وتقوى روابط الوحدة ويتسق الكيان السياسى والقومى للبلاد».

ثم يتابع حديثه فينادى بإنشاء[1] جامعة أم درمان الإسلامية بنفس هذا الاسم فى نفس المقالة فيقول: «فهل يصح منا العزم على إنعاش الروح الإسلامى وتعميم التربية الإسلامية فى بلادنا والاقبال عليها نأخذ بها فى منازلنا ومدارسنا وفى مظاهر حياتنا جميعها؟ وهل ننفخ فى نار الثقافة الإسلامية ونزيل عنها الرماد إن الأمل لا يزال باقياً وإن الخلاص من التدهور الأخلاقى الذى نشكو منه

---

(١) أي تطوير المعهد العلمي إلى جامعة إسلامية وتعديل الاسم من (المعهد) إلى (الجامعة).

يكون في علاج واحد هو انتشار التعليم الديني فلنجربه ولنقم حفلاً كمقدمة لانشاء جامعة أم درمان الإسلامية نصنع فيها بعد التعليم الثانوى الرجال الذين يحذقون الثقافة الإسلامية ويتخرجون فيها ويتميزون يالتخصص فى دراسة الكتاب والسنة وأصول الدين والفقه وأصول الفقه الإسلامى والفلسفة الإسلامية والتاريخ الإسلامى وسائر العلوم التى تلزم للاجتهاد واستنباط ما لا يوجد فيه نص من الأحكام مما لا يتوافر فى الجامعات الأخرى التى لا تتناول الشريعة الإسلامية بالدراسة إلا من جوانب خاصة كالأحوال الشخصية وبعض المعاملات وتفسير آيات الأحكام وشرح أحاديثها ولا يستغنى بها عن الجامعة التى ننشدها.

وإذا كانت الجامعات المدنية التى تتحد مناهجها وأهدافها لا يستغنى بعضها عن بعض للتوسع فى التعليم العالى والتنافس فيه فكيف يستغنى عن جامعة تتميز بنوع من المعارف والمنهج بجامعة تخالفها فى ذلك ؟.

ثم يرد فى نفس المقال على الأصوات التى تعارض إنشاء جامعة إسلامية بحجج واهية سيطرت على منطلقاتها الثقافية الغربية فيقول: «لا يتأتى هنا حديث الخوف من وجود ثقافتين مختلفتين لأن هذا فى الدراسة الوسطى والثانوية أما الدراسات العالية فلم يذهب أحد إلى وجوب اتحادها ولا يعقل ذلك لأن شأنها التخصص والتوفر على دراسة جانب من جوانب المعرفة.

إننا نرى أن ارتقاء معهد أم درمان إلى جامعة إسلامية هو كمال من حق هذه المؤسسة العظيمة أن تبلغه ومن حق طلابها أن يحقق لهم وهو مقتضى طبيعة الأشياء فى التطور والنمو نسهم بها مع الدول العربية والإسلامية فى احياء التراث الإسلامى والنهضة بالأدب العربى والفكر الإسلامى وخلق ثقافة قومية عربية إسلامية نتحصن بها من غزو التمدن المادى والمذاهب المادية ونكسب بها مناعة من أمراضها وشرورها ونعطى بها شخصيتنا المكنة من الظهور ومواهبنا الفرصة للانطلاق ونطبعها بطابعنا الخاص والله المستعان » .

لقد كان من ثمار الجهود المخلصة التى بذلها المغفور له الشيخ / محمد المبارك وأعوانه خلال الفترة من سنة ١٩٥٦ -إلى سنة ١٩٦٣م إنشاء كليتين واحدة للغة العربية والأخرى للشريعة تطويراً للقسم العالى بالمعهد حيث جعلت من اتخاذ القرار بانشاء الجامعة بعد ذلك أمراً لا مناص منه لا سيما وأن مجلس الوزراء كان قد قرر فى ١٥ / ١٠ / ١٩٦١م مساواة خريجى الكليتين بخريجى جامعة الأزهر ودار العلوم والجامعات السودانية .

لقد كان - رحمه الله - حانياً على أسرته ودوداً رقيقاً فى تعامله مع أفرادها كما كان غير متزمت واسع الصدر متفتح الذهن فيما يوجهه من نصح وارشاد .

وختاماً أكرر شكرى للجامعة ومديرها السباق وأساتذتها وموظفيها وعمالها وطلابها كما أهدى شكر الأسرة إلى كل من شارك فى هذا التوثيق سواء بالحديث أو الحضور.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

المطلب الخامس : كلمات وخواطر :

خاطرة البروفسور علي محمد شمو *

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمع الكريم ..

فضيلة مولانا الشيخ محمد المبارك عبد الله أتحدث عن سيرته وهي سيرة عطرة وتستحق كما قال أستاذنا العتباني أن تدرس لأنها قصة كفاح وقصة نضال ولا أريد أن أكرر بعض الأشياء ولكن لفت نظري في سيرة الشيخ المبارك هذه الشخصية القوية التي حددت الهدف منذ فترة بعيدة جداً لأن الإنسان يستغرب كيف يفكر يافع حفظ القرآن ثم التحق بالمعهد وبين من جاء من مصر من الأساتذة المتميزين وكان متفوقاً عليهم في كل شئ وعندما ذهبنا إلى مصر وانخرطنا في الدراسة عرفنا أن من كان معنا بالسودان لا يقل عنهم بل يتفوقون عليهم ووجدنا شخصاً آخر هو فضيلة الشيخ محمد نور الحسن لولا بعض العوامل التي لا تسمح بأن يكون شيخ الأزهر سودانياً أسمر اللون (مشلخ) لكان محمد نور شيخاً للأزهر بعلمه وتفانيه ولو سمحت نفس العوامل لكان في سلسلة من يرثون هذا الموقع الشيخ محمد المبارك عبد الله، هذه حقيقة عرفناها من خلال وجودنا في مصر.

---

* تقدمت ترجمة البروفيسور علي محمد شمو في ليلة توثيق حياة الشيخ أبي شامة عبد المحمود، ص ٣٠٨

إننا نتحدث عن كنز من كنوز هذه الأمة وعلم من أعلامها برهن للعالم الإسلامي ورصفائه أن في السودان رجالاً ليسوا أقل قدرة وكفاءة وعلماً من زملائهم الذين يهاجرون إليهم ويتلقون العلم معهم .. رحم الله الشيخ محمد المبارك عبد الله.

ولي رجاء أنه أول من وثَّق للتعليم الديني في السودان ولعل كتبه غنية بالمعلومات ولكن الطباعة متواضعة والورق متواضع وبها أخطاء ولا تصلح لحمل هذه المعلومات فهي أجلٌ وأقيم من أن تكون في هذا الشكل لذلك أدعو لإعادة طباعة هذه الوثائق خاصة للباحثين الذين شرعوا في التوثيق للتعليم الديني في السودان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

كلمة البروفيسور عون الشريف قاسم *

الحمد الله الذى كرم العلماء وجعلهم ورثة الأنبياء والصلاة والسلام على رسوله الأمين سيدنا ونبينا محمد الذى فضل فى حديثه الشريف مداد العلماء على دماء الشهداء.

وبعد فإن الشكر مبذول فى البدء إلى هذه الجامعة العريقة الفتية التى استنت هذه السنة الحميدة الراقية إلى تكريم ذكرى العلماء الأبرار الذين أسهموا فى إنجاح مسيرتها وقدموا لأمتهم ودينهم ما هم أهل له من التكريم والأجلال ولا يعرف الفضل إلا أهله. ويجئ اليوم الاحتفاء بذكرى علم من أعلام الفكر والعلم والدين فى عالمنا العربى والإسلامى ألا وهو الشيخ محمد المبارك عبد الله ـ طيَّب الله ثراه ـ وأحيا ذكراه.

والشيخ محمد المبارك درة من درر ذلك العقد النفيس من علماء السودان الأفذاذ الذين فجروا ينابيع المعرفة في مصر الشقيقة بدءاً بيزيد ابن أبي حبيب النوبي مولى الأزد ومفتى مصر وكان أبوه من أهالى دنقلا وهو أول من نشر العلم بمصر عيَّنه عمر ابن عبد العزيز مفتياً على مصر وكان عالماً بالتاريخ واعتمد عليه الكندى فى كتابه ولاة مصر وقضاتها وكان من أشهر تلاميذه عبد

---

* انظر ترجمته في الكلمة التي ألقاها في ليلة توثيق حياة الشيخ (أبوالقاسم أحمد هاشم).

الله بن لهيعه والليث بن سعد . وأهل دنقلا فيهم علم منذ القدم ومنهم انتشر فى الآفاق وكان لأسلاف الشيخ محمد المبارك سابقة فى هذا السبيل وكان جده الخامس فقير الزين الذى سميت عليه قرية فقير الزين بمنطقة أكد والتى ولد فيها عالمنا فى السنوات الأولى من هذا القرن، وكان فقير الزين كما يستدل من اسمه من شيوخ القرآن الذين قامت حول خلوته ومسيده هذه القرية وتتلمذ على يديه وعلى أولاده وأحفاده الكثيرون . وفى هذا الجو العبق بالعلم والقرآن درج شيخنا ونهل من معينه الفياض وكان من العلم والفطنة بحيث اختصر نصف سني دراسته الثانوية والجامعية وفوق الجامعية إذ تخرج من ثانوية الأزهر فى عامين بدل أربعة عام ١٩٢٦م ونال العالمية فى عامين ١٩٢٨م وفي عامين وبعض العام نال شهادة التخصص والأستاذية فى التوحيد والمنطق وآداب البحث والتربية عام ١٩٣١م .

وبعد تدريس فى المعاهد الأزهرية أصبح أستاذاً فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف حوالى عام ١٩٣٦م وظل بها حتى عام ١٩٦٣م وتخرج على يديه جماعة من علماء مصر والعالم الإسلامى منهم الشيخ محمد متولى الشعراوى والشيخ عطيه صقر وانتدب عام الاستقلال ١٩٥٦م شيخاً لمعهد أم درمان العلمى وشيخاً للعلماء وفى أيامه تحول القسم العالى بالمعهد إلى كليتى تخصص فى الشريعة واللغة العربية .

وقدَّم الشيخ فى السنوات السبع التى قضاها فى إدارة المعهد الكثير من علمه وجهده الذى أثمر فى قيام جامعة أم درمان الإسلامية. ومثلما كان للشيخ جهده فى قيام جامعة أم درمان الإسلامية فى البداية، فقد كان له أيضاً جهده المقدر فى استعادة الجامعة لمكانتها الطبيعية بعد النكسة التى ألمت بها عام ١٩٧٠م حين حولت إلى كلية الدراسات العربية والإسلامية فقد انتدب مديراً للكلية فى الفترة ١٩٧٠ - ١٩٧٢م وكان إنجازه العلمى والإدارى فى الكلية واتصالاته الواسعة بالمسئولين فى هذه الفترة مما مهد السبيل لاسترجاع الجامعة سيرتها الأولى فى خدمة الإسلام والسودان. والحديث عن الشيخ محمد المبارك عبد الله وشخصيته المتعددة الجوانب لا ينقضى. ولكنى أشير فى الختام إلى جانب واحد منها وهو الموسوعية التى اتسم بها علم الشيخ فقد كان رحمه الله بحراً من بحور المعرفة فى كل جوانب الثقافة العربية الإسلامية لغة وشريعة وفلسفة وتصوفاً وتاريخاً مما برز فى كتبه الكثيرة التى نشرت والتى لم تنشر. وكان من نعم الله الكبرى علىَّ أن توطدت صلتى بالشيخ الجليل فى عقد السبعينات وقد تكرم وخص وزارة الشئون الدينية والأوقاف آنذاك بنشر عدد من كتبه منها (التعليم الدينى فى السودان الجزء الثانى، ومع الرسول (ﷺ) فى طريق البلاغ، ورسالة فى الخمر والميسر، وأركان البناء الإسلامى من خمسة أجزاء، والشباب والتربية الروحية، ورسالة فى

التصوف). وقد ظل حتى آخر أيامه ـ عليه رحمه الله ورضوانه ـ حريصاً على أمانة العلم التى أودعها الله إياه، لا يكف عن الكتابة فى ما يفيد الناس و يخدم العلم شأن أسلافه من علماء الإسلام الذين انتقلوا عن هذه الدنيا وتركوها بجهادهم وعلمهم أعظم وأرحب مما وجدوها. ومثل هذا العالم الجليل الذى وهب العلم حياته كلها جدير بالتكريم والتعظيم وقد أحسنت جامعة أم درمان الإسلامية صنعاً بهذه اللفتة تكريم فى هذا اليوم العظيم يوم ذكرى شيخنا وأستاذنا الشيخ محمد المبارك عبد الله طيَّب الله ثراه وعطَّر ذكراه وجعل البركة فى ولده وعشيرته أجمعين ونفعنا الله بعلمه الذى هو باقٍ ما بقيت الحياة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

كلمة الشيخ محمد علي الطريفي*

الحمد لله القائل ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ نحمدك اللهم حيث قلت ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ونصلى ونسلم على أستاذ البشرية وسيد الإنسانية سيدى رسول الله (ﷺ) العالم الأول والمربى الأول الذى تخرج فى مدرسته هذه الكوكبة من أهل العلم الذين صاروا مصابيح يستضاء بهم حيثما مشوا وحيثما ساروا.

وبعد فالتحية لكم أيها السادة الأماجد من قلب يكن لكم كل حب وتقدير وأنتم تجتمعون فى هذه اللحظات لإحياء ذكرى شيخ وأستاذ عركته الأيام ذلكم هو فضيلة مولانا وأستاذنا محمد المبارك عبد الله الذى سارت بذكره الركبان. وامتلأ بصيته وطلابه رحاب الزمان، وإننى إذ أقف أمامكم وأنتم تجتمعون على موضوع توثيق حياة الشيخ الراحل أستاذ الأساتذة الذى عرفته طالباً عندما كنا فى المرحلة الثانوية يعزف على عقولنا ويصب عليها من هذه المعارف التى أضاءت لنا الطريق، كنا نستمع إليه وهو ملء قلوبنا وأبصارنا .. نعجب به وبعباراته وبعمق معلومته التى يوصلها

---

* الشيخ محمد علي الطريفي، هو عالم من المتخرجين من جامعة أم درمان الإسلامية عندما كانت معهداً، وقد خرج أجيالا ليحملون علوم اللغة والدين، وقد عمل بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية عميداً لكلية الشريعة.

لطلابه.. كنت أذكر كل ذلك وأذكره وأنا معلم أعمل إلى جانبه، أرى فيه الأستاذ المربى .. عاملاً إلى جانب الحق فهو لا يشق له غبار وكنت أجد منه ما أجده من الأب الحنون بكل معانى الحياة، أجد فيه هذه الأبوة الحقة الشيخ العفيف .. كم كان يحفنى بأشياء لم أره يحف بها غيرى من جملة الأساتذة الذين يعملون تحت إدارته ولم أر ما يعاملنى به يعامل به أحداً من الطلاب .. يخصني يأشياء ليس هذا الوقت مجالاً لذكرها ولكنها انعكاسات ستظل أبد الدهر خالدة فى قلبى لأنه أستاذى الذى حبانى بما لم يحب به أحداً غيرى .. كان يتعهدنا ومما أذكر والشيخ رحمة الله عليه دائماً كان متعباً بالتصحيح والتصويب حتى فى كلماتنا التى نتخاطب بها وكان يرجو أن تكون حديثاً باللغة العربية ما دمنا فى قاعة الدراسة.

وله فى مجال نشاطه ما لم يقف عند حد التربية وإلقاء الدروس وإنما كان معينا بأن نخلد ذلك التراث الفكرى والعلمى على كتب تظل باقية يتناولها أبناء الأجيال ينتفعون بها وهكذا عمل العارفين ممن سبقنا فهم يكتبون ويسجلون مثل هذه المؤلفات لتظل باقية مدى الدهر .. له من المؤلفات الكثير وقد تولى المجلس الأعلى للشئون الدينية والأوقاف طبع بعضها ومنها (التعليم الدينى فى السودان) ثلاثة أجزاء ومن ذلك (أركان وبناء الإسلام)

خمسة أجزاء، ومنها (رسالة في الخمر والميسر) وكتاب (الشباب والتربية الإسلامية) و(التصوف والاصلاح الاجتماعي) وتفسيره للجزء الأخير (عم) ومن ذلك كتاب له في المنطق والحديث ومن ذلك (آراء وأفكار في الفلسفة) وكثير من العلوم والآراء التي كان ينشرها بالصحف السيارة على مر الأيام.

عندما نتحدث عن الشيخ نقف فيما ذكره ابنه على لمراجعته متى ما سمحت الفرصة. أما ما كان يحضرني من تصويباته ونحن طلاب كنا نتحدث بالكلمة لا نراعي ما صحتها وما صوابها فكان يقول لي إني سأضع لكم برنامجاً - ولا نقول تصحيحاً - من الكلمات التي نرى فيها أخطاء في وسائل الاعلام لا من العامة بل من الخاصة.

قل مُتحف بضم الميم ولا تقل مَتحف بفتحها.
قل معدِن بكسر الدال ولا تقل معدَن بفتحها.
قل مصرِف بكسر الراء ولا تقل مصرَف بفتحه.
قل مُقهى بضم الميم ولا تقل مَقهى بفتحها.
قل مسقِط بكسر القاف ولا تقل مسقَط بفتحها.
قل منبِت بكسر الباء ولا تقل منبَت بفتحها.
قل مُرْهَنُ ومُنحُل ولا تقل مِرْهن ومِنْحَل.
وقل فَترة بفتح أوله ولا تقل فِترة بالكسر.
وقل عَلامة بالفتح بالكسر ولا تقل عِلامة بالكسر

قل حَظِيت يالشئ ولا تقل حُظِيت به.

قل آمُل بضم الميم ولا تقل آمَل بفتحها.

قل أغفُل بضم الفاء ولا تقل أغفَل بفتحها.

قل كناسة وفخامة بالكسر ولاتقل كناسة وفخامة بالكسر.

قل مِلعقة بالكسر ولا تقل مَلعقة بفتح الميم.

قل معرِض بكسر الراء ولا تقل معرَض بفتحها.

قل نِتاج بكسر النون ولا تقل نَتاج بفتحها.

قل قِطارٌ دَولى بفتح الدال ولا تَقُلْ دُوَلِىّ بضم الدال.

قل مشكلة أُسْرية بضم الهمزة وسكون السين ولا تَقُلْ أسَرية بفتح السين.

قل مُكْحَلةبضم الميم والحاء ولا تَقُلْ مِكحِلة بكسر الميم والحاء

قل مِكْنَسة بكسر الميم وسكون الكاف ولا تَقُلْ مَكْنَسة بفتح الميم والسين.

قل مُرْهُن ومُسْقُط ولا تَقُلْ مِرْهَن ومِسْقَط.

قل مِقَصّ بكسر الميم ولا تَقُلْ مَقَصّ بفتح الميم.

قل مِطرقَة بكسر الميم ولا تَقُلْ مَطرقَة بفتح الميم.

قل مِنَصّة بكسر الميم ولا تَقُلْ مَنَصّة بفتح الميم.

قل مَسْجِد بكسر الجيم ولا تقل مَسْجَد بفتح الجيم.

خـاطرة خطرت ببـالى وأنا أسـجل هذه الانعكاسـات .. فى أبيـات قليلة ولست من الشعـراء وأهل هذا الميـدان أو أهل ولكنـها كلمات جاش بها خاطرى واعتملت فى نفسى والقصيدة بعنوان:

شيخ العلماء الشيخ محمد المبارك عبد الله

خاطرة عابرة

مـبـارك الاسـم أغـر اللقـب   شـريف المقاصـد عـالى المرتب
إمـام حـفـيـف وبحـر عـميـق   من العلم رمـز التـقى والأدب
لقـد كـان حـبـراً عظيم المكان   خـليـل المـواقـف والمـحتسب
أتتـه المعـارف ترخـى الزمـام   لتـعـطيـه للعـالـم المـرتقب
فـقـدناه فـقـد الربيع العـمـيـم   وفـقـد المحـاويج للمطـلـب
فـقـدناه لـو كـان فى وسـعنـا   فـدنيـاه عنا كبحـر الـذهب
أيـا رحـمـة الله هبـى وحلىّ   ضـريحـاً حـواه ممر الحـقب

٤٤٠ - كلمة الأستاذ إسماعيل العتبانى*

السادة الكرام.

الأخ البروفيسور مدير جامعة أم درمان الإسلامية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

قيل إن الأموات يستمعون كالأحياء واعتقد أن الشيخ محمد المبارك يستمع الآن للكلمات العظيمة التى قالها زملاءٌ له فقد قيل إن دخول الجنة يسبقها يوم الحساب ويوم الحساب ينسى الإنسان أقرب الناس إليه ونرجو أن يتذكرنا الشيخ محمد المبارك حتى نجاوره فى جنة الخلد.

نحن أولاد (أبوروف) وحى بيت المال سمعنا يوماً أن يافعاً قد حفظ القرآن وهو فى سن العاشرة وذهبنا إلى خلوة الشيخ النور والتحق أغلب أطفال الحى بالخلوة ليفوزوا بهذا الشرف .. كنت أنا فى الكتاب الأميرية وكنت أسعى بأرجلى إلى الخلوة وأعود متعباً فلم اشترك فى الخلوة كـ (حوار) منتظم ولكن كنت منتسباً وكنت أمر على الخلوة في أيام العطلة فقد حفظت من القرآن المقرر الذى درسته فى كتاتيب الحكومة وكنت أقدر الشيخ محمد المبارك الذى حفظ القرآن وبدأ بتدريس الطلاب.

ومضت الأيام وسميت الخلوة خلوة الشيخ محمد المبارك وفجأة سمعنا أنه قد عزم على الهجرة لمصر فأسفت وسررت أسفت

* إسماعيل العتباني : أحد رواد الصحافة السودانية الأوائل، ومنشيء صحيفة الرأى العام.

لفقد الحي رجلاً عظيماً مثل الشيخ محمد المبارك وسررت لأنه سيلحق بركب العلم والحضارة وأذكر لماذا أصَّر وهو لم يبلغ سن العشرين بالذهاب إلى مصر وفى ذلك الوقت قامت الثورة المصرية بزعامة سعد زغلول وامتدت شرارتها للسودان وفى ذلك الزمن تطلّع طلاب كلية غردون للسفر إلى مصر وتأثر بالشعور الوطنى الذى انتظم البلاد فى ذلك الوقت .. وكان أمام أمرين أن يذهب إلى مصر أو أن يبقى بالسودان لرغبة والده ولجأ لرجل يمكن أن يؤثر على والده وهو السيد عبد الرحمن الذى قام بالواجب وسافر الشيخ محمد المبارك إلى مصر وكان سيمنع إذا استمر قليلاً لأن الحكومة الإنجليزية فى عام ١٩٢٧م كانت تمنع الشباب من السفر إلى مصر وأذكر فى نفس العام سافر الفوج الأول من الطلاب لمصر من غردون وجمع المدير الطلاب وخطبهم فى لغة عربية ونعت الطلاب الذين ذهبوا إلى مصر بأنهم سفهاء خانوا الأسرة حتى أن بعض الطلاب استغربوا .. هذا كان الجو السائد فعلاً. وهناك نافس الطالب المصرى وتفوق عِليه فالطلاب المصريون مستعدون للتعليم بحكم أقدمية الأزهر ولكنه نافسهم وتغلب عليهم وكان الأول فى كل سني الدراسة ونال كل درجات الأزهر حتى الدكتوراة. وكان الشيخ شلتوت يقول إن الشيخ المبارك عالم فى أعلى المستويات.

مؤلفات الشيخ المبارك هى خير ما يدرس لهذه الأجيال لأن

حياته كتاب مفتوح ويحوى لغات علمية وأرجو من رجال التربية في هذا البلد أن يهتموا بسيرة الشيخ المبارك ويدرّسوها في المعاهد المختلفة.

عند عودته كان يعقد حلقات في منازلنا وأحياناً في مسجد (أبوروف) نجلس عنده بعد صلاة المغرب و (نتونس) وعندما نغادر الجامع نشعر بأننا تزودنا بذخيرة علمية كبيرة جداً لأن الفكر الإسلامى امتزج فى حياة هؤلاء الأساتذة وبقيت (ونستهم) دروساً يلقونها على الناس ويستفيدون منها ومعه الشيخ يوسف الترابى الذى يقول إن العقيدة الإسلامية قد امتزجت بدمه ولحمه وتغلغل الفكر الإسلامى فى أعصابه والشيخ المبارك امتزجت الفكرة الإسلامية والعقيدة الإسلامية فى كيانه.

وهذا يدلنا على أن الشيخ محمد المبارك اتصف بصفات عظيمة وهى صفة الإشادة بزملائه العلماء وهو دائماً يذكر زملاءه العلماء بالخير.

كان يقوم برحلة قبل المغرب على شواطئ النيل عادة من الوابورات فى حى الدباغة وكنت أحياناً أرافقه وكنت أشعر أنه يقوم بهذه الرحلات للتأمل فى الكون وكان يقول ساعة من التأمل خير من الساعات الخاملة وهو دائماً يكون مع مخلوقات الخالق.

من الأشياء التى كان يذكرها اهتمامه بالمؤذن وكان يقول إن

هناك ألوفاً من المؤذنين فلو التزم المؤذن بمعانى الأذان والتزم المصلون بمعانيه لأزيل كثير من البلايا التى تصيب البلد .

واعتقد أن الأذان يقوم من المنزل .. أنت تصلى وأولادك نيام ويجب الغوص فى معانى الأذان لازالة الكثير من الأذى الذى يبدأ من المنزل ويستمر إلى السوق ودواوين الحكومة والجامعات والاتحادات النقابية فى كل مكان .

السودان كان يوماً ما زهرة بين الدول التى تحيط به من بينها مصر الأزهر فهذا كلام صحيح وعندما زار الأمين العام للأمم المتحدة أم درمان عام ١٩٦٣م قال : « أم درمان أنظف من فلادليفيا » . فالسودان كان نظيفاً جداً والآن وبعد أن أعلنت الشريعة بدأ يحتل مكانه الأول لذلك يجب أن نعود لإحياء جذورنا الأولى وإحياء لذكرى الشيخ محمد المبارك ويجب أن نهتم بالأذان ونطبقه ابتداء من البيت وحتى آخر المشوار .

كلمة الأستاذ أحمد إسماعيل شيلاب*

إن الأمم والشعوب الحية لا تغفل شأن السلف من عظمائها وبناة مجدها لتبنى حاضرها على أساس وطيد، فإن حياة الأمم لا تعرف الفراغ وإنما هى متصل بعضها ببعض وبناء مرصوص شامخ على أساس متين وعلماء الإسلام خاصة فى هذا العصر الحديث الذى أُبتليت فيه الأمة العربية والإسلامية بالاستعمار الغربى وما مهد له فصاحبه من احتلال عسكرى وغزو فكرى واستلاب ثقافى كان نصيب أهل العلم الإسلامى يسيراً جداً، علماً بأن مكانة العلماء فى الإسلام كما يبين الكتاب العزيز والسنة وسيرة السلف مكانة عالية قال عز من قائل ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما: « هي خمسمائة درجة » أى رفعه رفعة العلماء فوق سائر المؤمنين ومن المشهور أن نبى الإسلام الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه كان يولى العلم وأهله من الاهتمام والرعاية ما لم يعرف عن أحد مثله مدى قرون التاريخ وهو القائل موت العالم نجم طمس وشمس غربت لموت قبيلة أهون علىّ من موت عالم .. أو كما قال صلوت

---

* أحمد إسماعيل شيلاب : ولد بأم درمان وتخرج في الأزهر الشريف كلية اللغة العربية، شغل مناصب اعلامية متعددة منها منصب وكيل وزارة الاعلام، وهو باحث وكاتب في العلوم الإسلامية، وقد انضم لهيئة التدريس بجامعة الأحفاد أخيراً.

الله عليه ومن ثم فإن هده العناية بحياة العلماء وتوثيق آثارهم التى تقوم بها جامعة أم درمان الإسلامية عمل جليل وحقيق بالشكر والتقدير ونسأل الله أن يتقبله كسنة حسنة للعاملين بها أجرها وأجر من عمل بها مستمر.

أما الحديث عن شيخنا وشيخ علماء السودان العلامة محمد المبارك عبدالله فلا يستطيع من عرفه أن يؤتيه حقه فى عجالة وضيق من الوقت لأنه كان ـ رحمه الله ورضى عنه وأرضاه ـ بحراً فى العلم وسمواً فى الخلق وصدقاً فى القول واخلاصاً فى العلم، ظهر نبوغه مبكراً منذ الطفولة والصبا فحفظ القرآن وأجاد حفظه والتحق بالمعهد العلمي في أم درمان وقضى فيه ما شاء الله أن يقضى وتفوق على زملائه فى العلم كما تفوق بالأمس فى القرآن.

ولكن نفسه الطموحة تاقت إلى معين أعمق ومحيط أوسع فعزم على اللحاق بالأزهر والأزهر معقل اللغة والدين وكبقية العلوم الإسلامية والعربية طاول القرون وتعاقبت عليه الدول وانتظم وظل شامخاً يستوعب علوم الإسلام ويشع نورها فى أنحاء العالم فاعترف له العالم الإسلامى من أدناه إلى أقصاه بالمركز الأول فى مجال العلوم الإسلامية واللغة العربية لغة القرآن ولغة العبادة لجميع المسلمين وإن اختلفت لغاتهم وأعرافهم وقد أكبرت الأمة شأن الأزهر حتى ألحقته بمقدساتها فأصبحت تقول الأزهر الشريف كما تقول المصحف الشريف والحديث الشريف والحرم الشريف وقد

كانت نشأة الأزهر شيعية تبعية تبعاً للدولة التى انشأته دولة الفاطميين التى تأسست فى المغرب وامتدت إلى مصر وسمت حضارتها العامرة فى عهد المعز لدين الله الفاطمى أحد الخلفاء العلماء.

فتأسس الأزهر على مبادئ الإسلام بالمفهوم الشيعى الإسماعيلى ولكن لم يلبث إلا حقبة من الزمن حتى أضفت مصر طبيعتها المعتدلة وبعدها عن الغلو والإفراط والتفريط وساد فيه مذهب الجمهور وفقه أهل السنة والجماعة ولكنه لم يغفل آراء أهل المذاهب والنحل الأخرى من أهل الملة.

مهما يكن من أمر فقد سافر مولانا محمد المبارك عبدالله إلى مصر بعد امتناع من والده ـ رحمه الله ـ حتى استعان عليه بإمام الأنصار الكبير السيد عبد الرحمن المهدى فوافق الوالد مجاملة وتعزيزاً لذلك الزعيم أن يسافر ابنه إلى مصر للالتحاق بالأزهر وكان ذلك سنة ١٩٢٣م وهو يومئذ فى صغر سنه وقلة تجاربه مع حدة ذكائه المفرط وعزمه الحديد فاقبل على الدروس بكل قواه حتى اجتاز جميع مراحل الدراسة من أولها وأدناها إلى أعلاها وأسماها فاختصر زمن الدراسة وبعد تخرجه عمل فى مصر مرشداً وإماماً ثم مدرساً فى الأزهر وحصل على الشهادة العالمية وشهادة تخصص المادة القديم الدكتوراة حينذاك بلقب علامة الأزهر فى

العقيدة والفكر والفلسفة الإسلامية مع أنه كان يفكر من قبل أن يكون تخصصه فى الفقه ولكنه عدل عن ذلك إلى مجال يتطلب الذكاء وسعة الأفق والمقدرة على التحليل ومجادلة الأعداء والخصوم وقوة المعارضة والتمكن من البيان وهو ما يلزم فى هذا العلم أكثر من غيره، وقد كان الشيخ المبارك مسلحاً بهذه العدة لذلك تفوق فى دراسته العليا كما تفوق فيما قبلها من مراحل التعليم وعندما عمل أستاذاً بكلية اللغة العربية بالأزهر كان بعض طلابه يكبره سناً وحجماً

وأنت وإن خلقت نحيف جسم ** تفوق سواك فى عظم الدماغ

ومن الأزهر أُنتدب إلى المعهد العلمى بأم درمان ١٩٤٣م وفيه عرفناه أو قل رأيناه ونحن فى أول السلم التعليمى طلاباً أطفالاً أنا من الشمالية وكانت رغبتى الأولى أن التحق بمدرسة بخت الرضا ولكن مفتش مركز مروى الذى كان بيده اختيار من يذهبون إلى بخت الرضا لم يوافق وجادله ناظرنا الشيخ عثمان البارودى رحمه الله بأن هذا التلميذ متفوق ولا يصح تقديم غيره عليه وربما يكون جناب المفتش وَّقع سهواً فكتب درجاته أمام اسم آخر قال لا، ثم استدعاني فحضرت فقال المفتش الانجليزى للناظر أهذا هو قال نعم قال لا أوافق عليه لأنه صغير. المهم أننى رحبت برغبة والدى فالتحقت بالمعهد العلمى ولم أوافق على فكرة الإعادة فى المدرسة إذ لا معنى لها فى حالة طالب فى المقدمة.

أفادني المعهد ولكنى لمست فيه ما جعلنى أحس من الناحية الاجتماعية كأنه امتداد للخلوة التى فارقتها من سنوات وطبعاً هذا من تأثير السلطة الأجنبية وكراهيتها للثقافة والحضارة الإسلامية والعربية ولكنى فى هذا الوسط والذى هو فى جملته شبيه بوسط القرية والخلوة أكثر فيه بوسط المدينة والمدرسة لاحظت من على البعد أن أستاذين من أساتذه المعهد الذى كان يطلق عليه جامع يتميزان بمظهرهما وزيهما المنتظم وسمعت من الكبار أنهما من علماء الأزهر السودانيين وأنهما متفوقان فى العلم قبل تفوقهما فى المظهر والزى. كان أحدهما فى المعاش من وظيفة قاضى شرعى وكان فى سن الشيخوخة وهو صاحب الفضيلة السيد / أحمد الأزهرى وهو أول خريج سوداني في الأزهر بعد الفتح ابن السيد / إسماعيل الأزهرى مفتى السودان الأسبق ووالد الزعيم اسماعيل الأزهرى أما الأستاذ الآخر أنشط حركة وأعلى صوتاً لأنه كان فى سن الشباب ودون الكهولة ذلكم هو الشيخ محمد المبارك عبد الله، وتركت المعهد بعد فترة وجيزة ولكنى لم أترك طلب العلم وظلت صورة العلامة المبارك عالقة بذهنى واستمعت إلى أحاديثه الإذاعية وانجذبت إليها موضوعاً وأسلوباً وأداء وإلقاء فقد كان نموذجاً فريداً فى كل ذلك فأحببته وأعجبت به ولكنى لم أجلس إليه فى حلقة درس أو مدرج جامعى ولكنى أفدت منه أكثر مما

أفدت من كثيرين تلقيت عليهم التعليم في المعاهد والجامعات وعندما عملت فى الثقافة والاعلام فى البدء متعاوناً ثم موظفاً متفرغاً كان الشيخ المبارك يتردد على الإذاعة ويقدم لها أحاديثه الشيقة فى بداية الستينات ومن قبل ذلك، وتعرفته عن قرب فوجدت فيه بجانب العلم الغزير والأدب الرفيع رجلاً فاضلاً وصديقاً صادقاً ومعلماً يحس إحساس الأبوة نحو طلابه ومريديه فشرفنى بصداقته وامتدت هذه الصداقة زهاء ربع قرن من الزمان.

كان ـ رحمه الله ـ عالماً علامة بكل معانى هذه الكلمة لا على مستوى السودان فحسب ـ والسودان بحمد الله فيه علماء أفذاذ وإن حرموا الشهرة وقعدت ظروفهم عن التأليف والنشر – بل كان عالماً بارزاً على المستوى الأعلى فى الأزهر على حد تعبير الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت العلامة المجتهد بكفاية وعمق وشمول نظره وكان الشيخ شلتوت لا ينادى الشيخ مبارك إلا بلقب شيخ العلماء.

كان للشيخ مبارك من اسمه نصيب فكان مبارك الجهد والعمل وموفق السعى جاداً فى عمله دؤوباً على المطالعة كأنه اتخذ من الحديث الشريف (طلب العلم من المهد إلى اللحد) شعاراً مطبقاً كانت مهمته العلم وجده العلم وهزله العلم وشغله الشاغل العلم وهوايته العلم ويقظته وحلمه العلم، كان إماماً فى العلوم

الإسلامية على اختلاف فروعها وبخاصة فى التفسير والعقيدة وكان إماماً فى اللغة العربية نحوها وصرفها وبلاغتها كان لغوياً متمكناً وكانت له ثقافة عامة تتناول أشتاتاً من المعرفة قل أن تجتمع عند شخص واحد وكان شاعراً مجيداً وإن كان مقلاً وكان محاضراً من طراز فريد .

لقد استكتبته كتابه الأخير (مفهوم الإسلام والإيمان والاحسان) وقدمته بصفة رسمية إذ كان الكتاب من إصدارات مصلحة الثقافة بوزارة الثقافة والاعلام وكنت مديرها العام آنذاك وافق الشيخ الكبير على مقترحي وعلى العنوان وحرر الكتاب وكان يقول إنه مسرور أن يختم تأليفه بهذا الكتاب الذى هو من اقتراح ابنى فلان وكنت وما زلت أشرف به وكان الشيخ المبارك يحفظ كثيراً من الشعر يرويه ويشرحه ويستشهد به وكنت فى السنوات الأخيرة أقضى معه فترات فى التلقى والحديث والمناقشة والأنس وكان لا يضيق صدراً. بل كان يفتقدنى إذا غبت عنه قليلاً وكان يشرفنى بزيارته فى دارى ومعه نجله صديقى الأستاذ على محمد المبارك وصديقه الأديب المرحوم الأستاذ حسن زيادة صلاح وكان دائماً ممتع الحديث بقدر ما هو مفيد ـ عمل الشيخ المبارك فى التعليم النظامى أربعين عاماً عشرين فى مصر وعشرين فى السودان وعمل بعد المعاش كاتباً مجيداً ومفتياً متطوعاً لمن يستفتيه ومعلوم أنه شغل مناصب علمية رفيعة فى السودان على رأس جامعة

أم درمان الإسلامية التى نادى بها منذ ١٩٥٨م.

وكذلك شغل فى رئاسة الأزهر مناصب عالية ومقاماً رفيعاً.

وقد يظن البعض أن عالماً بهذا المستوى لابد أن يكون عابس الوجه شديد الطبع عفيف المعاملة لكنى وقد عرفته وصاحبته وصادقته السنوات الطوال أشهد بأنه كان من أرق الناس طبعاً وأكثرهم لطفاً وأحسنهم عشرة وأصدقهم لهجة وتواضعاً واعترافاً لصاحب كل حق بحقه أياً كان مع تمسكه بالعقيدة الإسلامية ودعوته للشريعة وانقطاعه للعلم والعمل به وإكبار أهله، كان يمزح ويمازح ويروى بعض الأشعار الغريبة والاشعار العامية التى حفظها فى الصغر فكان يردد فى أيامه الأخيرة هذا البيت :

مت بداء الصمت خير *** لك من داء الكلام

أو قول الشاعر :

زعمتنى شيخاً ولست بشيخ *** إنما الشيخ من يدب دبيباً

أو قول الشاعر :

قد أصبحت أم الخيار تدعى
على ذنباً كله لم أصنع
من أن رأت رأسى كرأس الأصلع
ميز عنه قنزع عن قنزع
مر الليالى واختلاب الاربع

ويعلق ضاحكاً متسائلاً (من قال أن الخضر والياس جلاس فى البحر هذه خرافة).

إنني لا أريد أن أنهى هذا الحديث قبل أن أقدم بعض المقترحات تأكيد لهذه التحية التى قام بها العلماء والأدباء من عارفى فضل هذا العالم الجليل والأديب الكبير الذى نشر زهاء عشرين مؤلفاً جليلاً مع التحقيق والتدقيق.

١ / طبع كتبه وأعماله الكاملة التى فقد منها الكثير وحبذا لو طبعت طبعتين إحداهما فاخرة للإفادة منها فى الأوساط العلمية الإسلامية وأخرى ميسرة الثمن لينتفع بها الجمهور الكبير.

٢ / أن يطلق اسمه على شارع من شوارع العاصمة السودانية عامة وأم درمان خاصة التى أحبها وحن إليها عندما ابتعد عنها وقصيدته وهوطالب بمصر :

(حننت إلى أم درمان أمطرها الحيا
وأوفت لبيت المال منها هواطله)

٣ / أن يخلَّد اسمه فى جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان وكل جامعة سودانية بتسمية قاعة أو مدرج باسمه.

٤ / أن تخصص جائزة باسمه فى الدراسات الإسلامية وكذلك جائزة أخرى فى الدراسات اللغوية والأدبية العربية وهذا أقل ما يكون وفاء وعرفاناً وحفزاً للأجيال الصاعدة حتى يكون شعارها :

إنا وإن أحسابنا كرمت *** لسنا على الآباء نتكل

نبنى كما كانت أوائلنا *** تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

إن هذا العالم العلامة العظيم والأب الرحيم خرّج فى الأزهر بمصر وفى جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان وبجامعة القاهرة فرع الخرطوم - سابقاً - ومن خلال كتاباته وإذاعاته وارشاداته وفتاواه الكثير والكثير جداً من أهل الأدب والثقافة بل من كبار العلماء والأدباء ويكفى أن يضرب لذلك مثلاً من علماء مصر هما العلامة الداعية الكبير فضيلة الشيخ محمد متولى الشعرواى والعلامة الباحث الشيخ عطية صقر وكان من طلابه فى كلية اللغة العربية بالأزهر وفى السودان يكفى العلامة فضيلة الشيخ محمد على الطريفي والعلامة الأستاذ أحمد البيلى وغيرهما كثير لا يسع المجال للاحصاء والحصر.

أما أنا طالبه وابنه وصديقه فسأظل أذكره وأشكره واسأل له الفردوس الأعلى مع الصديقين والنبيين والعلماء العاملين ورثة النبيين.

عليك سلام الله قيس بن عاصم

سلام امرء أوليته منك أنعما

وما كان قيس هلكه هلك واحد

ولكنه بنيان قوم تهدما

وسلام عليك فى الخالدين سلام قولاً من رب رحيم وسلام على المرسلين والحمد الله رب العالمين.

الفصل الثالث عشر

الشيخ مجذوب مدثر الحجاز

١٩٠٥ - ١٩٨٥م



الشيخ / مجذوب مدثر الحجاز

القسم الأول

التعريف بالشيخ

ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول : اسمه ونسبه وأسرته.

المطلب الثانى : نشأته وبيئته.

المطلب الثالث : تعلمه.

المطلب الرابع : جهوده العلمية وتلاميذه.

المطلب الخامس:نشاطاته العامةوأعماله الأخرى.

المطلب السادس : وفاته.

المطلب الأول: اسمه ونسبه وأسرته:

ولد الشيخ المجذوب بأم درمان سنة ١٩٠٥م واسمه محمد مجذوب إلاّ أنه أُشتهر باسم المجذوب، والده الشيخ مدثر إبراهيم الحجاز كان من أعلام دولة المهدية وكان عنده خاتم الخليفة عبدالله التعايشى الذى يوقع به على ما يصدره من منشورات وعندما احتل الجيش الانجليزى المصرى البلاد تسلم منه كتشنر هذا الخاتم وينتمي أجداده إلى قبيلة الكمالاب وموطنهم بربر بالولاية الشمالية وهم معروفون بالعلم والتقوى، والشيخ مجذوب هو الابن السادس والثلاثون لوالده الشيخ مدثر إبراهيم الحجاز.

تزوج أولاً بابنة خالته (مدينة بنت السيد بن أحمد بن محمد الحاج حمد) وهى والدة ابنه وخليفته الشيخ مدثر مجذوب وله منها بنتان (آمنة) و (السيدة) وتوفيتا صغيرتين، وبعد وفاة (مدينة) تزوج عائشة بنت الفكى على حسن من الأشراف أما أبناؤه بحسب السن والمؤهلات فهم:

آمنة : توفيت وهى صغيرة.

السيدة : توفيت وهى صغيرة.

مدثر : دراسات إسلامية جامعة أم درمان الإسلامية وقد تلقى العلم عن والده وهو خليفته.

علوية : ربة منزل (ثانوى).

مدينة : دراسات إسلامية جامعة أم درمان الإسلامية.

زينب : هندسة الكترونيات جامعة السودان.

خديجة : توفيت ولها ابن، دبلوم الشريعة جامعة أم درمان الإسلامية.

سليمان : ليسانس آداب جامعة القاهرة، لغة عربية.

محمد : تاجر بسوق أم درمان (ثانوى) .

فاطمة : تنظيم إدارى، ١٠الأحفاد .

وللشيخ عدد من الأحفاد يقصر المجال عن ذكرهم.

المطلب الثاني : نشأته وبيئته:

نشأ الشيخ المجذوب فى مدينة بربر بلد آبائه وأجداده الذين ما زالت آثارهم العلمية موجودة بها ونشأ فى بيت علمى كبير وكان لأجداده مؤلفات علمية مخطوطة الآن ومكتوبة بخط اليد.

عاش الشيخ المجذوب حوالى ثمانين سنة وقد كان لنشأته فى بيت يعشق العلم خاصة العلم الدينى أثر كبير فى تكوين شخصيته العلمية الفذة وقد عاصر فى حياته أواخر عهد الحكم الإنجليزى المصرى وقد كان له دور فعال فى الوقوف فى وجه المستعمر وهو فى ريعان شبابه، كذلك عاصر فترة الاستقلال من الاستعمار والحكومات الوطنية المتعاقبة مروراً بالحكومة الأولى فحكومة عبود ثم اكتوبر فالحكومة التى أعقبتها فحكومة مايو.

وكان طوال هذه الفترة من عمره مساهماً فى تنمية البلاد العلمية حيث شارك بفاعلية فى تعليم أجيال عديدة من أبناء الوطن.

المطلب الثالث : تعلمه :

تلقى الشيخ المجذوب أول ما تلقى من العلم على والده الشيخ مدثر إبراهيم الحجاز ثم بعد ذلك وبعد أن حفظ القرآن الكريم وهو فى الحادية عشرة ألحق بالخلوة ثم تلقى الفقه الشافعى والفقه المالكى بمدينة بربر وقد حفظ القرآن بروايتى حفص والدورى.

فى مراحل حياته العلمية نجد أن الشيخ المجذوب قد انتقل من بربر إلى مدينة أم درمان حيث التحق بمعهد أم درمان العلمى وألحقه الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم مباشرة بالسنة الرابعة حسب نظام المعهد الذى تصل الدراسة فيه إلى اثنتى عشرة سنة.

وقد كان الشيخ مجذوب مبرزاً فى أول عهده بالمعهد حيث كان ترتيبه الأول من أول سنة التحق فيها بالمعهد إلى أن تخرج فيه عام ١٩٢٨م وقد تخرج متخصصاً فى الفقه واللغة العربية بجميع فروعها.

المطلب الرابع : جهوده العلمية وتلاميذه :

عمل الشيخ المجذوب بعد تخرجه من معهد أم درمان العلمى أستاذاً بالمعهد ثم أستاذاً بكلية الدراسات العربية والإسلامية ثم محاضراً بجامعة الخرطوم بقسم الشريعة ثم نائباً لمدير جامعة أم درمان الإسلامية.

وقد كان له دور بارز فى تحويل معهد أم درمان العلمى لجامعة أم درمان الإسلامية أثناء توليه مشيخة المعهد فى الفترة من ١٩٦٣ ـ ١٩٦٥م. ويعد آخر شيخ تولى رئاسة مشيخة معهد أم درمان إذ تحول المعهد بعد ذلك وفى عهده إلى جامعة أم درمان الإسلامية.

من الانجازات المهمة التى قام بها أنه وفى عهد رئاسته للمعهد تمكن من فتح فروع للمعهد في جنوب السودان وزاد نشاط المعهد فى جنوب السودان حيث تطورت معاهد الاستوائية فى كل من جوبا وتوريت وياي ومريدي ويامبيو وكذلك معاهد أعالي النيل بكل من ملكال وكدوك وفنجاك ومعاهد بحر الغزال فى كل من واو ورمبيك واويل. وقد استطاع فى عهده أن يجتذب أعداداً من غير السودانيين للمعهد العلمى للدراسة فيه وبذلك صار المعهد قبلة لطلاب الدول الافريقية وقد بلغت جملة الطلاب الذين تلقوا دراستهم فى عهده فى العام الدراسى ٦٣ / ١٩٦٤م ستة وسبعين طالباً من دول يوغندا ونيجيريا والصومال وحضرموت وأثيوبيا وتشاد ومصر والسنغال واريتريا.

أما تلاميذه فهم كثر نذكر منهم بعض الأعلام وهم على

ثلاثة أنماط بعضهم درس عليه بالمعهد العلمى وبعضهم بالجامعة الإسلامية ويأتى تلاميذه فى الطريقة التجانية وهم الغالبية وهم الذين تلقوا العلم فى داره.

وتلاميذه فى المعهد العلمى منهم الشيخ الحاج محمد الجعلى شيخ الطريقة القادرية والشيخ محمد الحسن الادريسى شيخ الطريقة الادريسية والشيخ دفع الله الصائم شيخ الطريقة القادرية والشيخ صديق عبد الحى مفتى الجمهورية الأسبق والشيخ مصطفى محمد على مفتى الجمهورية السابق والشيخ الطريفى محمد على من جامعة القرآن الكريم والشيخ مصطفى عبد القادر والشيخ حسن محمد أبو اذنين، والدكتور بابكر البدوى دشين عميد كلية اللغة العربية بجامعة أم درمان الإسلامية ويأتى تلاميذه الذين درسوا عليه فى جامعة أم درمان الإسلامية وابرزهم البروفيسور على أحمد محمد بابكر مدير جامعة أم درمان الإسلامية والبروفيسور أحمد على الازرق نائب مدير جامعة أم درمان الإسلامية والدكتور أحمد على الإمام مستشار رئيس الجمهورية لشئون التأصيل ود. أحمد عبد الرحمن محمد وراق جامعة أم درمان الإسلامية ود. موسى محمد حماد جامعة أم درمان الإسلامية ود. سليمان محمد أحمد جامعة أم درمان الإسلامية ومولانا عبد الوهاب الجعلى بالهيئة القضائية.

المطلب الخامس : نشاطاته العامة وأعماله الأخرى :

كان الشيخ المجذوب محبوباً من جميع من حوله من تلاميذه وسائر اتباع الطريقة التجانية بالسودان وخارج السودان حيث تم اختياره أستاذاً للطريقة بعد أن نصب شيخاً لها من قبل حفيد الشيخ أحمد التجانى الذى قدم من المغرب للسودان وخلفه على الطريقة التجانية وأعطاه الإذن فى منح الطريقة التجانية بالسودان. وكانت للشيخ المجذوب مزايا متميزة فى كل نواحى حياته وكان طيلة حياته العامرة بالزهد والتصوف يقسم وقته بعد حضوره من الجامعة من الصلاة فى المسجد وفتح داره للطلاب والسالكين للطريقة التجانية وفى القراءة بمكتبته العامرة وفى المساء يقيم حلقات الدرس بالمسجد وأثناء الليل كان يكثر الذكر ومؤانسة طلاب العلم بمنزله.

وقد كانت له نشاطات واسعة فى المجتمع بحكم ورعه وزهده عن الدنيا. وله مجموعة من المنشورات أهمها منشور موجه للدكتور مبارك الفاضل شداد رئيس الجمعية التأسيسية ورئيس لجنة الدستور وأعضاء الجمعية التأسيسية صدر فى ذى الحجة ١٣٨٦هـ الموافق ١٩٦٧م يطالب فيه بتحكيم شرع الله فى البلاد والعباد وله أيضاً رسالة صغيرة تسمى مختصر البيان فى تحديد الميقات المكانى لأهل جمهورية السودان وله مجموعة من المقالات الصحفية داخل وخارج السودان.

كما أن مكتبته ضخمة تضم حوالي ٧٥٠ ألف مجلد تشمل جميع مناهل المعرفة إضافة إلى المسيحية واليهودية وكافة العلوم الإنسانية، وكان يوجه طلابه بالاهتمام باقتناء الكتب لتكون لكل واحد منهم مكتبته الخاصة به، ويقول حكمته المشهورة «المكتبة تربى كالطفل إلى أن تنمو وتكبر» أى أن المكتبة لابد للإنسان أن يقتنيها كتاباً إثر الآخر.

المطلب السادس : وفاته :

توفى الشيخ المجذوب مدثر الحجاز وفاضت روحه الطاهرة إلى بارئها فى عام ١٩٨٥م وورى جثمانه الثرى بجوار مسجده بأم درمان بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال فى مجال العلم والالتزام بالنهج الإسلامى والشرع عن عمر مديد قدم فيه الكثير لمعهد أم درمان العلمى وجامعة أم درمان الإسلامية وللمجتمع عامة.

القسم الثاني

ليلة التوثيق

وتشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: تقديم.

المطلب الثاني: برنامج الليلة.

المطلب الثالث: كلمة الجامعة.

المطلب الرابع: كلمة الأسرة.

المطلب الخامس: كلمات وخواطر.

المطلب الأول : تقديم :

فى يوم الخميس السابع والعشرين من شهر صفر من عام ستة عشر واربعمائة وألف للهجرة (٢٧ صفر ١٤١٦هـ) الموافق الخامس والعشرين من يوليو من عام خمسة وتسعين وتسعمائة وألف للميلاد (٢٥/٧/١٩٩٥م) وبقاعة الإمام مالك بن أنس بمبانى الجامعة بالعرضة كانت الليلة التاسعة فى سلسلة ليالى توثيق حياة علماء جامعة أم درمان الإسلامية وهي لتوثيق حياة الشيخ مجذوب مدثر الحجاز.

وقد حضرها جمع غفير من المسئولين بالدولة ومديرى الجامعات وشيوخ الطرق الصوفية، وأسرة الشيخ مجذوب مدثر الحجاز وأساتذة وطلاب وطالبات وموظفى وموظفات جامعة أم درمان الإسلامية، وعدد كبير من المهتمين بتاريخ السودان وعدد من مراسلى الصحف ووكالات الأنباء.

وقد شارك في هذه الأمسية عدد من العلماء والأدباء ومعارف الشيخ وطلابه ومحبيه والمهتمين بشئون العلم والسودان. وقد كان لمشاركتهم الأثر الطيب في إنجاح الأمسية وفي امتاع وافادة الحضور وفي اضفاء البهجة والمسرة في نفوسهم. وقد تدارست اللجنة أمر تضمين هذا الكتاب جميع المساهمات ولكن لاعتبارات فنية اختصرنا على جزء من هذه الكلمات في مقدمتها كلمة الجامعة وكلمة الأسرة. واستفدنا من بقية المساهمات في تلخيصنا للمعلومات التي أوردناها في القسم الأول عن هذا الشيخ.

المطلب الثاني : برنامج الليلة :

١ـ القرآن الكريم .

٢ـ كلمة البروفيسور على أحمد محمد بابكر مدير الجامعة .

٣ـ كلمة الأسرة ألقاها الدكتور محمد مهدى مدثر الحجاز .

٤ـ كلمة الأستاذ عبد السلام الحجاز .

٥ـ قصيدة : الأستاذ محمد الأمين مجذوب مدثر .

٦ـ خاطرة : الشيخ محمد على الطريفى .

٧ـ كلمة الأستاذ مدثر مجذوب مدثر الحجاز .

٨ـ خاطرة : الأستاذ أحمد عبد الرحمن محمد .

٩ـ خاطرة : الأستاذ مصطفى طيب الأسماء .

١٠ـ خاطرة : الدكتور بابكر البدوى دشين .

١١ـ خاطرة : الأستاذ مهدى محمد سعيد .

١٢ـ خاطرة : البروفيسور أحمد على الأزرق .

١٣ـ خاطرة : الشيخ ضياء الدين العباسى .

١٤ـ فقرة : مدائح نبوية .

١٥ـ خاتمة : القرآن الكريم .

المطلب الثالث : كلمة الجامعة :

كلمة البروفيسور على أحمد محمد بابكر -مدير الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

الأخ الكريم السيد والى ولاية الخرطوم

الأخ الكريم محافظ محافظة أم درمان

الأخوة الوزراء، الأخوة السفراء، الأخوة العلماء، الأخوة الضيوف، أسرة الجامعة.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ،،

هذا هو لقاؤنا التاسع فى سلسلة لقاءاتنا لتوثيق حياة علمائنا الكرام الذين قادوا مسيرة هذه الجامعة منذ بداية هذا القرن بدءاً من الشيخ محمد البدوى وحتى الآن. تحدثنا واجتهدنا فى توثيق حياة ثمانية من العلماء، وهذا هو الشيخ التاسع .. وعندما نوثق لحياة علماء الجامعة الإسلامية نوثق لخلاصة العمل الإسلامى فى السودان منذ دخول المسلمين فى هذا البلد ودخول الإسلام هذا البلد مروراً بالسلطنة الزرقاء والثورة المهدية، وعندما أحتل الانجليز هذا البلد حملت هذه المؤسسة عبء حفظ علوم القرآن والسنة. الشيخ مجذوب مدثر الحجاز اسم عندما يذكر تبرز كل معانى الخير

والتقى والصلاح وعندما ندخل هذه الجامعة ونطوف فى رحابها وقاعاتها، فإن كل شئ يذكرنا بهذا العلم وهذا الطود الأشم من أعلام السودان، وقد ذكرنا فى أمسياتنا السابقة أن المكتوب من التاريخ لم يحوِ دورهم.

كان الشيخ مجذوب واسطة عقد بين هؤلاء العلماء، كانت كلماته تنفذ للقلب مباشرة، وتؤثر، وكل من جالسه واستمع إليه يعلم هذه الحقيقة. لأنها صادرة من قلب نقى تقى، فتفعل هذه الكلمات فعلها، وتؤثر. لذلك كان موفقاً فى تربية أجيال داخل الجامعة وخارجها. وكان له القدرة على اقناع طلابه لأنهم يحبونه ولأنهم يعلمون أنه صادق .ففى أشد ثورات الطلاب يستطيع بكلام موجز أن يقنعهم. واذكر موقفاً هو أننا رفعنا مذكرة بها مطالب، وكنا متحمسين لها فجلس واجلسنا أمامه وقال لنا سنحل لكم هذه المشاكل للأشهر الثلاثة القادمة، ثم ننظرها إن شاء الله. فقلنا نحن لا نريد الحلول المؤقتة فابتسم ابتسامة المؤمن وقال: يا أبنائى الحياة كلها مؤقتة فخرج الطلاب مقتنعين راضين.

درس الشيخ على مشايخ هذه الجامعة ابتداء من الشيخ محمد البدوى والشيخ أبي القاسم أحمد هاشم إلخ. وظل يعمل بالسودان إلى أن اختاره الله إلى جواره. وكان يتشوق إلى تلقى العلم داخل وخارج السودان. عندما قرر الطالب - حينها - محمد

المبارك عبدالله السفر للأزهر قام الشيخ مجذوب ـ الطالب حينها ـ بإحياء حفل وداع له وألقى كلمة ضمنها قصيدة كانت تنم عن أن نفسه تتوق للهجرة إلى العلم، ومن أبياته تلك قوله :

يـا ظاعنـاً وبـودى أن أرافقـه

اظعن ففي المجد مضمون لك الحسب

هذه القصيدة ودع بها أخاه الطالب محمد المبارك عبد الله وكان يتشوق أن يصحبه ولكنه اقتنع أخيراً أن يبقى فى السودان. هذه الروح تصور لنا العلاقة الطيبة بين طلاب العلم وبين العلماء فى ذلك الوقت كانوا يتخذون العلم وسيلة لتقوى الله سبحانه وتعالى فالسودان ومصر بلد واحد لا يستطيع أن يفرقهما أحد. وكان السودان يعطى مثلما كانت مصر تعطى فيذهب طلاب السودان ليدرسوا في الجامعات، وكان علماء الأزهر يحفظون للسودان فى عهد السلطنة الزرقاء أنهم أى ملوك السلطنة الزرقاء كانوا ينفقون على طلاب الأزهر ولعلنا نقف بعض الدقائق مع شاعر من شعراء الأزهر يشكر الملك «بادى» أحد ملوك السلطنة الزرقاء، ويتكلم عن عطائه للأزهر وكانوا يعتبرونه من أهم الرجال الداعمين للأزهر يقول ذلك الشيخ فى مطلع تلك القصيدة:

أيا راكباً يسرى على متن ضامر

إلى صاحب العلياء والجود والبرِّ

لك الخيرُ إن وافيت سنار قف بها
وقوف محب وانتهز فرصة الدهر
وأهد سلاماً عطَّر الكونَ نشرُهُ
ألذَّ من الماء المسلسل والقطر
إلى حضرة السلطان والملك الذي
حمى بيضة الإسلام بالبيض والسمر
هو الملك المنصور (بادي) الذي له
مدائحُ قد جلّتْ عن العد والحصر
سليلُ ملوك (الفونج) والسادة الأُلي
علا مجدهم فوق السماكين والنسر

وهى قصيدة طويلة توضح فضل ملوك السودان على الأزهر. ذكرنا هذا لنؤكد أن مصر والسودان بلد واحد وأن الأخذ من الأزهر كان يقابله عطاء من السودان وما كان يمن أحد على الآخر. وكان الشيخ مجذوب يحن للدراسة فى الأزهر ويقدر الله لمن يشاء من الطلاب الذهاب للأزهر.

الشيخ مجذوب كان مناصراً للشريعة الإسلامية فى كل الأحوال، فقد عاصر الانجليز والصحوة الإسلامية والاستقلال واكتوبر ومايو والانتفاضة وتوفى عام ١٩٨٥م. وكلما دعى لدعم الشريعة يستجيب من غير تردد ويصدر النشرات وينصح الحكام. ولم يتغير موقفه حتى انتقل إلى جوار ربه.

كان الشيخ مجذوب رمزاً لهذه المؤسسة، واليوم عندما نلتقى نحن الذين درسنا عليه، والذين عاصروه نتذكر مجمع العلوم ورمز الخلق والسلوك والقيم.

وعندما نتذكر الشيخ تتقارب النفوس وقد ترك الشيخ آثاراً علمية كبيرة ترك العلم فى الصدور، وترك المخطوطات التى سترى النور إن شاء الله.

وستقوم الجامعة بطباعة المخطوطات التي تركها إن شاء الله.

ندعو الله أن يقبل الشيخ قبولاً حسناً وأن يقبل من الجميع ما يعملون والسلام عليكم ورحمة الله.

المطلب الرابع : كلمة الأسرة :

قدمها الدكتور مهدى مدثر إبراهيم الحجاز ★

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ،،

الحمد لله على نعمه وآلائه، وأصلى وأسلم على خاتم رسله وأكرم أنبيائه، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحابته، والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين، وأسلم تسليماً كثيراً.

وبعد ،،

نحيى الذين أفنوا زهرة شبابهم فى سبيل العلم ورفعة الوطن العزيز فى شتى المجالات المختلفة وتقديرهم والاعتراف لهم بالجميل نتقدم لهذه الثورة المباركة التى وحدت الشعب ممثلاً فى رئيسها البطل وأعضائها الكرام وكل من تعاون معها فى إرساء ثورة الإنسان السودانى العلمية والثقافية التى تعود بالإنسان للجذور وجمعتهم على كلمة سواء مستظلين براية التوحيد وهدى الشريعة وجمعتهم على كلمة سواء، امتثالاً لقوله تعالى : (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء) الآية.

فعلماء الجامعة الإسلامية جمعوا بين الشريعة وهدى الإسلام وبين الحبل المتين الذى يربط الناس بماضيهم العريق فأخذوا قسطاً وافراً من الثقافات المختلفة .. وصاغوا الشعر الرصين العذب فى

★ هو الدكتور مهدي مدثر إبراهيم، خريج كلية دار العلوم بالقاهرة، محاضر بجامعة أم درمان الأهلية .

شتى الموضوعات فجاءوا بالاسلوب السهل الممتع وبالعجيب من سحر البيان وجزالة الألفاظ وعمق الخيال وصحة المعانى.

العلامة الشيخ العارف بالله مجذوب مدثر الحجاز، والذى تبلورت فكرة الجامعة الإسلامية على يديه والذى كان منزله العامر بحلقات الذكر، وتلاوة القرآن الكريم غاصاً بالطلاب والمريدين والأحباب.

كان يقوم بتدريس الفقه والتفسير، والحديث الشريف بمسجد والده الشيخ المدثر الحجاز بأبى روف، مواظباً على الاحتفال بمولد المصطفى (ﷺ) وبليلة الاسراء والمعراج، ودأب على ذلك ابنه المدثر الذى خلفه فى نشر الطريقة التجانية.

وقد تتلمذ على مولانا الجليل كثير من أهل الحى، وكثير من المواطنين من غير أهل الحى. وقام بنشر تعاليم الدين الحنيف وغرس العقيدة على الوجه المطلوب، فأنار العقول، وحرر النفوس وهدى الله على يديه الكثير من العباد.

وكان يعمل فى صمت واخلاص، مبتغياً وجه الله كارهاً تسليط الأضواء عليه وعلى ما يقوم به من عمل جليل من غير من ولا أذى.

وكان منزله بحي أبي روف يضم مكتبة كبرى تعد فريدة من نوعها، حوت أمهات الكتب قام بوقفها لله تعالى، حتى يتمكن

المسلمون من طلاب العلم ورواد المعرفة من الاستفادة بها والتزود منها، ونشر العلم بواسطتها وهى تعد من أكبر الموارد العلمية لمختلف أنواع العلوم. يبلغ تعدادها حوالى تسعمائة وخمسين ألف مجلد أو يزيد. تشمل علوم الكلام وتضم كتباً للظاهرية، وأهل السنة، والفلسفة، وأهل التنظير، والمفكرين، كما تضم كتباً كثيرة فى تفاسير القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والفقه على جميع المذاهب، والفقه المقارن، والقانون الدستورى والأنظمة السياسية، والتاريخ والمنطق، والبلاغة والسيرة، وعلم النفس، والثقافة العامة، والعلوم التطبيقية، وعلم الفرائض، والأدب، والعروض، والقوافى، كما تضم مخطوطات علمية كثيرة، لم تجد طريقها إلى النشر.

لقد اهتمت الدولة بهذه المكتبة اهتماماً كبيراً يليق بمكانتها العلمية، ودورها العظيم، فزارها الأخ الوالى، وعقد بمكتبه عديداً من الاجتماعات لتطويرها، وتسهيل الاستفادة منها للمواطنين، وتمكينهم من جنى الثمار منها بأيسر الطرق. لتعم فائدتها، ولتكون صدقة جارية لصاحبها إن شاء الله. وتبنى الأخ الوالى لمدينة الخرطوم ورفاقه - جزاهم الله خيراً - مشروع تشييد صرح شامخ لهذه المكتبة بداخل مسجد والده الكبير الشيخ مدثر الحجاز، وتنظيمها واخراجها بالصورة المشرفة لتنهض بدورها الحضارى، وتؤدى رسالتها على الوجه المطلوب. وقد اكتملت

الاعدادات لانجاز هذا المشروع الضخم. حتى تكون مكتبة عامة ليستفيد منها جميع المواطنين.

وللمكتبة علاقات خارجية، وتبادل فى الوثائق. وعلى سبيل المثال، التبادل بينها وبين دولة الكويت، ومع المركز العربى للدراسات الأمنية والتدريب بالمملكة العربية السعودية ـ ومع جمهورية مصر العربية بالأزهر الشريف ومع بريطانيا، والمملكة المغربية.

وتقع هذه المكتبة فى قسمين: القسم الأول هو الأكبر بأم درمان. والقسم الثانى بمدينة بربر. بلد آبائه وأجداده ـ بمسجده هناك. والذى شيده على نفقته الخاصة. والذى تقام فيه جميع الصلوات المفروضة والجُمع. وتقام فيه الأذكار والاوراد الخاصة بالطريقة التجانية والدروس الدينية الأمر الذى بصّر المواطنين بأمور دينهم الحنيف، ورفع مستواهم الثقافى والاجتماعى.

«وللأوطان فى دم كل حرٍ *** يد سلفت ودين مستحقُ»

ولنرجع إلى ما كنا بصدده من حديث.

قال الشيخ عندما عاد زميله الأستاذ محمد المبارك عبدالله مبعوثاً من الأزهر إلى السودان ـ أستاذاً، ومعلماً بمعهد أم درمان العلمى قصيدة عصماء رحب فيها بمقدم صديقه وزميله، ذاكراً الأيام الخوالى، وسهر الليالى التى قضياها فى البحث والمثابرة على

الطلب والجد، والاستذكار، وتحصيل العلم، والمعاناة التي واجهتهما فى سبيل ذلك، مضمناً فيها قول الشاعر :

يغوص البحر فى طلب اللآلى
ومن طلب العلا سهر الليالى

والتى ابتدأها بقوله:

بشرى، فقد عاد صفو العيش واتصلت
بنا المسرة، والأحزان قد ذَهَبتْ
وشرف الربع بدر كامل وفتىً
ذو همة كملت، بالمجد قد كلِفَتْ

يقول الأستاذ محمد المبارك عبدالله فى كتابه (تاريخ التعليم الدينى فى السودان) .. « وكان من نشاطات طلاب المعهد الثقافية - فى أول عهد المعهد - ذلك الاجتماع المبارك للمطالعة فى كتب الأدب، بساطة وحرية من غير تكلف ولا رسوم يجتمع فى محل إقامة الشيخ إبراهيم بن النور، بحي السوق الكبير، أو حى العصاصير - نفر من كبار طلاب المعهد، أذكر منهم الشيخ على بخيت، والشيخ مجذوب مدثر الحجاز، والشيخ يوسف إبراهيم النور، والشيخ إبراهيم يعقوب، يقرأ أحدهم فى كتاب الكامل للمبرد. أو الأمالى لأبى على الغالى، أو البيان والتبيين للجاحظ، أو المحاسن والاضداد، أو مقامات الحريرى، أوجزء من صبح الأعشى،

أو الاغانىَ، أو غير ذلك من الكتب، ودواوين الشعراء، ومختارات الكتب، ويستمع الباقون ويتفهمون، ويعلقون. ويرجعون إلى القاموس، أو اللسان أو المصباح أو غيرها من كتب اللغة، التى تكون قد استعيرت من الكتب التى تطالع فيها من مكتبة المعهد العامرة. وأعدت للكشف عن معنى ما يعرض لهم من غريب اللغة، وضبط ما يحتاج إليه من ضبط الاعلام».

وقد ولد مولانا الشيخ المجذوب بأم درمان سنة ١٩٠٥م ونشأ فى مدينة بربر، بلد آبائه واجداده، الذين ما زالت آثارهم العلمية موجودة بها، بدءٍ بجده الحجاز، الذى ينتسب إلى قبيلة الكمالاب. نشأ الشيخ فى بيت علمى كبير. وكان لأجداده مؤلفات علمية فى داخل المكتبة بخط اليد.

وبعد أن حفظ القرآن الكريم فى سن الحادية عشرة ببربر، درس العلم على يد والده الشيخ المدثر، وعلى بعض العلماء الذين كانوا فى تلك الفترة ببربر. أمثال الشيخ أحمد حميدة - والذى كان له دور كبير فى نشر العلم بمدينة بربر، وكذلك الشيخ ود السيد، الذى كان متخصصاً فى الفقه الشافعى، وجميعهم كانوا من خريجى الأزهر، وبعد سنوات قليلة هاجر إلى مدينة أم درمان لمواصلة طلب العلم بالمعهد العلمى بأم درمان والذى كانت الدراسة فيه تصل إلى اثنتى عشرة سنة، وكانت الدراسة فيه قائمة

على نظام الأزهر الشريف بمصر، وتخرج مولانا من المعهد متخصصاً فى الفقه واللغة العربية بجميع فروعها، وكان من المبرزين فى دراسته منذ التحاقه بالمعهد إلى أن أكمل دراسته. وكان والده الشيخ المدثر من أعيان الطريقة التجانية، فأخذ الطريق عن والده، وبدأ يعمل على نشرها، ونشر العلم معاً. منذ أن كان طالباً إلى أن توفاه الله. سنة ١٩٨٥م فاتجه بالطريقة اتجاهاً علمياً وجعلها منبراً للدعوة الإسلامية. ومحاربة الشعوذة والبدع. وكان له دور حاسم فى كثير من المواقف الوطنية، قبل وبعد استقلال السودان. فخاطب الأمة السودانية ـ على سبيل المثال ـ فى أول برلمان سودانى باختيار الإسلام حكماً، والشريعة الغراء مصدراً لذلك الحكم، منددأ بالقوانين الوضعية المرتبطة بالاستعمار وكانت له محاضرات عامة بالاندية والمساجد يحارب فيها أهل البدع والخرافات.

أما منهجه فى التصوف فكان تحت شعار (من تصوف بغير علم فقد تفسق ومن تعلم من غير أن يتصوف فقد تزندق).

وكان حريصاً على أن يجمع بين العلم والعبادة، وكان له تلاميذ كثيرون فازوا بدراسة السلوك على يديه، متحلين بالعلم والدين، ملتزمين بالنهج الإسلامى والشرع الحنيف، قولاً وعملاً، استفادت منهم البلاد فى شتى المجالات.

وفى الختام لا يفوتنى أن أزجى خالص الشكر وعظيم الثناء لجامعتنا الإسلامية الفتية، الوفية لقيامها بحق أساتذتها وبُناتها الاوائل، وتخليد ذكراهم، وعلى رأسها ابنها البار الهمام الوفى البروفيسور على أحمد محمد بابكر والذى ازدهرت فى عهده الجامعة الإسلامية، وعم نورها الآفاق، واصبحت منارة كبرى للعلم يؤمها الطلاب من كل أنحاء المعمورة ينهلون من معينها الصافى، ويرتوون من سبيلها العذب الزلال - والشكر موصول أيضاً لجميع القائمين عليها، مع تمنياتنا لهم بدوام التوفيق، وتسديد الخطى فى كل ما يعود بالخير لرفعة بلادنا الحبيبة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

المطلب الخامس : كلمات وخواطر :

القصيدة التى ألقاها الأستاذ محمد الأمين مجذوب مدثر الحجاز ★

غاب عنا عميدنا المحبوب ... بطل العلم والتقى مجذوب
فقده فقد أمة فى إمام ... فهو فقد له تهون الخطوب
نعيه شقّ للمحبين حتى ... كاد حزناً له الفؤاد يذوب
ما فقدناه وحدنا فهو جسر ... فقدته قبائل وشعوب
هو فقد الإسلام فى كل قطر ... وهو حتم مقدر مكتوب
شيعته الاحرار تشييع حر ... وعلا منهم البكا والنحيب
وبكته فى كل دار أناس ... ونعاه لكل جمع خطيب
إن مجذوب من نشأ كان فخراً ... أمره فى الحياة أمر عجيب
جاء من صفوة لأم خَيار ... قرشيين مجدهم لا يغيب
جده المصطفى الذى طاب اصراً ... ومقاماً فهو الحسيب النسيب
ونما من أبٍ عزيز كريم ... هو في ذي الحياة فردٌ أديب
عالم عاملٌ شجاعٌ مهابٌ ... يعبد الله والإله مثيب
وهو فى الناس درة منتقاه ... عقدها فى الحياة عقد غريب
قد حوى سادةً كباراً فخاماً ... كان راجى نوالهم لا يخيب
فعلهم فى الحياة فعل جميل ... رأيهم فى الحياة رأى مصيب

★ الأستاذ محمد الأمين مجذوب : ابن اخت الشيخ، من مواليد ام درمان، يعمل معلماً بوزارة التربية والتعليم.

مجدهم فى الحياة مجد اثيل   كفهم فى الحياة كف رحيب
جعلوا هذه الحياة طريقاً   لجنان بها الحياة تطيب
طلب العلم منذ فجر صباه   ما ثناه عنه زمان عصيب
واسع العلم فاضل اريحى   وله قل فى الحياة الضريب
خاشع مصلح ذكى ابى   وهو بالذكر واليقين طروب
ذو بيان فى الدين سمح فريد   وبه الضال للرشاد يثوب
كان مجذوب بيننا بحر علم   فيضه وابل غزير سكوب
وهو كنز للعلم فيه اقتدار   قوى العرض منه والاسلوب
نشر العلم فى سخاء وبذل   فهمى علمه وصار يصوب
إن طلابه الكثيرين كلٌ   عنه فى مجلس العلوم ينوب
كان يلقاهم بصدر رحيب   وبنفس على الدوام تطيب
لدروس التفسير كان لزيماً   وهو منذ الصبا حريص دؤوب
قد عرفناه ثاقب الرأى نهماً   بعدت عنه فى الحياة الذنوب
طهرت نفسه فجاء نقياً   لم تدنسه فى الحياة العيوب
راقب الله فى الأمور بصدق   وله الله فى الأمور رقيب
ولقد كان فاضلاً وأميناً   وكريماً قد زانه التهذيب
جذبته يد العناية جذباً   فهو لله والتقى مجذوب
ذو مقام بين الأنام فريد   والمقامات فى الحياة ضروب
يذكر الله حين مرآه فرداً   فبمرآه تطمئن القلوب
حين مرآه يذهب الحزن عنا   وبمرآه كم تزول الكروب
دربه فى الحياة درب فريد   حين شتت فى ذى الحياة الدروب

كـان عن كل مـا يشين بعـيـداً وهـو لـلـه عـــابـد وقـــريـب
ولقـد كـان في الأمـور حكيـمـاً وهو للمـصطفى الأمين حـسـيب
كم لأرض الحجـاز يحـدوه شـوق عـــرفـــتـــه وديانة والكـثـــوب
أودع السـر فـيـه مـذ كـان طفـلاً وهـو سـر مكتم مـحـجـوب
كـان يخـفـيـه ليس يبـديه إلا حين بالذكـر يشـمل المشـروب
كان حتى الممات سمحاً شجاعاً حـفـه ذلك الجـلال المهـيب
وعـلا وجـهـه الجـمـيل وقـار وبهـاء به يسـر الكـئـيـب
ولقـد كـان ثابتـاً مطمـئناً لونه الغض مـا عـلاه شـحـوب
يرتدي ثوب عـزة وفـخـار لم تشـوهه في الحـيـاة الشـقـوب
إن اصـحـابه طوالع سـعـد هو في الله منهم مـحـبـوب
ولهم كـان راعـيـاً ومـحـبـاً وهو في الله عندهم مـرغـوب
ولهـم كـان مـرشـداً ومـعـيناً فـقـده مؤلم عـسـير صـعيب
فـوضـوا الأمـر للإله ولولا ذاك شقت لدى المصاب الجيوب
نحـن لـلـه وهـو بـر رحـيـم ولـه كـلـنـا عـبـاد نؤوب
اكـسب الله من فـقـدنا رضـاء وثـوابـاً والـلـه نـعـم المثـيـب
وحـيـاة الفـردوس يختـال فـيـهـا نـزلاً مـنـه وهـو نـعـم المجـيـب

٤٨٧

خاطرة الشيخ محمد على الطريفى *

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نحييكم أيها السادة الأماجد فى هذه اللحظات التى أنتم تجتمعون فيها على إحياء ذكرى علم من علماء هذه الأمة فضيلة الشيخ وأستاذى ومعلمى محمد المجذوب مدثر الحجاز. تحية لك يا سيدى وأنت إلى جوار النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

احييكم باسمى وباسم جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية باسم كليتها الأصل كلية القرآن الكريم احييكم من كل قلبى الذى يكن لكم شعوراً طيباً فما أعظمه من لقاء وما اكرمه من اجتماع نلتقى فيه هنا معاً لنشر عبير سلفنا من علماء هذه الأمة الذين اصلحوا البلاد وسعدت البلاد بهم.

إنه لمن دواعى الغبطة أن نذكر بالعرفان ما لهذا الشيخ من مآثر لا اقول كما قال بعضهم

ذهبوا فليس مسائلاً عن دارهم

انا باقع نفسى على آثارهم

إنما اقول .. ذهبوا فإنى سائل عن دارهم

انا باقع نفسى على آثارهم

---

* تقدمت ترجمته حين الحديث عن الشيخ محمد المبارك عبدالله.

فرحمة الله عليك يا أستاذى ويا شيخى وإننى إذ اذكر فيه حبات العقد التى طوقت بها عنقك وأنت بين تلاميذك وبين محبيك ومريديك.

هذه الحبات التى اريد أن المح فيها ولم اكن آتياً بجديد وإنما سبقنى فى هذا المضمار من سبقنى من أهل الحديث وأهل الكلام الذين أخذوا منه الكثير.

إنى إذ اقول ذلك إنما احوم حول الحمى الذى حاموه أول حبة فى عقده الذى طوق به عنقه وازدانت به صفحات صدره سمت ذلك السمت الذى ينبى عن الخشوع والخضوع وعن الهدى والتقى وعن العلم والارشاد وكأنما هو المعنى بهذا القول :

تصحب شيخاً عارف المسالك.

نعم هذا السمت الذى عليه نرى علائم الهدى والصلاح ويلوح على هذا الجبين الوضاح يسرى نوره من جبينه إلى قلب من رآه ..

أما الحبة الثالثة فهى علمه فوجدنا فيه هذا العلم الجم وهذا التحقيق المتين والاطلاع الواسع فلم يكن شيخناً إلاّ موسوعة من العلم ومكتبة تتحرك على قدمين يبصرها الناس فى شخص إنسان آدمى علمه فيه تثبت فهو العالم المدقق الذى تفرد بفك عقد المسائل.

نعم إنه العلم الذى تفيض به جوانحه وينبض به قلبه وتتحرك به خفقات نفسه.

ينشره بين طياته كأنما هو العبير الزاكى فتستنشقه نفوس الطالبين فتنفتح آفاقهم عليه رحمه الله تعالى.

واختتم الشيخ محمد على الطريفى خاطرته بالقصيدة الآتية

مجذوب أهل الفضل يا رمز التقى
اليوم نذكر وجهك الوضاحا
اليوم نذكركم ونذكر فيكم
شخصاً سما فوق النجوم سماحا
قد كنت يا شيخ المشايخ معلماً
تهدى السبيل لمن اراد فلاحا
ما أن ذكرتك سيدى إلاّ وقد
سكبت عيونى دمعها السفاحا
يا مهجتى ذوبى عليه تحسراً
وتفجري كبدى عليه جراحا
ياشيخنا قد كنت صبراً عارفاً
بالله ترشد فى الورى ارواحا
كم من مريد نال خيراً وافراً
من فيضكم وتسلمً المفتاحا

وحباك مولاك المهيمن هيبةً
وكسـاك من ثوب الوقار وشاحـا
هذى مجالسكم يفوح عبيرها
مسكـاً زكيـاً أو شـذىً فـواحا
تفتى بها للشافعى ومالك
مـن جـاء يسعـى غدوةً ورواحـا
من للغوامض والغوائص بعدكم
يجلـى القنـاع ويمهـر الشـراحا
رزئت به الدنيا وروِّع أهلها
وتصـدّعـت اكبـادها أتـراحـا
هب النسيم لكم يؤم رحابكم
ما انهلَّ منسكب الغمام صباحا
يروى ضريحاً ضَّم جسماً طاهراً
وإمـام هَـدْيٍ لـم يـزل مصبـاحـا

كلمة الأستاذ مدثر مجذوب مدثر الحجاز *

الأخوة العلماء والجمع الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

ونحمد الله أن جمعنا هذا المجمع الطيب وفى هذه الجامعة، الجامعة حقاً الشامخة والتى وقفت طوداً شامخاً على مر الأجيال تعبر عن الإسلام وتدافع عنه منذ أن كانت معهداً علمياً وحتى صارت جامعة يشار إليها بالبنان.

ولقد سررت جداً أن سارت الجامعة فى هذه السنة الحميدة تأخذ العلماء واحداً بعد الآخر تسلط الضوء على عملهم ومجاهداتهم ولا شك أن الرجوع إلى الأصل هو الذى يرسى لهذه الجامعة وللسودان دعائم متينة من هذا التوجه الذى تسعى الأمة لتمكينه ونحن نرسى لسيرة العلماء أساساً متيناً ومجداً نفخر به ونعتز به ولا شك أن الذين يعتزون بالعلماء سيبارك الله تعالى لهم ويفتح لهم فتحاً مبيناً وأرجو أن تأخذ هذه الجامعة خطوة متقدمة فى تثبيت هذا الاتجاه فى شكل كتب وستجد الدعم لتطبع مؤلفات هؤلاء العلماء حتى لا تضيع، أرجو أن يجمع هذا التاريخ ويدرس لأجيالنا.

لقد كان الشيخ مجذوب مدثر رحمه الله أمة ومدرسة فريدة

---

* مدثر مجذوب مدثر الحجاز : ابن الشيخ مجذوب الاكبر، بربر ١٩٤٠م، وهو خليفة الشيخ مجذوب مدثر شيخ الطريقة التجانية بالسودان.

أحسب أنه قد سبق أقرانه وأهل عصره فلقد تحدث الكثيرون عن علمه وعن بذله للعلم فالعلم يكتسب والعلم يبذل ونحسب الشيخ قد اكتسب العلم باخلاص وبذل باخلاص والكثيرون قد تخرجوا عليه ومن حسن قبوله الذى نشهد له أنه ترجم هذا العلم إلى عمل فقد كان قائماً لليالى ومربياً للاتباع وكان أمة لأنه كان زاهداً وقد شهد له الكثيرون وكان بامكانه أن ينال من الدنيا ما ينال لكنه لم يرد الدنيا.

كان يحرص على كسب الحلال وعدم الدخول إلا فيما يعنيه وقد لمست منه التحلى بأدب الإسلام وسبق أهل عصره لأنه كان ينظر إلى المستقبل.

ولقد شهدت له الأجيال أنه كان دائماً ينادى بتطبيق الشريعة الإسلامية وكان لا يخشى فى قولة الحق لومة لائم وكان فى كل الأحوال ثابتاً فى نفسه.

ومما أذكره أنه حينما جاءت مايو ١٩٦٩م وجاء النظام العسكرى وكان ينادى فى أول عهده كما تعلمون بالأفكار الشيوعية وأصبح يطوف على الناس فى مختلف مواقعهم حدثنى من حدثنى وكنا فى ذلك الوقت فى موقف صعب مع مواجهة ذلك المد الشيوعى أن جاء الحديث مع علماء الجامعة الإسلامية وكان الأمر يسير إلى ما يرجو الشعب أن يحددوا موقفهم من

النظام فقال لهم «حددوا أول انتو موفقكم من الله».

كان الشيخ يؤوى الذين يريدون تطبيق شرع الله تعالى ويحنو على الشباب ويشجعهم لذلك كان دوحة للشباب المتطلع إلى نهج الإسلام.

ومما ربطنا به أيضاً أنه كان يدعونا إلى الاحتفالات التى كان يقيمها فى بيته وبمسجده فى مولد المصطفى (ﷺ) وفى ذكرى الإسراء والمعراج وكانت حلقات روحية نستمع فيها للأحاديث ويشجعنا للسير فى طريق المطالبة بتمكين الشريعة الإسلامية.

دخلت فى يوم من الأيام لمكتبته ورأيت من الكتب وأصناف المعرفة ما لم أر حيث إنها كتب فى شتى صنوف العلم وصرت أحدث نفسى كيف اقتنى الشيخ هذه الكتب وأعلم حاله المادى فسألت بعض ابنائه كيف جمع هذه عشرات الآلاف من الكتب وهو لا يملك من المال شيئاً فعرفت أن معظم ما كان يحصل عليه من المال يسخره لشراء الكتب وكان كلما جاء إنسان من دارفور أو كردفان يسأله هل لديكم علماء وهل لديكم كتب فإذا أجاب بالايجاب دخل معه فى مساومة عن الكتب.

هذه المكتبة تحتوى على وثائق تاريخية لذلك تحدثت مع الأسرة فى أن الشيخ مجذوب ملك للسودان وللأمة الإسلامية ولابد أن يستفيد من هذه المكتبة كل أهل السودان .. ولقد فكرنا

أن نؤسس هذه المكتبة على أساس علمي وتبنى على أساس حديث مما ييسر لطلاب العلم أن يستفيدوا منها وهذه دعوة لكل العلماء ولكل تلاميذ الشيخ أن يقفوا عليها.

الجمع الكريم: إن الذى يتفرد به الشيخ مجذوب مدثر الحجاز أنه كان ينظر بعيداً ولقد توفى قبل أعوام قليلة من الانقاذ وكان به يحدث الشباب أن هذا الأمر قادم وأن الشباب سيكونون ضلع التغيير فى هذه البلاد وقد مضى إلى ربه قبل ثلاثة أعوام قبل مجئ الانقاذ.

الشيخ مجذوب كان واحداً من السلسلة والمجموعة الفريدة التي قامت بها الجامعة ولعل جامعة أم درمان الإسلامية تؤكد أنها تؤرخ للعلماء حتى تثبت أنها تؤرخ للمتمكنين من أرض صلبة لتؤكد أن الذين سار على نهج هؤلاء لتقدم خطوات أخرى.

فجزاكم الله وجزى المشايخ والعلماء الذين قدروا العلم وقدموا لبلادهم خيراً وبارك الله لكم جميعاً على هذا الحضور والاحتشاد فى ذكرى شيخنا مجذوب ونأمل أن تتسع دائرة الجامعة لخارج علمائها لأجل تمكين هذا الدين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خاطرة الأستاذ أحمد عبدالرحمن محمد *

الحمد الله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده

الأخ الكريم محمد الأمين خليفة

السيد / والى ولاية الخرطوم

الأخوة الأعزاء والأخوات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

أشكر الذين حرصوا أن اعتلى هذا المقام وأن أشارك فى ليلة فقيدنا المرحوم الشيخ مجذوب مدثر الحجاز فهو كما تعلمون له مريدون وطلاب كثر وأنا والحمد الله اعتز وافتخر بأن أكون منهم فكنا طلاباً فى الأربعينات ترددوا على منزله فى أم درمان حيث كانت تقام الدروس فى المساء وكنا فى مدرسة أم درمان الثانوية وأخذنا منه الكثير ولكنى أصدقكم القول بأن أمثال الشيخ مجذوب قلة فهو فذ تميز وتفرد فى كثير من المجالات أحس ويحس غيرى كثيراً .. أننا لم نستفد منه كثيراً رغم أننا كنا حين نصل إلى منزله ومنزله كان مسجده نشعره بنقلة كبيرة من مجتمع جاهل إلى مجتمع منذ أن نشترك فيه نحس أن الشيخ من العارفين بالله حباه الله تقى وورعاً نتبصر كيف يعامل الشيخ الذين يجلسون حوله فيبالغ فى اكرامهم وله طريقة خاصة فى التعامل معهم وكنت

---

* أحمد عبدالرحمن محمد : هو أحد حاملي الدرجات العلمية العليا في الادارة، وكان مديرا لمعهد الادارة، وكان وزيراً للشئون الداخلية، وعضواً بالجمعية التأسيسية وبالمجلس الوطني الانتقالي، وهو من القيادات السياسية المعروفة المؤثرة .

اتابع كيف يعالج قضاياهم فكان الصغير يخاطبه كما ينبغى أن يخاطب الصغير. كنا نستفيد كثيراً من الدروس التى تلقى علينا فى الثانوى.

شيخنا كان زاهداً فى هذه الحياة، بحراً من العلم تميّز فى الفقه الشافعى .. كنا نقصده ونتردد عليه كثيراً وكان الشيخ مشدوداً إلى بربر وهذه تجمعنى به كثيراً لأنى من بربر .. وكنا نشعر بأنه مربينا ووالدنا .

فى ذلك الوقت عندما تقفل المعاهد كنا نترقب مجيئه فى بربر وكان القطار يصل فى العصر فيبتدىء الدروس فى السابعة صباحاً وبربر تفتقر إلى العناصر التى تستفيد من الشيخ لأنها منيت بهجرة كبيرة وكنا كطلاب نجلس للشيخ ونستفيد منه فى الخمسينات وكان هناك تشكيك فى العقيدة وجدت بعضها هوى وكان بعضنا يسأل الشيخ عن هذا التشكيك فى العقيدة وكان من بين الحضور من لا يرضى بهذا ولكن الشيخ كان العكس تماماً وبعد الدرس يطلب لمن حدثته نفسه وانتابته هذه الشكوك بالدروس ويقرأ عليه العديد من الآيات هكذا كان نهج الشيخ عليه رحمة الله سبحانه وتعالى.

نشكر أسرة الجامعة الإسلامية وعلى رأسهم البروفيسور المدير وأرى أن ما يقومون به اضافة حقيقية لتراث هذه الأمة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خاطرة الأستاذ مصطفى طيب الأسماء *

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

يقول الشاعر :

وينشأ ناشئ الفتيان منا

على ما كان عوده أبوه

وهكذا الشيخ مجذوب مدثر الذى عرفته وكنت أراه وسبحته فى يده وهو لا يفتر عن ذكر الله وعن الصلاة على الرسول (ﷺ) وكان يأتى معه ابنه مدثر وبعض ابنائه الذين ربطت بينهم المودة الدينية فكانوا نجوماً متألقة فى مجال الفضيلة والعلم .. هكذا كانت نشأته.

لنعرف مقام الشيخ مجذوب بين العلماء ومنزلتهم فى العلم لابد أن نقرأ فقرة من كتاب صاحب (المعلقة) السَّراج .. يقول أبو نصر: إن الله تعالى أحكم أساس الدين وأزال الشبهة عن قلوب المؤمنين لما أمرهم بالتمسك بحبل الله إذ يقول جلّ جلاله (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) الآية.

---

* الأستاذ مصطفى طيب الأسماء هو العالم اللغوي والأديب صاحب التصانيف المتعددة، وقد خدم التعليم في السودان خدمة جليلة وشغل منصب رئيس مجلس إحدى الجامعات السودانية، وقد منحته جامعة أم درمان الإسلامية الدكتوراة الفخرية في اللغة العربية وادابها.

يقول أبو نصر إن الله سبحانه وتعالى ذكر العلماء (شهد الله أن لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط) وقال (ﷺ) « العلماء ورثة الأنبياء » .. وهم ثلاثة أصناف، العلماء والفقهاء والصوفية.

كذلك أنواع العلوم كثيرة فعلم الدين من العلوم ذات الشأن الكثير ومنه ثلاثة علوم: علم القرآن وعلم السنن وعلم حقائق الإيمان.

وجملة علوم الدين لا تخرج من آيات من كتاب لله أو حديث رسول الله أو خبر من ولى لأولياء الله تعالى.

من هذه الكلمات نستطيع أن نتبين مقام شيخنا مجذوب رضوان الله عليه فقد جمع علوم الحديث فى صورة دراية ورواية ومراتب وعمل به فقهاً وهو من الفقهاء بمكان .. كان شافعى المذهب ومع ذلك كان يدرس الفقه المالكي وفقه المذاهب الأخرى وكان متصوفاً والتصوف هو الروح الحقيقية للعلم فالعلم هو ما صحبته العبادة الخالصة لله تعالى (مخلصين له الدين) وهكذا كان شيخنا ومسجده عامر بهذا وهذا ما ورثه من ابيه وآبائه وهذا ما نرجو أن يتحقق به تلاميذه ويسيروا به بعده ..

كان رضى الله عنه أباً لطلابه .. وإذا أردت أن تعرف الشيخ فانظر إلى تلميذه .. وإذا أردت أن تعرف التلميذ فانظر إلى شيخه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

خاطرة البروفيسور أحمد علي الأزرق*

أيها الأخوة الكرام

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته،،

إن شخصية شيخنا وأستاذنا الشيخ مجذوب شخصية متعددة الجوانب والحديث عنه ذو شجون وقد استفدنا منه الكثير ومراعاة للزمن نذكر القليل.

اذكر بعض الأشياء التى لمستها منه فقد كنا نزوره فى داره العامرة ونرى فى جلوسنا معه خيراً كثيراً ومما يمتاز به هذا الشيخ كان من عادته أنه لا يأتى في مجلسه شخص بكلام السوء فمجلسه مجلس علم وذكر إذا جئته زائراً يُرحب بك ويسألك عن حالك ويقول لك هاك هذا الكتاب واقرأ له ولا يترك مجالاً في مجلسه للحديث عن شخص هذا أمر نفتقده نحن كثيراً فى مجالسنا .. كنت أجلس معه فى منزله العامر ويأتى زمن وجبة ويشير أن يؤتى بالطعام وهو طعام بسيط يتناوله شيخنا مع تلاميذه الذين يسكنون بالمسجد فأراه يتناول شيئاً قليلاً وكنت استغرب كيف يغنيه هذا الطعام القليل فاتذكر قول الرسول الكريم (ﷺ) «حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه».

كنت أرى فيه أنه يعرف قدر أهل العلم ويعرف قدرتهم..

* بروفسوراحمد علي الأزرق نائب مدير جامعة أم درمان الإسلامية ومتخصص في الفقه المقارن. وله نشاطات واسعة في مجال الدعوة المباشرة أو عن طريق وسائل الاعلام، ونائب رئيس المجمع الفقهي.

حدث أن جاءه عالم بالباب فقام شيخنا مسرعاً لاستقباله وهو يردد .. ورجل من الكرام عندنا ..

كان عليه رحمة الله تعالى ذا صلة قوية بالله واعتماده دائماً على الله سبحانه وتعالى.

هذا قليل من كثير ..

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ..

خاطرة/ الشيخ ضياء الدين العباسى *

السلام عليكم أيها الجمع الكريم ،،

هل غادر العلماء من متردم .. فإنى وجدت فى مجال الأمر سعة فمجال القول فى ذكرى مولانا وأستاذنا الشيخ مجذوب مدثر ذو سعة .. الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى أهله أجمعين وعلى أولياء الله الصالحين ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين ..

الحقيقة لا شك أن كل معلم يترك أثراً من علمه وخاصة إذا كان عالماً مثل مولانا الشيخ مجذوب عليه رحمة الله ..

اعتقد أن مولانا وشيخنا مجذوب مدثر رضى الله عنه وطيَّب الله ثراه فريد زمانه فى العلم والمعرفة وهو من الذين اتبعوا الرسول (ﷺ) باحسان ولا شك أن أحبابه كثر وللمحب مكانة عند المحبوب واذكر فى هذه المناسبة أن الصحابة رضى الله عنهم دافعهم شعور فى الآية ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾. قال رسول الله (ﷺ) «لا أرضى وواحد من أمتى فى النار». ونجد أن الله أكرم

---

* الشيخ ضياء الدين العباسي حفيد الشاعر السوداني المعروف محمد سعيد العباسي وهو شاعر له ديوان شعر مطبوع، ومن النشطين في ميادين الدعوة، وقد انشا كلية للدراسات الإسلامية .

الاكرمين نجد أنه أكرم سيدنا أبابكر بنوع الكرامه التى أكرم بها صاحبه (ﷺ) وهذه المناسبة فى السورة الكريمة (فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى) إلى الآية (وسوف يرضى).

وأنا اعتقد أيضاً أن الذى يحب شيخنا مدثر أيضاً سوف يكون من أهل الجنة لأنه أرضى الله وسيرضيه الله سبحانه وتعالى. ولهذا البيت الكريم علاقة ببيتنا فجدى الشيخ قريب الله متزوج من هذه الأسرة وأن سيدنا الشيخ الفاتح تزوج من هذه الأسرة فهذه أواصر صداقة.

هذه كلمات عن شيخنا العلامة مجذوب مدثر الحجاز عليه رحمة الله سبحانه وتعالى.

وللجمع الكريم شكرنا وتقديرنا ولجامعة أم درمان الإسلامية التى استنت هذه السنة كل الحب والتقدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

السيرة الذاتية للبروفيسور على أحمد محمد بابكر مدير (رئيس) الجامعة الإسلامية

رأت اللجنة التى تابعت هذا العمل أن تثبت السيرة الذاتية للبروفيسور على أحمد محمد بابكر مدير (رئيس) الجامعة الإسلامية الذى بادر بهذا العمل وشكّل لجانه ورعاه وتابعه إلى نهايته بوصفه خلفاً لذلك السلف في قيادة هذه الجامعة.



- مدير (رئيس) جامعة أم درمان الإسلامية منذ ١٩٩١م.
- تخرج في جامعة أم درمان الإسلامية كلية الشريعة والقانون.
- الماجستير في أصول الفقه من جامعة أدنبره ببريطانيا.
- الدكتوراة من جامعة أدنبره ببريطانيا.
- رئيس قسم أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون ٧٧ ـ ١٩٧٩م.
- رئيس وحدة البحث العلمى والدراسات العليا بالجامعة ٧٧ ـ ١٩٧٩م.
- عميد كلية الشريعة والعلوم الاجتماعية ١٩٨٦م.

ـ عميد كلية الشريعة والقانون ٨٧ ـ ١٩٨٩م.

ـ نائب رئيس اتحاد الجامعات الأفريقية منذ ١٩٩٧م ولمدة أربع سنوات وعضو المجلس التنفيذي للاتحاد.

ـ عضو المجلس التنفيذي لاتحاد الجامعات العربية.

ـ عضو المجلس التنفيذي لرابطة الجامعات الإسلامية.

ـ عضو اتحاد الجامعات العالمية.

ـ عضو اتحاد جامعات شرق ووسط أفريقيا.

ـ عضو اتحاد جامعات العالم الإسلامى.

ـ نائب رئيس التعليم الأهلى والأجنبي بالمجلس القومي للتعليم العالى.

مؤلفات وأبحاث :

ـ الاعجاز التشريعى في القرآن الكريم.

ـ الصلاة غير المفروضة.

ـ الاتباع والتقليد.

ـ مقاصد الشريعة.

ـ دراسات في أصول الفقه.

ـ أثر المسلمين في أوربا.

ـ دراسات في صحيح البخاري.

ـ سلسبيل اللهب (ديوان شعر).

- حدود الحريات في الإسلام .
- سلسلة أبحـاث في أصـول الفـقـه الإسـلامى في عـدد من المجلات العلمية .
- شارك في مؤتمرات علمية متعددة .
- قدم برامج علمية وثقافية من خلال الإذاعة والتلفزيون .
- ظهرت سيرته وبعض إنتاجه الشعري في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين .

خاتمة الكتاب

بهـذا نصل إلى خـتـام الجـزء الأول من سلسلة توثيق حياة علماء جامعة أم درمان الإسلامية . وقد اقتصر هذا الجزء على الذين ترأسوا هذه الجامعة منذ بداية هذا القرن الميلادى وإلى أوائل ستينات هذا القرن العشرين الميلادي « أواخر القرن الرابع عشر الهجري » .

وسنواصل بإذن الله التوثيق لحياة علماء هذه الجامعة الذين أعطوا وبذلوا ونفعوا وخرَّجوا الأجيال وثبتوا للعواصف التى مرت بهذه الجامعة .

نتمنى أن نكون قد قدَّمنا عملاً مفيداً في مسيرة هذه الأُمة وبيَّنا صفحة من صفحات تاريخ السودان الذى ندعو الله أن يوفقنا ويوفق أهل هذا البلد لإعادة النظر فيه وابراز جوانبه التى لم تبرز وتصحيح ما تعرض منه لتغيير أو تبديل، وندعو الله أخيراً أن يجعل هذا عملاً خالصاً لوجهه وهو المستعان .

محتويات الكتاب

الموضـــوع **الصفحة**

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة
المطلب الثاني : نشأته وبيئته	١٠٤
المطلب الثالث : تعلمه	١٠٥
المطلب الرابع: جهوده العلمية وتلاميذه	١٠٧
المطلب الخامس: نشاطاته العامة وأعماله الأخرى	١١٢
المطلب السادس : وفاته	١٢٧
القسم الثاني: ليلة التوثيق	١٢٩
المطلب الأول: تقديم	١٣١
المطلب الثاني : برنامج الليله	١٣٢
المطلب الثالث : كلمة الجامعة	١٣٣
المطلب الرابع: كلمة الأسرة	١٣٨
المطلب الخامس: كلمات وخواطر	١٥١
الخاطرة الأولى: قصيدة مدامع ومجامر للتجاني يوسف بشير	
إلقاء الشاعر صديق المجتبى	١٥١
كلمة البروفيسور عون الشريف قاسم	١٥٤
كلمة الأستاذ مصطفى طيب الأسماء	١٦٠
كلمة الدكتور عبدالحليم محمد	١٦٣

الموضـــــوع | **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــوع **الصفحة**

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع | **الصفحة**

رقم الإيداع: ٧٤ / ٢٠٠٠م